

ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة

١٤

الأعمال المسرحية الكاملة
الجزء الثاني

ترجمة
صباح الجهميم

الأشرف المكي: زهيركمو

كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي
باللغة الفرنسية

ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة

١٤

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الثاني

ترجمته:
صباح الجهم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٨٩

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d Alexandre V Soloviev

الامعمال المسرحية الكاملة = THEATRE COMPLET / تأليف :
ليون تولستوي ؛ ترجمة صياح الجبيم . ط . ١ . - دمشق
[تأ] وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ ، ٢ ج . (٨٤٣ ص .) ؛ ٢٥ سم
٠ - (الامعمال الادبية الكاملة ؛ ١٤) .

١ - ٨٩١٧٢٢ ت و ل ١ - ٢ - العنوان ٣ - تولستوي
٤ - الجبيم ٥ - السلسلة
٠ - مكتبة الاسد .

ثمارة الحضارة
ملهاة في أربعة فصول
١٨٩٠

الشخصيات

ليونيد فيودوروفيتش : ملازم في الحرس ، متقاعد ؛ ملاك يملك أربعة وعشرين ألف هكتار في ولايات مختلفة . في نحو الستين من عمره ، ما يزال تضر العود ؛ وهو عالي التهذيب ، رقيق ، وأنيس . يؤمن باستحضار الأرواح ، ويحب أن يدهش الناس بقصصه .

آنا بانلوفنا زفيز ديتريفا ، زوجته : وهي امرأة بدنية تتصايب ؛ شديدة الحرص على المواضعات الاجتماعية ؛ تحتقر زوجها وتؤمن بطبيبها إيماناً أعمى ؛ وهي سريعة الغضب .

بيتي : ابنتهما ، في نحو العشرين من عمرها ؛ محبة للحياة الاجتماعية ، تصرفاتها طائشة ورجولية ؛ تضع نظارة بلا ساعدين . مغتاج وضحوك . تتكلم بسرعة وبوضوح شديد ، وهي تزم شفيتها كالغريبة .

باسيل ليونيديتش ، ابنهما ، عمره خمسة وعشرون عاماً ، مجاز في الحقوق ، بدون شغل محدد ، عضو في جمعية أنصار الدراجات ، وجمعية أنصار الخيول ، وجمعية تشجيع كلاب الصيد . شاب ذو صحة ممتازة وثقة بالنفس لا تترعزع ، يتكلم بصوت عال وباقتضاب ، جاداً بل ومتجهماً حيناً ، وحيناً آخر صاخباً ، مرحاً ، ضاحكاً بملء حنجرتة .

الكسي فلاديميروفيتش : أستاذ في الجامعة . عالم في الخمسين من عمره ، هادئ في تصرفاته ، باعث بسلوكه على الطمأنينة المريحة ،

بتكلم بهدوء ، راضياً مختاراً ، وبصوت رخيم . يعامل كل مَنْ ليسوا من رأيه برفق وازدراء . يدخن كثيراً ، وهو هزيل الجسم ، حركٌ .

الطبيب : في نحو الأربعين ، ضخم الجسم ، قوي ، أحمر الوجه . وهو غطّ ، قوي الصوت . يتسم دائماً ابتسامة الراضي عن نفسه .

ماريا كونستانينوفنا : فتاة في نحو العشرين ، طالبة في المعهد العالي للموسيقا ، استاذة بيانو ؛ لها تجميدات شعر على جبينها ، أما زينتها فهي تسابير آخر البدع على نحو مسرف . لطيفة المدخل ، وجلة .

بيريشتيف : في الثامنة والعشرين ، مجاز في الآداب ، يسعى إلى أن يشغل نفسه ، عضو في الجمعيات نفسها التي ينتسب إليها « باسيل ليونيديتش » . وهو ، فوق ذلك ، عضو في جمعية تنظيم الحفلات الراقصة (بالحرير الهندي وبالكريتون) . أصلع ، حيوي الكلام والحركات ؛ مهذب جداً .

البارونة ، سيدة ذات شأن . في الخمسين ، جامدة ؛ تتكلم بدون نبر .

الأميرة : مدعوة .

الأميرة الشابة : آنسة شابة اجتماعية ، متقززة ، مدعوة .

الكونتيسة : مسنة ، تتحرك بجهد ؛ أسنانها صناعية وشعرها مستعار .

غروسمان : رجل "أسمر" ، نموذج يهودي ، شديد الحركة والعصبية ،
يتكلم بصوت عالٍ جداً ،

ماريا فاسيلييفنا : تولبوخينا ، سيدة رزينة جداً ، غنية ، ملأى بالسذاجة ؛
تعرف جميع الأشخاص المرموقين أمس واليوم . ضخصة
الجسم ، تتكلم بسرعة شديدة ، وتحاول أن تغطي بصوتها
على الأصوات الأخرى . تدخن .

البارون كلنجن : (كوكو) ، مجاز من جامعة بطرسبرج ، نبيل في
البلاط ، ملحق بالسفارة . عظيم اللياقة ، ولذلك فهو
راضٍ ومرح بهلواء .

سيدة : (شخصية صامتة) .

سيرج ايفانوفتش : ساخاتوف ، في الخمسين ، وكيل وزارة سابق ،
رجل أتيق ، ذو معرفة أوروبية واسعة ، لا يشتغل بشيء ،
ويهتم بكل شيء . يتحلّى بالوقار بل وبشيء من القسوة .

نيودور ايفانوفتش : كبير الخدم ، في نحو الستين . رجل متعلم ويجب
التعليم ، يُسرف في استخدام نظارته ومنديله الذي يتنشره
ببطء .

غريغوري : خادم ، في الثامنة والعشرين ، جميل ، منحرف وحسود
ووقع .

يعقوب : خازن خمر في الأربعين ، شديد السذاجة ، دائم الانهماك ،
لا يهتم إلا بشؤون أسرته وقريته .

سيمون : مساعد الخازن ، في العشرين ، ريفي قوي ، غضّ الإهاب ،
أشقر وما يزال أمرد ، هادىء ومبتسم .

حوذي : في الخامسة والثلاثين ، أنيق ، له شارب ، وقح وجريء .

طاه عجوز : في الخامسة والخمسين أشعث الشعر واللحية ، منتفخ
الوجه ، أصفره ، مرتعش اليدين ؛ يرتدي معطفاً صيفياً
رثاً ، وبنطالاً وسخاً ، وجزمة متهرئة . يتكلم بصوت
أجش ؛ تخرج الكلمات من حنجرة وكأنها تخرج من
من خلال حاجز .

طاهية : ثرثارة ، مستاءة ، في الثلاثين .

حاجب : جندي متقاعد .

نانيا : خادمة ، في التاسعة عشرة ، فتاة قوية ، نشيطة ، مرحة ،
متبدلة المزاج ؛ ترسل صرخات حادة في لحظات الفرح
العظيم .

الفلاح الأول : في الستين ، كان رئيساً لمجلس القرية ، وهو يظن
أنه يحسن مخاطبة السادة النبلاء . وهو يحب أن يتكلم
بأنانة .

الفلاح الثاني : في الخامسة والأربعين ؛ رجل ميسور ، خشن ، وصادق ،
لا يحب فضول الكلام ، والد سيمون .

الفلاح الثالث : في السبعين ، يحتدي حذاء من قشر الشجر المجذول ؛
رجل عصبي ومضطرب ، مبادر ، خجل . يسعى إلى
تغطية خجلة بالكلمات .

مخادم الكونتيسة الأول : شيخ من الطراز القديم ، يفخر بأنه خادم

المخادم الثاني : رجلٌ ضخم ، سوقيّ ، موفور الصحة .

ساعٍ تجاري : في معطف أزرق بلا كمين . أبيض الوجه ، أحمر

الوجنتين ، يتكلم بوضوح شديد وبطريقة مهيبة .

تجري الأحداث في العاصمة ، في منزل آل زفيز دنتريف .

الفصل الأول

يُمثِّل المسرحُ غرفة الانتظار في بيت ثري ، في موسكو . ولها ثلاثة أبواب . الباب الذي في مؤخرة المسرح وهو يُفضي إلى مكتب ليونيد فيودوروفيتش وإلى غرفة باسيل ليونيديتش . ويؤدي الدرج إلى الطوابق العليا . وتحت الدرج باب يقود إلى غرفة الخدمة .

المشهد - ١ -

« غريغوري ، خادم شاب حسن الطلعة ، ينظرُ في المرأة ويُصلح شعره . »

غريغوري : آه ! أنا آسف على شاربِي ! هي تقول : لا ينبغي أن يكون للخادم شارب ! ولماذا ؟ لكي يرى الناس أنك خادم . وإلاّ صرتَ أحسنَ من ابنها الرشيق ! آه ! مِن هذا ! مِهات أن يجاريني في الحسن وإن لم يكن لي شارب ! (ينظر إلى المرأة ويتبسم) . وما أكثر النساء اللواتي يُغازلنني ! لكن لا تُعجبيني واحدةٌ منهن مثلما تُعجبيني تانيا هذه ... ! إنها مجردُ خادمة ! . . . نعم . ومع ذلك فهي أفضل من الآتسة . (يتبسم) ساحرة ! (يُصغي) . ها هي ذي ! (يتبسم) كيف تُطعّق بكعبيها الصغيرين !

« غريغوري وتانيا التي ترتدي معطفًا مبطنًا بالفرو وحذاء نصفي الساق » .

غريغوري : احتراماتي ، يا « تاتيانا ماركوفنا » !

تانيا : لم تتنظر في المرأة ؟ تظن نفسك إذن جميلًا جدًا ! ...

غريغوري : ماذا ! أنا قبيح المنظر ؟

تانيا : بين بين ، لا أنت بالحسن المنظر ولا أنت بالقبيح : لم تحتفظ دائماً بالمعاطف هنا ؟

غريغوري : سأرفعها ، يا آنسة . (يرفع معطفًا ويغطي به تانيا ويقبّلها)
دعيني أقل لك ، يا تانيا . . .

تانيا : أوه ! دعني ! ما لك ! (تخلص نفسها ، وهي مغضبة جداً) . قلت لك : اتركني !

غريغوري : ناظرًا إلى جميع الجهات : قبّليني !

تانيا : ماذا أصابك ؟ انظر كيف سأقبلك . . . (ترفع يدها ، يُسمع صوت الجرس ، ثم نداء باسيل ليونيدش : غريغوري ! ثم يُسمع صوت جديد للجرس) . اذهب باسيل ليونيدش يناديك . . .

غريغوري : يمكنه ان ينتظر . لم يفتح عينيه إلا منذ برهة وجيزة . . . اسمعي ، لماذا لا تحبّيني ؟

تانيا : ما هذا الحب الذي اخترعته ؟ لاني لا احب احداً .

غريغوري : غير صحيح ؛ انت تُحِبِّينَ سيومكا (١) . احسنت
الاختيار ! فلاحٌ يشغل في غرفة الخدمة ، فلاح ثقيل
الدم !

ثانيا : ومع هذا فأنت تغار منه . . .

(باسيل ليونيديتش ينادي من خارج المسرح : غريغوري !)

غريغوري : اذهب عني ، لا داعي للعجلة ! . . . باه ! ليس هناك
ما يستحق الغيرة ! وانت ، التي لم تكدي تشذّبُ اخلاقها
بعنّ تريدن ان تربطي نفسك ؟ . . . سيكون الأمرُ
مختلفاً لو أحببتني ، انا ، يا ثانيا . . .

ثانيا ، مغضبة وجادة : قلتُ لك : إنك لن تنال شيئاً مني .

(باسيل ليونيديتش من خارج المسرح : غريغوري !)

غريغوري : أنت قاسيةٌ جداً !

(باسيل ليونيديتش يصرخُ من خارج المسرح بصوت واحد ،
وبكل قواه : غريغوري ! غريغوري ! غريغوري ! ثانيا وغريغوري
يضحكان) .

غريغوري : ومع ذلك ، فلوترين النساء اللواتي أحببتني !

(صوت الجرس)

ثانيا : حسناً ! اذهب إلى لقائهن ، واغرب عن وجهي !

(١) سيومكا : تصنيف تحقيري لسيمون الذي سيرد ذكره .

غريغوري : أنت غبية ، فأنا غير سيمون !

تانيا : سيمون يسعى إلى الزواج بي لا إلى ارتكاب الحماقات .

المشهد - ٣ -

« غريغوري ، تانيا ، ساع تجاري ومعه كرتون كبير فيه ملابس » .

الساعي : صباح الخير !

غريغوري : صباح الخير ! ... من قبل من ؟

الساعي : من محل بوردييه (١) ، ومعني فستان . وهذه رسالة للسيدة .

تانيا ، تأخذ الرسالة : اجلس هنا ، سأسلمها إياها .

(تخرج)

المشهد - ٤ -

(غريغوري ، الساعي ، باسيل ليوفيديتش يشق الباب وهو

بقميصه وخفيه) .

باسيل ليوفيديتش : غريغوري !

غريغوري : حاضر !

باسيل ليوفيديتش : غريغوري ! ... أأنت أصم ؟

غريغوري : لقد عدت لتوي .

باسيل ليوفيديتش : هات الماء الساخن والشاي .

(١) بوردييه : مخزن للأزياء الفرنسية في موسكو .

غريغوري : سيحملهما سيمون إليك .

باسيل ليونيديتش : وهذا ، ما هذا ؟ من عند بووديه ؟

الساعي : نعم ، يا سيدي .

(يخرج باسيل ليونيديتش وغريغوري ، صرّبة جرس)

المشهد - ٥ -

« الساعي ، تانيا »

تانيا ، تُهرع على صوت الجرس وتذهب لتفتح الباب : انتظر

الساعي : أنا منتظر .

المشهد - ٦ -

« الساعي ، تانيا وساخاتوف الذي يدخل »

تانيا ، لساخاتوف : الملعنة ، لقد خرج الخادم قبل لحظة ،
فتمضّل بالدخول . اسمح لي .

(تأخذ معطفه)

ساخاتوف ، يدخل وهو يصلح ثيابه : هل ليونيدفيدوروفيتش هنا ؟
وهل نهض من نومه ؟

(صوت الجرس)

تانيا : أوه ! نعم ؛ ومنذ وقت طويل !

المشهد - ٧ -

« الساعي ، تانيا ، ساخاتوف ؛ يدخل الطبيب »

الطبيب ، يبحث عن الخادم . يشاهد ساخاتوف فيحييه بلا كافة :

آه ! احتراماتي !

ساخاتوف ، محدقاً فيه : أنتَ الطبيب ، على ما يبدو لي .

الطبيب : وأنا ، كنتُ أظنّك في الخارج . جئتَ لترى ليونيد فيودوروفيتش ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم . وأنت ؟ هل في المنزل مريض ؟

الطبيب ، مبتسماً : ليس هذا بالضبط . لكنك عالمٌ بأحوال هؤلاء السيدات ! فهن يقضين لياليهن حتى الساعة الثالثة يَلْعَبْنَ « الهويست » ، مشلودات الخصور ، رقيقات كالبلور . . . ومع هذا فالسيدةُ سَمِينَةُ ولا بأس بسنّها . . .

ساخاتوف : أبهذه الألفاظ تُعَلِّمُ آنا باغلوفنا بتشخيصك ؟ لن يُرضيها ذلك ، على ما أتصوّر .

الطبيب ، ضاحكاً : لكنّ هذه هي الحقيقة . إنهن يَفْعَلْنَ كلّ ذلك ثم تأتي الاضطرابات الهضمية ، وتعب الكبد والأعصاب ، وحينئذٍك أَسْتَدْعِي ، وعلى أن أُصلِحَ كل شيء . ما الحيلة ؟ (يضحك) وأنتَ ماذا جاء بك ؟ أنتَ أيضاً من مُسْتَحْضِرِي الأرواح ، فيما أظن ؟

ساخاتوف : أنا ؟ لا ، لستُ كذلك . حسناً ! طاب صباحك !

(يهيمّ بالانصراف ، لكن الطبيب يوقفه) .

الطبيب : وأنا أيضاً لستُ كذلك . ومع ذلك ، فعندما يتعاطى هذا

الاستحضارَ رجلٌ مثل كروغوسفيتاف ، وهو أستاذ
في الجامعة ، مشهورٌ في أوروبا ، لا بد أن يكون في الأمر
سرٌّ ما ! كنتُ أود أن أحضر جلسة من تلك الجلسات ،
لكن لا وقتَ لدي ، فأنا مشغول بأشياء أخرى . . .

ساخاتوف : نعم ، نعم ، طبت صباحاً .

(يخرج وهو يحببه بانحناء خفيفة من رأسه)

الطبيب ، مخاطباً تانيا : هل نهضتُ السيدةُ من نومها ؟

تانيا : السيدة في غرفتها . تفضلُ بالدخول .

(يخرج ساخاتوف والطبيب كلٌّ من جهته)

المشهد - ٨ -

« الساعي ، تانيا وتيودور ايغانوفيتش الذي يدخل ممسكاً بالجريدة » .

تيودور ايغانوفيتش للساعي : ماذا تفعل هنا ؟

الساعي : أرسلتُ من محل بوردييه ومعي فستان ورسالة . وطلبوا
إليّ الانتظار .

تيودور ايغانوفيتش : آه ! من عند بوردييه ؟ (لتانيا) ، مَنْ الذي
جاءَ قبل قليل ؟

تانيا : السيد ساخاتوف ، سيرج ايغانوفيتش ، ثم الطبيب ،
بقياً لحظةً هنا ، وتحدثنا عن استحذار الأرواح .

تيودور ايغانوفيتش ، مصححاً : استحضر .

تانيا : هذا ما قلتهُ ، استحذار الأرواح ، أعلم ، ياتيودور

ايفانوفتش ، أن الأمور سارتُ سيراً حسناً ، في آخر مرة ؟
(تضحك) كانت تُسمع ضرباتُ فتُغيرُ الأشياءُ مكانها .

تيودور ايفانوفيتش : وكيف عرفتِ ذلك ؟

تانيا : اليزابيت ليونيدوفنا (١) هي التي روت لي ذلك .

المشهد - ٩ -

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الساعي ، يركض يعقوب حاملاً
فنجان شاي » .

يعقوب ، للساعي : صباح الخير .

الساعي ، بحزن : صباح الخير .

(يقرع يعقوب باب باسيل ليونيديتش) .

المشهد - ١٠ -

الأشخاصُ أنفسهم وغريغوري .

غريغوري : هات .

يعقوب : أقداح البارحة لم تُعدها أنتَ لا هي ولا الصينية .
أنا المسؤول عنها .

غريغوري : الصينية ؟ أخذها باسيل ليونيديتش لسيجارته .

يعقوب : حسناً ! ضع السيجارات في مكان آخر ! لأن الصينية
مطلوبةٌ مني .

(١) أي ابنة السيدة واسمها ييتسي .

غريغوري : طيب ، سأتيك بها .

يعقوب : تقول لي دائماً هذا القول ، ثم لا تأتي بها . لقد بحثوا عنها منذ أيام ، ولم يجدوا صينية للشاي !

غريغوري : لكنني سأتيك بها . . . ما هذه القضية ! . . .

يعقوب : الكلام سهل ! أما أنا فهذه ثالث مرة أقدم فيها الشاي ، وعليّ أن أعدّ الغداء - إنني لا أكفّ عن النطنطة طوال النهار ، هل في المنزل من هو أكثر شغلاً مني ؟ ثم لا يستحسن أحد شيئاً من ذلك ! . . .

غريغوري : بلى ، عمالك ممتاز ! أوه ! ما أطيّب نفسه ! . . .

تانيا : أنت ، لا يعجبك أحد ، ما عداك .

غريغوري ، لتانيا : لم أكلّمك .

(يخرج)

المشهد - ١١ -

« تانيا ، يعقوب ، تيودور ايفانوفيتش ، الساعي »

يعقوب : على كل حال ، سيّان عندي . . . ألم تقلّ لكِ السيدةُ شيئاً بصدد ما حدث أمس ، ياتانيا ماركوفنا ؟

تانيا : بصدد المصباح ؟

يعقوب : كيف أمكن أن يُفُلتَ من يديّ ؟ الله أعلم ! ما كدت أبدأ بمسّحه حتى أفلت مني ، وإذا به يتحطّم إلى ألف شظية ! لاحظْ لي ، في الحقيقة ! عبثٌ ما يقوله غريغوري

ميخايلوفتش ، فليس وراءه أحدٌ يَعْتَنِي به غير نفسه ،
أما عندما يكون للمرأة أسيرةٌ كأسرتي ، فلا بدّ من التفكير
فيها وإطعامها . ولستُ أنْفِرُ من العمل . . . إذن لم تقلْ
شيئاً؟ الحمدُ لله ! كم ملعقة معلك ، يا تيودور ايفانوفيتش ،
واحدة أم اثنتان ؟

تيودور ايفانوفيتش ، يقرأ الجريدة : واحدة ، واحدة .

(يخرج يعقوب)

المشهد - ١٢ -

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الساعي : يَسْمَعُ الجرس . يدخل
غريغوري حاملاً الصينية ، والحاجب .
الحاجب ، لغريغوري : أبلغ المعلم أنّ ها هنا فلاحين من القرية .
غريغوري ، مشيراً إلى تيودور ايفانوفيتش : قلّ ذلك لرئيس الخدم ،
أما أنا فلا وقت لديّ .

(يخرج)

المشهد - ١٣ -

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ، الساعي »

تانيا : من أين جاء هؤلاء الفلاحون ؟

الحاجب : من مقاطعة « كورسك » ، على ما أعتقد .

تانيا ، مطلقة صرخة حادة : إنهم هم أنفسهم . هذا والد سيمون ،
وهو آتٍ من أجل الأرض . سأذهب إلى لقائهم .
(تخرج راكضة) .

المشهد - ١٤ -

« تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ، الساعي » .
الحاجب : ما رأيك : هل ينبغي أن أدعهم يدخلون ؟ يقولون :
إنهم جاؤوا بصدد الأرض ، وأن السيد يعلم ذلك .
تيودور ايفانوفيتش : نعم ، من أجل شراء الأراضي . طيب ، طيب ،
إنه مشغول الآن . قل لهم أن ينتظروا .
الحاجب : وأين ينتظرون ؟
تيودور ايفانوفيتش : في الفناء وسأستدعيهم حين يلزم الأمر .
(يخرج الحاجب)

المشهد - ١٥ -

« تيودور ايفانوفيتش ، تانيا ، يتبعها ثلاثة فلاحين ، غريغوري
والساعي »
تانيا : إلى اليمين ، من هنا ، من هنا !
تيودور ايفانوفيتش : لم أسمح بادخالهم . . .
غريغوري : نستمأهين ، يا طائشة ! . . .
تانيا : لا ضرر من ذلك ، ياتيودور ايفانوفيتش ، فسوف
ينتظرون هنا في ركن من الغرفة .

تيودور ايفانوفيتش : سيوسخون الأرض .

تاليا : مَسَحُوا أقدامهم . ثم إني سأنظف الأرض أيضاً .
(للفلاحين) . طيب ! قفوا هنا .

(يدخل الفلاحون ، يحملون في مناديلهم المربوطة ، هدايا ، وحلوى وبيضاً ، ومناشف مطرزة . . يبحثون عن الأيقونة المقدسة ليرسموا علامة الصليب . يرسمونها وهم يتجهون صوب الدرج . يحيون تيودور ايفانوفيتش ، ويقفون بحزم) .

غريغوري ، ليتودور ايفانوفيتش : يا تيودور ايفانوفيتش ! يُقال : إن الأحمدة التي في محل « بيرونيه » (١) بالغة الأناقة ، لكن ها هنا ما هو أفضل .

(يشير إلى الفلاح الثالث)

تيودور ايفانوفيتش : لا همّ لك إلا السخرية من الآخرين .

(غريغوري يخرج)

المشهد - ١٦ -

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

تيودور ايفانوفيتش ، ينهض ويتقدّم نحو الفلاحين : أنتم إذن من مقاطعة كورسك . . . وجئتم من أجل شراء الأراضي ؟

الفلاح الأول : نعم ، من أجل ذلك ؛ لإتمام عقد البيع ، مثلاً ؛ ليتلك تُعَلِّم السيّد . . .

(١) بيرونيه : مخزن للأحمدة الأنيقة في موسكو .

قيودور ايفانوفيتش : نعم ، نعم ، أعلمُ ، أعلم . انتظروا هنا .
سأُعَلِّمُكم بوجودكم ، في الحال .

المشهد - ١٧ -

« تانيا ، الساعي ، الفلاحون الثلاثة ، باسيل ليونيليتش خارج المسرح . الفلاحون يتلفّتون ويحارون كيف يضعون هداياهم . »

الفلاح الأول : نودّ لو تعطينا . . . كيف أقول . . . شيئاً نضعُ عليه كلّ ذلك . . . أيّ شيئاً يمكننا أن نخطّ عليه ما في أيدينا . - كالصينية مثلاً ؟ .

تانيا : في الحال ، في الحال . وفي هذه الأثناء ، أعطوني إياها ، هكذا .

(تضع الهدايا على المقعد) .

الفلاح الأول : مَنْ عساه يكون هذا السيد المحترم الذي كلّمنا قبل حين ؟

تانيا : هذا رئيس الخدم .

الفلاح الأول : آه ! نعم ! رئيس الخدم ؛ هو في الخدمة أيضاً ..
(لتانيا) . وأنتِ ، لعلك في الخدمة أيضاً ؟

تانيا : أنا خادمةٌ هنا . أنا أيضاً من « دميانسك » ؛ وأنا أعرفك ، وأعرفك أنتَ أيضاً ؛ هذا المعجوز الطيب وحده هو الذي لا أعرفه .

(تشير إلى الفلاح الثالث)

الفلاح الثالث : عرفتِ الآخرين ولم تعرفيني أنا ؟

تانيا : أأنتَ « اينيم انتونيتش » ؟

الفلاح الأول : بدون شك .

تانيا : وأنتَ ، أنت والد سيمون ، « زكريا تريفونيتش » ؟

الفلاح الثاني : صحيح !

الفلاح الثالث : وأنا ، « دميتري تشيليكين » . هل عرفتيني الآن ؟

تانيا : الآن عرفتكَ أيضاً .

الفلاح الثاني : وأنتِ ، مَنْ أنتِ ؟

تانيا : أمي أنيسيا ، امرأة الجندي ، أنا يتيمة .

الفلاح الأول والفلاح الثالث ، بدهشة : غير ممكن !

الفلاح الثاني : ليس خطأً قولهم « اشتر الخنزير بفلس ؛ واتركه في الشيلم يُصبح جميلاً » .

الفلاح الثالث : الأمرُ كما قلتَ ؛ وهو كذلك . . . اوه ! يا إلهي !

باسيل ليونيديتش يندق الجرس وينادي من خارج المسرح : غريغوري !
غريغوري !

الفلاح الأول : مَنْ الذي يكذبُ نفسه بهذا الصراخ ؟

تانيا : هذا المعلم الشاب .

الفلاح الثالث : آه ! نعم ! لقد قلتُ لكم أن البقاء في الخارج أفضل
من الانتظار !

الفلاح الثاني ، بعد وقت : أنتِ التي سيتزوجها سيمون ؟

تانيا : هل كتبَ إليكَ عن ذلك ؟

الفلاح الثاني : طبعاً كتبَ إليّ . لكن فكرته كانت فكرة سيئة ،
أرى أن المدينة أفسدته .

تانيا ، بحدة : أوه ! كلا ، على الإطلاق . أتريد أن أرساه إليك .

الفلاح الثاني : لا داعي للعجلة ، سوف ننتظر .

باسيل ليونيديتش يصرخ بشدة : غريغوري ! لاردك الله !

المشهد - ١٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، يظهر في الباب باسيل ليونيديتش بالقميص ،

وهو يضع نظارته »

باسيل ليونيديتش : أنتم أموات ؟

تانيا : غريغوري ليس هنا ، يا باسيل ليونيديتش ، سوف أرساه
إليك في الحال .

(تتجه إلى الباب)

باسيل ليونيديتش : كنت أعلم أنكم تتحدثون هنا . من أين جاءت
هذه الفزاعات ؟ مَنْ هم هؤلاء ؟ ...

تاليا : هؤلاء فلاحون من مقاطعة كورسك ، يا باسيل ليونيديتش .

باسيل ليونيديتش : وهذا ، مَنْ هذا ؟ آه ! نعم ، من عند
« بوردييه » ؟

(الفلاحون يَحْيُونَهُ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ . غريغوري ياتقي تانيا على الباب . تانيا تظلّ في الغرفة) .

المشهد - ١٩ -

الأشخاص أنفسهم وغريغوري
باسيل ليونيديتش : قلتُ لكَ : إن الحذاء الآخر هو الذي يازمني . لا
أستطيع أن أحتذي هذا الحذاء .
غريغوري : لكنّ الحذاء الآخر أيضاً هناك .
باسيل ليونيديتش : هناك ، أين ؟
غريغوري : لكنه هناك .
باسيل ليونيديتش : أنتَ تكذب
غريغوري : ستَرى

(يخرج باسيل ليونيديتش وغريغوري)

المشهد - ٢٠ -

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »
الفلاح الثالث : لعل هذا الوقت غيرُ مناسب بالنسبة إلينا . والأفضلُ
أن نذهب إلى المنزل لنتنظر .
تانيا : كلاً ، انتظروا هنا . سأتيكم بأطباق لتضعوا عليها
هداياكم .

(تخرج)

« الأشخاص أنفسهم ، ساخاتوف ، ليونيد فيودوروفيتش يتبعهما
تيودور ايفانوفيتش . يأخذ الفلاحون هداياهم ويصطفون »

ليونيد فيودوروفيتش : للفلاحين : في الحال ، في الحال . انتظروا .
(مشيراً إلى الساعي) . وهذا ، مَنْ هو ؟

الساعي : أنا من محل بوردييه .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! من محل بوردييه !

ساخاتوف ، مبتسماً : لستُ أنكرُ ، لكن يجب أن تعترف بأن من
الصعب علينا ، نحن غير المطلعين ، أن نؤمن بكل ما
ترويه إذا كنا لم نره . . .

ليونيد فيودوروفيتش : تقولون جميعاً : إنكم لا تستطيعون أن تؤمنوا ؛
لكننا لا نطلب الإيمان ، وإنما نطالب التجارب . وكيف
تريد ألا أؤمن بهذا الخاتم ، وقد جاءني من هناك ؟

ساخاتوف : وأين ذلك ؟ . . . من هناك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : من العالم الآخر . . .

ساخاتوف ، مبتسماً : مثيرٌ جداً ، مثيرٌ جداً ! . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لعلك تظنُ أنني أبالغُ وأنني أتصور أشياء
لا توجد . لكنْ انظرْ إلى الكسي فلاديميروفيتش
كروجو سفيتلوف ، فهو ليس رجلاً كباقي الناس ، فيما
أعتقد ، لأنه أستاذٌ في الجامعة ، ومع ذلك فهو يعرف

بهذه الظواهر . وهو ليس وحده في ذلك . . . فهناك
كروكس ، والاس (١) .

ساخاتوف : أجل ، لست أنكر ؛ وإنما أقول : إنه من الممتع جداً ،
من الممتع جداً أن نعلم كيف يفسّر « كروغو سفيتاوف »
ذلك .

ليونيد فيودوروفيتش : إن له نظرية خاصة به ! تعال إذن هذا المساء ،
فسوف يحضّرُ بكل تأكيد ، وسوف نبدأ بـ « غروسمان »
ذلك القارئ الشهير للأفكار ، أتعرفه ؟ . .

ساخاتوف : نعم ، سمعتُ به ، لكن لم تتسنّ لي رؤيته .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! تعال ، إذن . غروسمان هو الذي
سيبدأ ، ويتلوه « كابتشيتش » بلحاسة الوسيط . (مخاطباً
فيودور ايفانوفيتش) . هل عاد الرسولُ من عند كابتشيتش ؟
فيودور ايفانوفيتش : لا ، لم يعد بعدُ .

ساخاتوف : كيف أستطيع أن أعرف ، إذن ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، على كل حال ، فإذا لم يأتِ
« كابتشيتش » وجدنا وسيطاً آخر . ماريا اغناطييفنا وسيط
أيضاً ؛ ليست بقوة « كابتشيتش » ، بيد أنها . . .

(١) كروكس ، والاس : عالمان انكليزيان كبيران ، من المؤمنين المتحمسين باستحضار
الأرواح - وليام كروكس (١٨٣٢ - ١٩١٩) . كيميائي وفيزيائي معروف ؛ الفرد
والاس (١٨٢٣ - ١٩١٣) عالم من علماء الطبيعة ، وقد نشر سنة ١٨٧٥ كتاباً عن عجائب
النزعة الروحانية الحديثة .

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخل تانيا ومعها أطباق لتضع عايتها الهدايا .
تصغي إلى الحديث . »

ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم ، لكنّ هناك شيئاً : لماذا ينتمي
الوسطاءُ دائماً إلى عالمنا ، مثل « كابتشيتش » وماريا
اغناطيغنا ؟ فإذا كانت تلك القوة قوة خاصة فيجب أن
نعثر عليها في كل مكان ، في الشعب ، لدى الفلاحين .

ليونيد فيودوروفيتش : وهذا ما يقعُ ، هذا ما يقعُ كثيراً حتى إن عندنا ،
في البيت ، فلاحاً انكشف أنه وسيط . وقد دعونا ، في
هذه الأيام الأخيرة ، أثناء جلستنا ؛ كان ينبغي تحريك
الأريكة ونسيئاه . ولعاه نام . تصوّر أن جاستنا انتهت ،
وأن كابتشيتش أفاق ، فإذا بنا نلاحظ ، في الطرف الآخر
من الغرفة ، قرب الفلاح ، بدايةً مظاهر وسيطية : لقد
أخذت الطاولة تتحرك .

تانيا ، على حدة : عجباً ! كان ذلك عندما خرجتُ من تحت الطاولة .
ليونيد فيودوروفيتش : ومن البديهي أنه هو أيضاً وسيطٌ . ولا سيما
أنه يشبه « هوم » كثيراً بهيته . . . أتذكرُ « هوم » ،
الأشقر ، الساذج . . .

ساخاتوف ، هازأً كفيه : هكذا إذن ! شائقٌ جداً . يجب إذن أن
نجرّب .

ليونيد فيودوروفيتش : سنجرّبه . . . وهو ليس الوحيد ؛ فهناك

عددٌ هائلٌ من الوسطاء . لكننا لا نعرفهم . هذا كل ما
في الأمر . وهكذا استطاعت عجوزٌ مريضة ، أن تنقل
جداراً من الحجر عن موضعه .

ساخاتوف : تنقل جداراً من الحجر عن موضعه ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أجل ، أجل . كانت في فراشها . ولم تكن
تعلم أنها وسيطة . أسندت يدها إلى الجدار فراجعَ
الجدار .

ساخاتوف ، مبتسماً : وما انهارَ الجدار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا لم ينهَرْ .

ساخاتوف : غريب . سآتي إذن هذا المساء .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، تعال ؛ فسوف تُعَقِّدُ الجاسة بكل
تأكيد .

(يخرج ساخاتوف ويرافقه ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد - ٢٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ساخاتوف »

الساعي لتانيا : أعلمي السيدة بوجودي ، هل أنام هنا ؟

تانيا : انتظري . ستخرج مع الآنسة ؛ وهكذا فستمرُّ من هنا ،
بعد قليل .

(يخرج تانيا)

المشهد - ٢٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ثانيا »

ليونيد فيودوروفيتش يتقدّم نحو الفلاحين الذين يحيّونه ويقدمون له هداياهم : لا لزوم . . .

الفلاح الأول ، مبتسماً : لكن هذا هو واجبنا الأول ! فيما أن مجاس قريتنا قرّر ذلك . . .

الفلاح الثاني : هذه هي العادة دائماً . . .

الفلاح الثالث : الأمرُ تافهٌ ولا يستحق الكلام ! فنحن مسرورون جداً . وكما أن آباءنا خدموا آباءك ، فكلّك نرغب نحن في خدمتك من كل قلوبنا ، لا على سبيل المجاملة .

(ينحني)

ليونيد فيودوروفيتش : لكن ، ماذا تريدون بالضبط ؟
الفلاح الأول : إلى منزل سعادتك ، يا ليونيد فيودوروفيتش ...

المشهد - ٢٥ -

« الأشخاص أنفسهم ، بيتريشيف »

بيتريشيف : يدخل مُستعجلاً وهو يرتدي معطفه : هلي استيقظ
باسيل ليونيديتش ؟

(يُحيّي ليونيد فيودوروفيتش حين يراه ، بايعة من رأسه) .

ليونيد فيودوروفيتش : جئت لرى ابني ؟

بيتر يشييف : أنا ؟ جئت لأرى « فوفو » لحظةً . . .

ليونيد فيودوروفيتش : ادخل .

(يخاف بيتر يشييف معطفه ويدخل على عجل)

المشهد - ٢٦ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا بيتر يشييف »

ليونيد فيودوروفيتش للفلاحين : حسناً ! فيم ترغبون ؟

الفلاح الثاني : اقبل أولاً هدايانا .

الفلاح الأول ، مبتسماً : هدايا من القوية ، كما ترى .

الفلاح الثالث : لا كافية بيننا . نرغب ، وأنت كالأب الحقيقي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! احمل هذا ، يا فيودور .

فيودور ايفانوفيتش : هيا هاتوا هداياكم .

(يأخذ الهدايا) .

ليونيد فيودوروفيتش : ما الموضوع ، إذن ؟

الفلاح الأول : إلى منزل صعاذكم إنما جئنا . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أعلم أنكم جئتم إلى منزلي ، لكن ما حاجتكم ؟

الفلاح الأول : جئنا بفدان عقد بيع الأراضي ، للتعجيل أي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنتم إذن تريدون شراء الأرض ، أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، تماماً ، فيما أنك عرضت علينا ، في

الصيف الماضي ، شراء الأراضي ، منحنا مجلس القرية
تفويضاً مطاقاً للتشاور معك . . . وبما أن ذلك يتم ،
بواسطة مصرف الدولة ، وبالطوابع الرسمية . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أي أنكم تريدون شراء الأراضي مني بواسطة
المصرف ؟ أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : وهو كذلك . كما عرضت علينا هذا الأمر ، في
الصيف الماضي . والمبلغ الذي يمنحنا إياه المصرف هو
٣٢٨٦٤ روبلاً لشراء الأراضي لماكيتنا . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صحيح ؛ لكن كيف تدفعون الباقي ؟

الفلاح الأول : مثلما قلنا في السنة الماضية ، أنت تحدّد موعد الأقساط
المستحقة ، بحسب القانون ؛ أي أربعة آلاف تسلمها في
الحال . . .

الفلاح الثاني : أي أربعة آلاف تسلمها في الحال ، أما الباقي فتستظر . . .

الفلاح الثالث ، مقدماً المال : تستطيع أن تكون مطمئناً ، فنحن نفضل
أن نرهن أنفسنا على الإتيان بما يضرّك . . . ومهما يتحدّث
فليكن ، لننقل . . . لا ثِقاً . أما المال فخذ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني كتبتُ إليكم أني لن أوافق على البيع
إلا إذا جمعتُ المبلغ كاملاً . . .

الفلاح الأول : هذا أفضل ، بالتأكيد ، لكنه غير ممكن ، يعني أن ...

ليونيد فيودوروفيتش : ما العمل ، إذن ؟

الفلاح الأول : كان مجاس القرية يأمل ، بما أنك عَرَضْتَ ،
في الصيف الماضي ، تأجيل الدفع . . .

ليونيد فيودوروفيتش : كان ذلك في الصيف الماضي . . . كان العرضُ
إذ ذاك مناسباً لي . أما الآن فلا أستطيع ذلك . . .

الفلاح الثاني : كيف نفعل ، إذن ؟ أنت قلتَ لنا ذلك ، فعمائنا
هذه الورقة . . . وجمعنا المال . . .

الفلاح الثالث : ارحمنا ، أيها السيد ، فأرضنا صغيرة لا مكان فيها
لماشية ترعى ، بل ولا لدجاجة . . . (ينحني مُحْبِئاً)
لا تقرب الخطيئة ، يا سيد . . .
(ينحني مرة ثانية)

ليونيد فيودوروفيتش : صحيحٌ أنني وافقتُ على التأجيل ، في السنة
الماضية . لكن بعض الظروف . . . يَعْنِي . . . إن ذلك
لا يلائمني الآن .

الفلاح الأول : لكننا سنفقد حياتنا ، بدون هذه الأرض .
الفلاح الثاني : بالتأكيد ، فبدون هذه الأرض ستضعفُ حياتنا ،
وسيكون هلاكنا .

تيودور ايفانوفيتش : ما القضية ؟

الفلاح الأول : القضيةُ ، أيها السيد المحترم ، أنه عرض عاينا ،
في الصيف الماضي ، أن يبيعنا الأرض . وبناءً على ذلك
أبدى مجاس القرية رأيه وفوضنا تفويضاً مطلقاً ؛ وها

إن ليونيد فيودوروفيتش يريد أن يقبض المبلغ دفعةً واحدة.
وهو أمرٌ غير ممكن على الإطلاق بالنسبة إلينا . . .

تيودور إيفانوفيتش : أمعكم كثيرٌ من المال ؟

الفلاح الأول : جئنا بأربعة آلاف روبل . . .

تيودور إيفانوفيتش : حسناً ! اعموا بجهدكم واجمعوا الباقي . . .

الفلاح الأول : لقد تعبنا كثيراً حتى نجئنا في جَمْع ما جمعناه ، ولا
طاقة لنا فوق ذلك ، يا سيدي . . .

الفلاح الثاني : لا يوجدُ المرءُ بما ليس عنده . . .

الفلاح الثالث : لو كنا نستطيع لجمعنا المبلغ كله بكل طيبة قلب ،
لكننا لم نجعل هذا المال إلا بشقّ النفس . . . يا سيدي ،
أرضنا شديدة الصغر ، لا مكان فيها لماشية ترعى بل ولا
للدجاجة . فاشفقْ علينا يا سيدي واقبلْ المال .

ليونيد فيودوروفيتش ، ينظر إلى العقد الذي معهم : فهمتُ جيداً :
أود لو أتمكّن من إرضائكم . انتظروا ، ففي ظرف نصف
ساعة ، سأعطيكُم الجواب . تيودور ، مرهمُ ألا
يُذبحوا أحداً . . .

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، يا سيدي .

« بخرج ليونيد فيودوروفيتش »

المشهد - ٢٧ -

الأشخاص أنفسهم ما عدنا ليونيد فيودوروفيتش . الفلاحون
حزينون .

الفلاح الثاني : إنه للمأزق حقاً ! بعد أن أخذ يقول لنا الآن :

أعطوني المبلغ كله ؛ ومن أين تأتي به كله ؟

الفلاح الأول : وليته لم يؤمِّلنا في الصيف الماضي . . . كنا نأمل كثيراً بالحصول على الأرض . . . طبعاً لأنه وعدنا في الصيف الماضي ! . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! وأنا الذي فكَّ صرّة المال ! (يُعيد لفّ الأوراق في خرقة) . والآن ماذا سنفعل ؟

المشهد - ٢٨ -

« الأشخاص أنفسهم ؛ باسيل ليونيديتش وبيتر يشتييف ،

كلاهما في الباب والسيجارة في فمه » .

باسيل ليونيديتش : نعم ، لقد وعدتُ ، سأفعل كلَّ ما هو ممكن .
إيه ماذا ؟

بيتر يشتييف : افهم جيداً ، إذا لم تُفأخ في ذلك ، فالله أدرى بما ينتظرني .

باسيل ليونيديتش : لقد وعدتُ ، سأفعل كلَّ ما بوسعي فعلاً .

بيتر يشتييف : أوه ! لا قيمة لذلك ، أقول لك فقط : حاول أن تنجح . وسأنتظر .

(يخرج وهو يغلق الباب) .

المشهد - ٢٩ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا بيتر يشتييف »

باسيل ليونيديتش ، يشير بحركة من يده : الشيطان هو الذي يعلم ما هذا .
(ينحني الفلاحون ، باسيل ليونيديتش ينظر إلى الساعي .
مخاطباً تيودور ايفانوفيتش) .

لم لا تدعون الساعي الذي من عند بوردييه ينصرف .
هل أقام عندنا ؟ انظر إليه قليلاً ، لقد أغفى . ايه ماذا !

تيودور ايفانوفيتش : لكننا سَمْنَا رسالته ... وأَمَرْنَا بأن يَنْتَظِر
حتى تمرَّ آنا بافلوفنا .

باسيل ليونيديتش ، ناظراً إلى أحد الفلاحين وهو يجمع الأوراق
النقدية : آه ! ما هذا ؟ نقود ؟ لِمَنْ ؟ لنا ، هذا المال ؟
(لتيودور ايفانوفيتش) مَنْ هؤلاء الناس ؟

تيودور ايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من « كورسك » ؛ يريدون
شراء الأراضي ...

باسيل ليونيديتش : حسناً ! وهل بيعت لهم ؟

تيودور ايفانوفيتش : كلا . لم يتفقوا بعد . فهم متشددون .

باسيل ليونيديتش : آه ! ينبغي إذن إقناعهم . (للفلاحين) . إذن
ستشترون ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، ولقد تقدّمنا بعروض لنحصل على ملكية
الأرض ...

باسيل ليونيديتش : لكن لا تكونوا بخلاء إلى هذا الحد . تعلمون
كم هي ضرورة الأرض للفلاح . ايه ، ماذا ؟ إنها
ضرورةٌ جداً !

الفلاح الأول : طبعاً ، الأرض للفلاح هي الشيء الأول ؛ كذلك ...
باسيل ليونيديتش : حسناً ! فلا تتشددوا إذن ! ما الأرض ؟ يمكن
زراعة القمح فيها ، ثلماً ثلماً ، ثم تتجنون منها ، لنقل
ثلاثمائة « مد (١) » ، كل مدّ بروبل ، فيكون المجموع
ثلاثمائة روبل . أيّ ماذا ؟ أو تزرعون النعناع فتحصّاون على
ألف روبل تجنونها من الهكتار الواحد .

الفلاح الأول : طبعاً ، جميع محاصيل الأرض تُعطي مَنْ يعتني
بها منتوجاً .

باسيل ليونيديتش : ازرعوا النعناع إذن . لقد قمتُ بدراسات على
النعناع ؛ وهي مكتوبة في الكتب . وسأُرِيكم إياها .
أيّه ، ماذا ؟

الفلاح الأول : طبعاً ، كل ما في الكتب فأنت تعرفه خيراً منا .
تلك أشياء من شغل الدماغ .

باسيل ليونيديتش : اعقدوا الصفقة إذن ، وادفعوا المال ، ولا تكونوا
أشحاء (لتيودور ايفانوفيتش) أين بابا ؟

تيودور ايفانوفيتش : في غرفته . وقد طلب إلينا ألا نزعجه الآن .

باسيل ليونيديتش : آه ! لا شك أنه يسأل الأرواح إن كان يجب أن
يبيع هذه الأرض أم لا . أيّه ماذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : هذا ما لا أعلمه . كلُّ ما أعلمه هو أنه خرج
من هنا متردداً .

(١) ثلاثمائة مد : أي نحو ٥٠٠٠ كغ .

باسيل ليونيديتش : ما رأيك ، يا تيودور ايفانوفيتش ؟ أفعه نقود
الآن ؟

تيودور ايفانوفيتش : لا أدري ؛ فذلك غير مُحتمل . ولم تَسأل عن
المال ؟ فحتى الأسبوع الماضي أخذت مبالغاً محترماً .

باسيل ليونيديتش : اشتريت بهذا المال كلاباً . ايه ماذا ؟ . أتعرف
جمعيةنا الجديدة ؟ لقد انتُخب بيتريتشتيف ، وأنا اقترضتُ
منه مالا ، والآن سأدفع الاشتراكات عن نفسي وعنه .
ايه ماذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : ماهذه الجمعية الجديدة ؟ جمعية أنصار الدراجات ؟
باسيل ليونيديتش : لا ، سأُعلمك ؛ هذه الجمعية الجديدة جمعية
جادة حقاً . أتعلم مَنْ رئيسُها ؟ ايه ماذا ؟
تيودور ايفانوفيتش : لكنْ ، ما هذه الجمعية الجديدة ؟

باسيل ليونيديتش : جمعيةٌ للتشجيع ، تشجيع نمو الكلاب الساقية
الروسية الطويلة الشعر . ايه ماذا ؟ . وأحب أن أعلمك
أن الجاسة الأولى ستُعقد اليوم وسيتناوها غداً . لكني
لا أملك المال اللازم . سأذهب إلى غرفته . وسأحاول .

المشهد — ٣٠ —

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ، الساعي »

الفلاح الأول لتيودور ايفانوفيتش : من هذا ، أيها السيد المحترم ؟
تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : السيد الابن .

الفلاح الثالث : الوارث ، لننقل . اوه ! يا إلهي ! (يخفي المال)
الأفضل أن نخفي المال ، في هذه الأثناء .

الفلاح الأول : لقد قيل لنا مع ذلك : إنه كان عسكرياً ، نشطاً في
سلاح الفرسان .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، هو مُعفى من الخدمة العسكرية ، باعتباره
وحيداً .

الفلاح الثالث : لننقل أنهم تركوه ليعيل أهله . هذا عدل .

الفلاح الثاني ، هازأ رأسه : بالطبع ، سيُحسن هذا إعالتهم . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! . . .

المشهد - ٣١ -

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش ؛ وخافه ، على عتبة
الباب ليونيد فيودوروفيتش »

باسيل ليونيديتش : إني ألقى الشيء نفسه دائماً ؛ حقاً ، هذا مدهش !
أحياناً ، أسألُ لمَ لا تفعل شيئاً ؛ فإذا وجدتُ شُغلاً
أشتغل به - مثل هذه الجمعية الجادة التي أنشِئتُ بأهداف
نبيلة - خوصصْتُ من أجل مبالغ حقير ، مبالغ ثلاثمائة
روبل .

(١) باعتباره وحيداً : كان الأولاد الوحيدون المتبرون سنداً للأسرة معفيين من الخدمة .

ليونيد فيودوروفيتش : قتُ لك : إني لا أستطيع . إذن أنا لا أستطيع !
ولا مال معي !

باسيل ليونيديتش : لكنك بعتَ أرضاً قبل قليل ؟
ليونيد فيودوروفيتش : أولاً أنا لم أبعَ شيئاً . وقبل كل شيء دعني
وشأني . لقد أخبروك : أنه لا وقتٌ لدي .
(يغلق الباب بعنف)

المشهد - ٣٢ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش »
تيودور ايفانوفيتش : لقد قتُ لك إن الوقتَ غير ملائم .
باسيل ليونيديتش : الوضع مخرجٌ حقاً . سأذهب إلى أمي فهي ماجني
الوحيد . أما هو فقد جُنَّ باستحضار الأرواح ، ونسي
من جزاء ذلك كلَّ شيء .
(يصعد الدرج ، ويحلبس تيودور ايفانوفتش ليقرأ الجريدة) .

المشهد - ٣٣ -

« الأشخاص أنفسهم . تنزل الدرج بيتسي وماريا كونستانتينوفنا ،
يتبعهما غريغوري » .
بيتسي : هل العربة جاهزة ؟
غريغوري : وهيأت للمسير .
بيتسي ، لماريا كونستانتينوفنا : هيا ، هيا ، رأيت بعيني أنه هو
نفسه .

ماريا كونستانينوفنا : من ، هو ؟

بيتسي : تعالين جيداً أنه بيترينشتيف .

ماريا كونستانينوفنا : و أين هو ، إذن ؟

بيتسي : عند « فوفو » ، ستريتن في الحال .

ماريا كونستانينوفنا : وإذا لم يكن هو ؟

(يُحيييهما الفلاحون والساعي) .

بيتسي ، للساعي : آه ! أنت آت من محل بوردييه بالقستان .

الساعي : نعم ، يا آنسة . تفضلي وأمرّي بذهابي .

بيتسي : لا أعلم . . . فالأمرُّ يتعلق بماما . . .

الساعي : لا أعلم بمنّ يتعلّق . لقد أمِرتُ أن أحمل القستان

وأقبض الثمن .

بيتسي : حسناً ! انتظر إذن .

ماريا كونستانينوفنا : أهو الثوب نفسه الذي تريدنا للحفة ؟

بيتسي : أجل ، وهو ثوب رائع ، وماما لا تأخذه ولا تريد أن

تدفع ثمنه .

ماريا كونستانينوفنا : ولم ذاك ؟

بيتسي : اذهبي واسألي ماما . إنها تُعطي « فوفو » ثلاثمائة روبل

لكلابه ولا تستكثرها ، أما أن تدفع مائة روبل ثمناً لفستاني ،

فذلك كثير ! بيد أنني بحاجة إلى ثوب للحفة . (مشيرة

إلى الفلاحين) . وهؤلاء ، من هم ؟

غريغوري : هم فلاحون ؛ جاؤوا ليشتروا أرضاً .

بيتسي : أظنهم صيادين . . . أستم صيادين ؟

الفلاح الأول : لا ، يا سيدتي . جئنا إلى منزل ليونيد فيدودورفيتش لابتياع . . . أرض .

بيتسي : كيف ذلك ؟ فمن المقدّر أن يزور فوفو بعض الصيادين .
أحقاً أنكم لستم صيادين ؟ (يسكت الفلاحون) . ما
أغابهم ! (تمضي نحو الباب) . فوفو !
(تنفجر ضاحكة)

ماريا كونستانتينوفنا : لكننا التقيناها قبل قليل .

بيتسي : لطيفٌ منك أن تتذكري ذلك . فوفو أنت هنا ؟

المشهد - ٣٤ -

« الأشخاص أنفسهم وبيتر يشتييف » .

بيتر يشتييف : فوفو ليس هنا ؛ لكنني مستعدٌ أن أفعل مكانه كل
ما يُطلَبُ مني . صباح الخير ، صباح الخير .
(يهزّ طويلاً يد بيتسي ، ثم يد ماريا كونستانتينوفنا)
الفلاح الثاني : أترى ، كأنه يضحّ ماءً .

بيتسي : لا تستطيع أن تحلّ محله . لكن هذا خيرٌ من لا شيء .
(تنفجر ضاحكة) . ما شغاك مع فوفو ؟

بيتر يشتييف : الأشغال ؟ . . . أشغال ما . . . لية ، أي انها أشغال

ما . . . وهي أيضاً « لية » ، وهي فضلاً عن ذلك أشغال
مالية .

بيتسي : ما معنى « لية » ؟

بيترشتيف : تلك هي المسألة . هذا لا يعني شيئاً بالضبط .

بيتسي : أوه ! ليست بارعة ، ليست بارعة !

(ينفجران ضاحكين) .

بيترشتيف : لا يمكن للفكرة أن تكون دائماً بارعة . هي

كاليانصيب : فالجوائز الكبرى قليلة في اليانصيب .

(يدخل تيودور ايفانوفيتش مكتب ليونيد فيو دوروفيتش)

المشهد - ٣٥ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايفانوفيتش »

بيتسي : أوه ! لم تنجح هذه المرة ! قل لي : أكنت البارحة في

منزل آل « أميغاسوف » ؟

بيترشتيف : لم أكن فقط عند أم غاسوف بل كنت أيضاً عند

أبي غاسوف وعند أخي غاسوف .

بيتسي : أنت لا تستطيع أن تقول شيئاً دون اللعب بالالفاظ .

أهو مرض فيك ؟ أكان هناك عجز ؟

(تضحك)

بيترشتيف ، يندندن :

مطررها مطرّر

بديوك صغيرة أعرافها ذهبية !

بيتسي : لكم أنت سعيد ! ونحن يا أكلنا الضجر عند فوفو :

بتريشيف ، مكملًا غناؤه :

لقد عاهدتني !

وأقسمت أن تأتي إلى بيتي . . .

ما تتمّة الأغنية ، يا ماريلا كونستانتينوفنا ؟

ماريا كونستانتينوفنا : لتقضي فيه ساعة .

بتريشيف : كيف ، كيف ، يا ماريلا كونستانتينوفنا ؟

(ينفجر ضاحكاً)

بيتسي : كفّ ، أصبحت لا تُطاق .

بتريشيف : كففتُ ، ولففتُ ، وفففتُ .

بيتسي : أرى أنه لا سبيل إلى كفّك عن مزاحك إلاّ بحمّالك

على الغناء . تعال إلى غرفة فوفو ، ففيها قيثارة .

ماريا كونستانتينوفنا : هيا .

(بيتسي ، ماريلا كونستانتينوفنا ، بتريشيف يخرجون)

المشهد — ٣٦ —

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعى »

الفلاح الأول : وهاتان منّ هما ؟

غريغوري : إحداهما هي الآنسة ابنة السيّد ، الأخرى هي معالمة الموسيقى .

الفلاح الأول : ما أعظم أناقتها ؟ كأنها صورةٌ حقيقية !

الفلاح الثاني : ولمَ لا يزوجونها ! فهي في سن الزواج .

غريغوري : أظنّون أن الناس هنا يتزوجون في الخامسة عشرة ، كما هي الحال عندكم .

الفلاح الأول : وهذا السيّد الآخر ، أهو موسيقي ؟

غريغوري ، يقلّده : موسيقي ! أنتم لا تفهمون شيئاً !

الفلاح الأول : بالطبع ، الحقُّ معك : وبسبب غبائنا ، وعدم تعاطفنا . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي .

(تُسمَعُ ألحانٌ غجرية ترافقها القيثارة ، في غرفة باسيل ، ليونيدتيش) .

المشهد - ٣٧ -

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي ؛ يدخل سيمون تتبعه تانيا التي تلاحظ الطريقة التي بها يتلاقى الوالد والولد »

غريغوري ، لسيمون : ماذا تريد ؟

سيمون : أرسلتُ إلى منزل السيّد كابتشيتش .

غريغوري : وماذا قال ؟

سيمون : بعثتُ يقول : إنه لا سبيلَ إلى مجيئه هذا المساء للجماعة .
غريغوري : طيب ! سأخبر بذلك .

(يخرج)

المشهد - ٣٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري » .

سيمون : صباح الخير ، يا أبي ! ايه ! العم ايفيم ، ايه ! العم دميتري ،
مرحباً ! كهف صحة الأهل في البيت ؟

الفلاح الثاني : صباح الخير ، يا سيمون !

الفلاح الأول : صباح الخير ، يا صغير !

الفلاح الثالث : صباح الخير ، يا بني ! أنت بخير ؟

سيمون ، مبتسماً : أتريد شايًا ، يا أبي .

الفلاح الثاني : انتظر ، حتى نُنهي شغلنا . لا وقتَ لدينا الآن .

سيمون : طيب ! سأنتظرُكم أمام مطاع الدرج .

(يخرج)

تانيا ، راكضة وراءه : ولمَ لم تثلّ شيعاً ؟

سيمون : كيفه أقول ذلك الآن أمام الجميع . انظري ، صوف
يتناولون الشاي ، وحينئذ لك سأتكلم .

المشهد - ٣٩ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون ، يدخل بيودور ايفانوفيتش

ويجلس قرب النافذة مع جريدته »

الفلاح الأول : أيها السيد المحترم ، كيف تسير قضيتنا ؟

تيودور ايفانوفيتش : انتظروا ؛ أوشك أن يفرغ ، وسيخرج بعد دقيقة .

تانيا ، ليتودور ايفانوفيتش : وكيف عرفت ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنه سيفرغ ؟ . . . أعلم أنه عندما ينتهي من طرح أسئلته ، يقرأ بصوت عالٍ الطلبات والردود .

تانيا : صحيح أنه يمكن محادثة الأرواح ، بواسطة الصحنون ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنتِ ترين أن الأمر كذلك .

تانيا : لو قالت له الأرواح إذن وقع لوقع .

تيودور ايفانوفيتش : بالتأكيد .

تانيا : لكنها لا تجيب بالكلام .

تيودور ايفانوفيتش : إنها تتكلم بواسطة حروف الهجاء ، إنها تقف أمام بعض الحروف ، وهو يسجلها .

تانيا : لكن ما العمل ، أثناء الجاسة ، لو أنها . . .

المشهد - ٤٠ -

« الأشخاص أنفسهم ، ليونيد فيودورفيتش »

ليونيد فيودورفيتش : حسناً ! يا أصدقائي ، لا أستطيع . كنتُ أودّ أن البّي طلبكم ، لكن ذلك غير ممكن . لو دفعتم المبلغ كاملاً لتغير الأمر .

الفلاح الأول : بالتأكيد ، كان ذلك سيكون أفضل . لكننا لم نَجْمَع المال الذي معنا إلا بكثير من الجهد .

ليونيد فيودوروفيتش : غير ممكن ، غير ممكن تماماً . خذوا ! هذا عقدُ بيعكم ! لا أستطيع أن أوقعه .

الفلاح الثالث : اشفقْ علينا ، أيها السيد . كنْ رحيماً !

الفلاح الثاني : لا يجوز لك أن تتصرف هكذا ! لقد أخطأت معنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لم أخطئ . وعدتكم بالبيع في السنة الماضية ، فلو قبلتُمْ لانتهى الأمر ؛ لكنكم لم تشاؤوا . والآن أنا الذي لا يَسْتَطِيع .

الفلاح الثالث : كنْ رحيماً ، أيها السيد . كيف نعيش الآن ؟ أرضنا صغيرة . لا الماشية وحدها ، بل الدجاجة لا تجد مكاناً فيها .

(ليونيد فيودوروفيتش يتّجه إلى مكتبه ويقفُ على العتبة)

المشهد - ٤١ -

« الأشخاص أنفسهم ، السيّدة والطبيب ينزلان الدرج . وأمامهما باسيل ليونيديتش يضع أوراقاً نقدية في محفظته ، وهو جلدان ، فرح » .
السيدة ، وقد حزمتْ نفسها بمشدّ ، وعلى رأسها قبعتها : يجب أن أتناولها إذن ؟

الطبيب : إذا ظهرت الأعراضُ مرةً أخرى فتناولوها . لكنْ كوني معقولة ! كيف تريدن أن يمرّ سائلٌ كثيف عبّرَ انبوب

شعري ، وبخاصة إذا ضيّقت هذا الأنبوب ؟
غير ممكن ! والشيء نفسه مع القناة الصفراوية . . .

السيدة : طيّب . . . طيّب . . .

الطبيب : نعم ، نعم ، طيّب . . . ثم لا تلبثين أن تعودين إلى سابق
أمركِ . حسناً ! الوداع !

السيدة : لا تقل الوداع بل إلى اللقاء . سأنتظرك هذا المساء . لن
أقرر شيئاً بدونك .

الطبيب : طيّب ، طيب ، سآتي ، إذا كان لديّ وقت .

(يخرج)

المشهد - ٤٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطبيب »

السيدة ، وقد شاهدت الفلاحين : ما هذا ؟ ما هذا ؟ مَنْ هؤلاء
الناس ؟

(الفلاحون يحيطونها)

تيودور ايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من مقاطعة « كورسك » جاؤوا
ليشتروا أرضاً من ليونيد فيودوروفيتش .

السيدة : واضح أنهم فلاحون ، لكن مَنْ الذي سمح لهم بالدخول ؟
تيودور ايفانوفيتش : ليونيد فيودوروفيتش هو الذي أمر ؛ وقد تحدث
معهم قبل قليل عن بيع الأراضي .

السيدة : أي ببيع ؟ لا حاجة بنا ، على الإطلاق ، إلى البيع ، ثم كيف يُسمحُ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ كيف سمحتُمُ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ لا يجوز أن يُسمحَ بدخول البيت لأناس لا يعلم إلا الله أين باتوا لياتهم ! . . . (محتدة شيئاً فشيئاً) . كل ثنية من ثنايا ثياهم ملأى بجراثيم الحمى القرمزية ، والجدرى والدفتيريا . وقد جاؤوا من كورسك ، من مقاطعة كورسك ، حيث وباء الدفتيريا . يا دكتور ! يا دكتور ! أرجعوا الدكتور .) يخرج ليونيد فيودوروفيتش ويذهب غريغوري للبحث عن الطبيب .)

المشهد - ٤٣ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش وغريغوري » .
باسيل ليونيديتش ، مُرسلاً دخان سيجارته على الفلاحين : لا تُبالي ، يا ماما ! أتريدن أن أدخنهم بحيث أقتل جميع الجراثيم !
إيه ماذا ؟ (تصمت السيدة بقسوة ، وهي تنتظر عودة الطبيب ، باسيل ليونيديتش يخاطب الفلاحين) .

هل تربون الخنازير ؟ تربيتها مفيدة !

الفلاح الأول : بالطبع ، وأحياناً نتاجر بالخنازير .

باسيل ليونيديتش : وهي تعمل هكذا : غُرُون ! غُرُون !

السيدة : فوفو ! فوفو ! كفى .

باسيل ليونيديتش : هل هذا يشبه صوتها ؟ ماذا تقول ؟

الفلاح الأول : طبعاً يُشبهه .

السيدة : فوفو ! قلتُ لك : كفى .

الفلاح الثاني : لمَ يَفْعَلُ كذلك ؟

الفلاح الثالث : قلتُ لك : ليتنا نذهب إلى النزل ريثما يُبَتَّ الموضوع .

المشهد - ٤٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، الطبيب ، وغريغوري » .

الطبيب : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

السيدة : انظر ! أنت تقولُ لي : لا تَنَفَعِي ، وكيف تريد أن أظلّ هادئة ؟ منذ شهرين وأنا ممتنعةٌ عن رؤية أختي ، وأنا أحذر كل زائر مشبوه ، وها إن أناساً من « كورسك » ، يجيئون رأساً من « كورسك » التي انتشر فيها وباء الدفتيريا ، إلى منزلي .

الطبيب : تقصدين هؤلاء الرجال ، يا سيدتي ؟

السيدة : نعم ، نعم ، جاؤوا رأساً من البلد الموبوء .

الطبيب : لا شك أن هذه غاطة . لكن لا ينبغي مع ذلك أن تقلقي كثيراً .

السيدة : لكنك أنت نفسك تَنصَحُ بالخطر !

الطبيب : نعم ، نعم ، لكن لا داعي للقلق .

السيدة : وكيف ذلك ؟ يجب تطهير كل شيء .

الطبيب : كلاً ! فهذا يكلف غالياً . ثلاثمائة روبل ، إن لم يكن أكثر .
سأمكنك من ذلك بتكلفة زهيدة . . . خذي زجاجة
كبيرة من الماء . . .

السيدة : المغلي ؟

الطبيب : لا فرق . الماء المغلي أفضل . خذي زجاجة ماء وضعي
فيها ملعقةً من حامض الساليكليك وأمرى بغسل كل
ما مسّوه . واطردي جميع هؤلاء الفلاحين . وعند ذاك
طبيبي نفساً . ثم ببخري الهواء بهذا المزيج ، بمقدار كأسين
أو ثلاث ، وسترين مدى نفعه . لن يبقى هناك أي خطر .

السيدة : أين تانيا ؟ استدعوا لي تانيا .

المشهد - ٤٥ -

« الأشخاص أنفسهم وتانيا » .

تانيا ، تدنو : فيمَ ترغبُ سيدتي ؟

السيدة : تعرفين الزجاجة الكبيرة في غرفة الزينة ؟

تانيا : التي رششنا بها أمس الغسالة ؟

السيدة : نعم ، نعم ، بالطبع ! خذوها واغسلي المكان الذي وقفوا
فيه بالصابون أولاً ، ثم بما في الزجاجة . . .

تانيا : حاضرة ، يا سيدتي . سأستخدمها .

السيدة : ثم خذي المرش... على كل حال ، سأفعل ذلك بنفسني
حين أعود .

الطبيب : طيب ! افعلي ما قلتُهُ لك ولا تَعْشِيْ شَيْئاً . إلى اللقاء
إذن ، في هذا المساء .

(يخرج)

المشهد - ٤٦ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا الطبيب »

السيدة : أمّا هؤلاء الأشخاص فكأنهم خرجوا ! ليسخرجوا ! لا أحب
أن أرى حتى ظلّهم . امضوا ! اخرجوا ! اخرجوا !
ماذا تنتظرون ؟

الفلاح الأول : بالطبع ، هذه نتيجةُ غبائنا ! فكما قيل لنا ...

غريغوري ، يدفعهم إلى الباب : طيب ، طيب ! امضوا ، امضوا !
الفلاح الثاني : أعند إليّ منديلي .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! قلتُ لكم إنه كان من الأفضل لنا
أن نذهب إلى النزل ريثما يُبَيِّت الموضوع .
(غريغوري يُخرجهم)

المشهد - ٤٧ -

« السيدة ، غريغوري ، تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، باسيل
ليونيدتش ، الساعي » .

الساعي ، الذي يحاول مراراً أن يتكلم : أمّا من جواب ؟
السيدة : آه ! هذا الرجل من محل بوردييه ؟ (غاضبة) . لا ، لا ، لا
جواب ، لا جراب ! نخذ ثوبك معك ! لقد قلتُ له
انني لم أطلب مثل هذا الثوب ، وإن أسمح لابنتي بارتدائه .

الساعي : لا علم لي بذلك ، وهم أرسلوني .

السيدة : امض ، امض ! واحمل ثوبك . سأمرّ . . .

باسيل ليونيديتش ، بلهجة رسمية : أيها السيد سفير محل بوردييه ،
انصرف !

الساعي : كان يمكنكم أن تقولوا لي ذلك منذ وقت بعيد ؛ فأنا
انتظرُ منذ خمس ساعات .

باسيل ليونيديتش : يا سفير محل بوردييه ، اذهب !

السيدة : اسكت ، أرجوك .

(يخرج الساعي)

المشهد - ٤٨ -

السيدة : بيتسي ! أين هي ؟ . . . لا بدّ من انتظارها دائماً !

باسيل ليونيديتش ، يصرخ بملء حنجرته : بيتسي ! بيتريشتيف !
تعالا ، بسرعة ، بسرعة ! ايه ماذا ؟

المشهد - ٤٩ -

« الأشخاص أنفسهم ، بيتريشتيف ، بيتسي ، ماريا كونسنا

تينوفنا » .

السيدة : لا بدّ من انتظارها دائماً !

بيتسي : على العكس ، أنا التي كانت تنتظرك !

(بيتريش تيف يُحيّي برأسه ويلثم يد السيدة) .

السيدة : صباح الخير ! (لبيتسي) . جواباءٍ حاضرُ دائماً .

بيتسي : إن لم تكوني منشرحة الصدر ، يا ماما ، فأنا أفضل أن أبقى !

السيدة : أأنذهب أم نَبَتِي ؟

بيتسي : لنذهب ، إذا شئت .

السيدة : هل رأيتِ لإرسالية بوردييه ؟

بيتسي : رأيتها ، وأنا مسرورة . أنا طلبتُ هذا الثوب .

السيدة : لن أدفعَ ثمنه ، ولن أسمح بارتداء ثوب غير لائق .

بيتسي : ولمَ هو غيرُ لائق ؟ قبل قليل كان ممتازاً فإذا بي الآن أمام نوبةٍ من الاحتشام المفرط !

السيدة : ليس هذا من الاحتشام المفرط ؛ يجب إعادة الصدر ، وحينئذٍ تستطيعين ارتدائه .

بيتسي : أو كَدِّ لكِ ، يا ماما ، أن هذا غير ممكن .

السيدة : البسي ، هيا !

(تجلس السيدات ويضع غريغوري في أرجلهن أحذية واقية طويلة الساق) .

باسيل ليونيديتش : انظري ، يا ماريا كونستانتيونفنا ، كيف غدت غرفة الانتظار خالية .

ماريا كونستانتيونفنا ، ضاحكة سلفاً : لماذا ؟

باسيل ليونيديتش : لأن ساعي بوردييه قد انصرف . ايه ماذا ؟
حلوة هذه النكتة ؟

(يضحك)

السيدة : حسناً ، هيّا ! (تخرج ثم تعود أدراجها) تانيا !

تانيا : بم تأمرُ سيدتي ؟

السيدة : إياك أن تركي « فيفي » تُصاب بالزكام ، في غيابي ؛ إذا
نبحت لتخرج ، فتستطيعين تركها ؛ لكن يجب أن تلبسها
رداءها الاصفر الصغير . فصحتها ليست حسنة .

تانيا : نعم ، يا سيدتي .

(السيدة ويتسي وماريا كونستانتيونفنا ، يخرجن) .

المشهد - ٥٠ -

« بيتريشتيف ، باسيل ليونيديتش ، تانيا ، تيودور ايڤا نوفتش »

بيتريشتيف : هل أَفْلَحْتُ ؟

باسيل ليونيديتش : نعم ، لكن بعد لآني . طلبتُ من أبي أولاً ،
فزعل وطردني ؛ حينئذ كَقَصَدْتُ أُمِّي ، فَأَفْلَحْتُ .
المبلغُ هنا . (يضرب جيبه) . لم يكن الأمرُ سهلاً . ايه
ماذا ؟ اليوم ستأتيني كلابي الحارسة .

(بتريشتييف وباسيل ليونيديتش يرتديان ثيابهما ويخرجان .
تخرج تانيا وراءهما) .

المشهد - ٥١ -

تيودور ايفانوفتش ، وحده : نعم ، إنّ لهم دائماً متاعهم .
يُدْهَشْنِي أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعِيشُوا فِي وفاق تام .
والحقّ أنّ العجیل الجدید غير هذا . ومملكة النساء ! قبل
قليل أراد ليونيد فيدوروفتش أن يتدخل ، لكنه عندما
رأى زوجته ثائرة ، عاد فأغلق الباب . إنه رجلٌ نادر
الطيبة ؛ نعم ، نادر الطيبة ! . . . مَنْ هذه ؟ . . . هذه
تانيا تعود بهم ؟

المشهد - ٥٢ -

« تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة » .

تانيا : تعالوا ، تعالوا ، يا أصحابي ، ولا تبالوا !

تيودور ايفانوفتش : لماذا تعودين بهم ؟

تانيا : لكنّ ما العمل ، يا تيودور ايفانوفتش ؟ لا بدّ من التدخل
لأجلهم ! وسوف أغسلُ مرةً أخرى .

الفلاح الأول : كيف العملُ إذنْ ، أيها السيد المحترم ، لتَمْشِيَة
قضيتنا ؟ هلاّ كلّفتَ نفسك ، أيها المحترم ، مساعدتنا
في ذلك . الناحية كلها مستقدّرة مساعدتك وستقدّم لك
هديةً لها .

الفلاح الثالث : ابذلْ شيئاً من الجهد ، أيها السيد الكريم ! لا سبيل

لنا إلى العيش : فأرضعنا صغيرة . وهي لا تتسع للدجاجة
فكيف للماشية !

(ينحني)

تيودور ايفانوفتش : رقب قلبي لكم ، أيها الأصدقاء ! لكني لأعلم
حتماً . . . إني أفهم جيداً . . . لكنه رقبض . ما العمل
إذن ؟ ثم إن السيدة غير موافقة . النعاج مشكوك فيه .
ومع ذلك أعطوني العقد . سأحاول ؛ سأرجوه .

(يخرج)

المشهد - ٥٣ -

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، يتنفسون الصعداء »

تانيا : قولوا لي ، ما القضية ؟

الفلاح الأول : القضية أننا نريد حمله على التوقيع بيده !

تانيا : أن يوقع السيد ، على العقد أليس كذلك ؟

الفلاح الثاني : نعم ، هذا كل شيء . أن يضع توقيعه ويتسلم المال :
وتنتهي القضية .

الفلاح الثالث : يمكنني أن يكتب . . . كما يريد الفلاحون ، ولننقل ،
كما أريد أنا أيضاً ! التضيعة كلها هنا ؛ إن وقع أصبحت
القضية في الكيس .

تانيا : لا شيء سوى التوقيع ؟ ليس على السيد إلا أن يضع اسمه
على الأوراق ؟

(تَبَّتْیَ مُتَفَكِّرَةً) .

الفلاح الأول : طبعاً ، هنما كل ما عليه أن يفعله . أن يوقع وهذا كل شيء .

تانيا : انظروا ردّ تيودور ايها نوفيتش . فاذا لم يَسْجُجْ حاولتُ شيئاً آخر .

الفلاح الثاني : ستُدبرين الأمر؟

تانيا : سآحاول .

الفلاح الثالث : آه ! يا بنتي ، تموين أن تقومى بمساعيى من أجلنا ؟
انجحي على الأقل ؛ فاذا نجحتِ تعهدتِ الناحية باعالالتك
مدى الحياة .

الفلاح الأول : مَنْ يَدَبِّرْ هَذِهِ الْقِصَّةَ فَلَا شَاكَ أَنَّنَا سَنُعْبِدُهُ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى أُنْخِصَ قَدَمِيهِ !

الفلاح الثاني : بكل تأكيد .

ثانياً : لا أعدكم بشيء . لكنّ المحاولة جائزة دائماً .

الفلاح الأول : لن يجازف بشيء مَسْنٌ يُحَاوَل . ذلك مؤكد .

المشهد - ٥٤ -

«الأشخاص أنفسهم وتيودور إيفا نوفتش» .

تیدور ایفانوفیتش : لا ، یا أصدقاء ، قضیتکم لم تمشِ حالہا .
فہو لم یوافق* ولن یوافق ... خذوا عقدکم وانصرفوا ! ..

الفلاح الأول ، متناولاً العقد ومخاطباً تانيا : إذن ، نحن نضع آمالنا فيكم . أترين ؟

تانيا : على الفور ، على الفرر ! اخرجوا إلى الشارع ، وانتظروا .
فسأخرج بعد قليل وسأخبركم بشيء .
(يخرج اللاحون)

المشهد - ٥٥ -

« تيودور ايغا نوفيتش ، تانيا » .

تانيا : تيودور ايغا نوفيتش ، يا عزيزي ، قل للسيد أن يأتي إلى هنا . فعندي كلمة صغيرة سأقولها له .

تيودور ايغانوفيتش : ما معنى هذه التصرفات ؟

تانيا : هذا ضروري ، يا تيودور ايغا نوفيتش ؛ قل له ذلك ، أرجوك . لا ضرر فيما سأقوله له .

تيودور ايغانوفيتش ، مبتسماً : ما الخدعة التي تدبرينها . لست أفهم . حسناً ! سأخبره بذلك ، سأخبره به .

(يخرج)

المشهد - ٥٦ -

تانيا ، وحدها : لا شك أنني سأفعل ذلك ! فقد صرّح هو نفسه أن في سيمون تلك القوة . وأنا أدري بكل ما يجب فعله .
ففي آخر مرة لم يشك أحد بشيء . وسأدرب سيمون الآن .
وإذا لم تنجح فلا ضرر من ذلك . . . أهى خطيئة ؟

المشهد - ٥٧ -

« تانيا ، ليونيد فيودوروفيتش ، يتبعه تيودور ايڤا نوفتش »

ليونيد فيودوروفيتش : ها هي ذي ، التي أطلب مقابلتي ! حسناً !
ماذا يلزمك ؟

تانيا : عندي سرٌ صغير ، يا ليونيد فيودوروفيتش ؛ اسمح
لي أن أبلغه إياك على انفراد .

ليونيد فيودوروفيتش : ما ذلك السر ؟ تيودور ، اتركنا لحظةً .

(يخرج تيودور ايڤا نوفتش)

المشهد - ٥٨ -

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا »

تانيا : بما أنني كبرتُ في بيتك ، يا ليونيد فيودوروفيتش ،
وبما أنني معترفة بفضلك في كل شيء ، فقد أردت أن
أبوح لك بسري كما أبوح به لآبائي . إن سيمون في خدمتك ،
وسوف أتزوج .

ليونيد فيودوروفيتش : عجباً !

تانيا : إنني أتكلّم أمامك كما أتكلّم أمام الله . . . فأننا يتيمة ولا
أجد مَنْ يُعطيني النصيحة .

ليونيد فيودوروفيتش : ولمَ لا ؟ فهو ، فيما أعتقد ، فتى طيّب .

تانيا : هذا صحيح . ولا مآخذَ عايمه من هذه الناحية . لكنّ

هناك شيئاً جعلني أترددُ ، وأودّ أن أسألك . . . هناك
شيءٌ لم أفهمهُ ... بشرط ألا يكون ذلك الشيءُ سيئاً !

ليونيد فيودوروفيتش : وما ذاك ؟ أهو يشرب ؟

تانيا : لا ، معاذ الله ! ولكن بما أنني أعلم أن استحضار الأرواح
موجود . . .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! أتعلمين ذلك ؟

تانيا : وكيف لا ؟ إنني أفهم جيداً . صحيحٌ أن هناك أناساً لا
يفهمون ذلك ، بسبب جهلهم . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيب ! وبعد ذلك ؟

تانيا : أنا في ريبةٍ من أمر سيمون . فقد يَقَعُ له . . .

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا يَقَعُ له ؟

تانيا : شيءٌ يشبه استحضار الأرواح . أسألُ الآخرين على الأصح .
. . . فما يكاد ينامُ أمام الطاولة حتى تَتَشَرع الطاولة
في الاهتزاز ، وفي الطقطقة ، هكذا : طَقْ ، طَقْ !
جميعُ الذين في غرفة الخدم سمعوه .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا بالضبط ما كنتُ أقوله هذا الصباح لسيرج
ايفانوفيتش . ثم ماذا ؟

تانيا : ثم إنه . . . متى جَرَى ذلك ؟ . . . نعم ، الأربعاء ،
بَدَأَ الغداءُ ؛ وما أن جلس إلى الطاولة ، حتى وَثَبَتْ
الملقعةُ وحلها إلى يده ، هُبْ !

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! هذا مثيرٌ للاهتمام . . . وَثَبَتْ إلى يده ؟
حسناً ! وهل نامَ ؟

تانيا : أمّا هذا فلم ألاحظه . لكنني أظنّ أنه أغفى .

ليونيد فيودوروفيتش : وبعد ذلك ؟

تانيا : من أجل ذلك أنا خائفة ، وهذا ما أردتُ أن أسألك عنه .
أليس من ضررٍ في ذلك . لأننا إذا تزوجنا فسأقضي
حياتي كلها معه !

ليونيد فيودوروفيتش ، مبتسماً : لا ، لا تَخْشِي شيئاً . لا ضررَ في
ذلك . هذا يثبتُ أنه وسيط ، أنه وسيط لا أكثر ؛ كنتُ
أعلمُ ذلك من قبل .

تانيا : آه ! وأنا التي كانت تَخْشِي ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشِي شيئاً (بينه وبين نفسه) .
إنها لمصادفة حسنة . لن يأتي كابتشيتش وسنجرَبُهُ في
هذا المساء بالذات . (لتانيا) . لا ، يا عزيزتي ، لا نَخْشِي
شيئاً . سيكون زوجاً صالحاً . . . أما ما ذكرته فهو قوة
خاصة موجودة لدى جميع الناس ، لكنها أشدّ فعالية
عند هذا الشخص ، وأقلّ فعالية عند ذاك . . .

تانيا : أشكرك بكل خضوع . ولن أفكرَ في ذلك بعد الآن .
كنت خائفة جداً من ذلك قبل الآن ! هذا ما يجرُّه علينا
جهاننا

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشِي شيئاً (يُنادي) تيودور !

المشهد - ٥٩ -

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا ، تيودور ايفانوفيتش »

ليونيد فيودوروفيتش : أنا خارجٌ ، يا تيودور ؛ أعدوا كل شيء من أجل جاسة هذا المساء .

تيودور ايفانوفيتش : لكن السيد كابتشيتش لن يتمكن من المجيء .
ليونيد فيودوروفيتش : لا أهمية لذلك . (يرتدي معطفه) سنجاسُ
جاسة تجريبيةً مع وسيطنا الخاص .

(يخرج ، ويتبعه تيودور ايفانوفيتش)

المشهد - ٦٠ -

تانيا ، وحدها : صدّق ذلك ! صدّق ذلك ! (تُطابق صرخات
الفرح وتنبُّ سروراً) . صدّق ذلك . أقسمُ أنه صدّق .
(تُطابق صرخات الفرح) . الآن ، بشرط ألا يخاف سيمون !

المشهد - ٦١ -

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! أقلتِ سرّاً ؟

تانيا : قاتله ، وسأقوله لك ، لكنّ فيما بعد . عندي أيضاً رجاءٌ
آخر لك .

تيودور ايفانوفيتش : وما هذا الرجاء ؟

تانيا ، بوقاحة : كنتِ لي أباً ثانياً ؛ وسأعترف لك كما أعترف لله .

تيودور ايفانوفيتش : احكي لي بصرحة .

تانيا : ذلك أن سيمون يريد الزواج بي .

تيودور ايفانوفيتش : آه ! لا حظتُ شيئاً من هذا القبيل . . .

تانيا : لكن لماذا أخفي نفسي . أنا يتيمة ، وأنت أدرى بأخلاق المدينة ، الجميع يزُعجونني بملاحقتهم . خذ مثلاً ، غريغوري ميخايلوفيتش ، إنه يُضايقني عند كل خطوة ، ثم الآخر أيضاً ؛ يظنون أنه لا روح لي ، وأني خلقتُ فقط لإرضاء شهواتهم ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : أنت فتاة عاقلة ، أهنئك على ذلك ! حسناً ! وبعد ذلك ؟

تانيا : لقد كتَبَ سيمون لأهله ، ولم يكِدْ الأبُ يراني اليوم حتى قال لي : « لقد فسدَ ! » . يقصد ابنه . . . تيودور ايفانوفيتش . (تنحني أمامه) . قُمْ مقام أبي ! كَلِّمْ الشيخ ، والد سيمون . سأخذهم إلى المطبخ . فاذهب أنتِ إلى هناك ، وحدِّثِ الشيخ .

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : سأكونُ الخطابَ إذن ؟ طيِّب ! هذا جائز . . .

تيودور ايفانوفيتش ، يأخذ الجريدة : طيِّب ! طيب ! سأذهب ، وأعدُّكِ بأنني سأفعل ذلك .

تانيا : ستكون أباً ثانياً لي .

نيودور ايفانوفيتش : طيب ! طيب !

تانيا : أستطيع أن آمل إذن ؟

(تخرج تانيا)

المشهد - ٦٢ -

نيودور ايفانوفيتش ، وحده : بنت طيبة ، ودودة ! وما أكثر
مشيلاتها اللواتي يسقطن ! عندما تفكر في ذلك ! يكفي
أن تزل قدم الواحدة منهن مرة واحدة فاذا بهن يغصن
في الوحل ، ثم لا نَعثرُ عليهن بعد ذلك ! . . مثل ناتالي ،
البنت المسكينة ! . . . هذه أيضاً كانت بنتاً طيبة دلائها
أمها وأحسن تغذيتها ! . . . (يتناول جريسته) . حسناً !
ماذا يفعل صاحبنا فرديناند (١) ؟ كيف يتدبر أموره ؟

ستار

(١) فرديناند : امير بلغاريا ١٨٨٧ - ١٩١٨ وكانت الجرائد تتحدث عنه بسبب خلافاته
مع وزرائه .

الفصل الثاني

« يُمثِّل المسرحُ المطبخَ من الداخل ، يجلس الفلاحون للذين خلعوا
ملابسهم قرب الطاولة ، ويشربون الشاي . تيودور ايڤا نوفيتش في
الطرف الآخر من المطبخ ، يلخّن سيجاراً . على الموقد يجلس الطاهي
العجوز ، وهو لا يَرى أثناء المشاهد الأربعة الأولى » .

المشهد - ١ -

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايڤا نوفيتش » .
تيودور ايڤانوفيتش : نعم ، هذا هو رأيي ، فلا تُعارضه . إذا
كانت هذه رغبتهما ، فعلى بركة الله ! البنتُ عاقاة وشريفة .
لا تُلقِ بالاً إلى غُنَجها ، فتلك عادة المدن ؛ الأمورُ
دائماً هكذا . لكنّ البنت ذكيّةٌ . . .

الفلاح الثاني : إذا كانت هذه هي رغبتُها فليكن . هو الذي سيعيش
معه لا أنا . لكنها شديدةُ الأناقة ! فكيف يمكننا استقبالها
في كوخنا الخشبي ؟ لن نسمع لحمتها حتى بمسّها !

تيودور ايڤانوفيتش : ما تقولُه لا يتعلّق باللباس بل إنه يتعلّق
بالطبع . وبما أن طبعها خيرٌ فسوف تكون ممثلةً للأوامر ،
طبيّة .

الفلاح الثاني : طيب ! سأنخذها إن كان ابني يَحْرُصُ عليها هذا
الحرص ! الحقّ أنه ليس حسناً أن يعيش الرجل مع امرأة
لا يُحِبُّهَا . سأشاور العجوز . وعلى بركة الله .

تيودور ايفانوفيتش : وافقتَ ، إذن ؟

الفلاح الثاني : نعم ، واضحٌ أنه لا بدّ من ذلك .

الفلاح الأول : أنت محظوظ ، يا زاخار ! جئتَ إلى المدينة لتعقد
صفقةً تجارية ، ماذا بك تعرّ على هذه الكنّة الجميلة !
لم يبق إلا أن نَشْرِبَ نخبهما حتى يكون ذلك بحسب
الأصول .

تيودور ايفانوفيتش : لا فائدة من ذلك (صمتٌ يُعبّر عن الضيق) .
إني أعرف حياتكم ، حياةَ الفلاحين وأنفهمها جيداً .
وأحبّ أن أقول لكم : إنني أنا نفسي أفكرّ في شراء
قطعة من الأرض ، وسأبني فيها بيتاً ، وسأغدو فلاحاً :
عندكم ، مثلاً .

الفلاح الثاني : هذه تجارة رابحة .

الفلاح الأول : من دون شك ، فعندما يملك المرءُ المال ، يمكنه أن
يجد في القرية جميع المسرّات .

الفلاح الثالث : ماذا أقول ! إن عمل الحقول ، في جميع الأحوال ،
أكثرُ حرّيةً . لا كالعمل في المدينة .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! أتقبّاونني في ناحيتكم ، إن أقمتُ
بينكم ؟

الفلاح الثاني : ولمَ لا نَقْبَلُ ؟ قدّم الخمر للكبار وستَقْبَل فوراً ...
الفلاح الأول : افتحْ خَمَّارَةً مثلاً ، أو نَزْلاً ، وستغدو حياتك
متعةً ! كأحد الماوك ، لا أقلّ .

تيودور ايفانوفيتش : سرى ذلك . أودّ فقط أن أحيا آخر أيامي
حياةً هادئة . لست متضيقاً في هذا البيت ، بل أنا آسف
على فراقه ؛ ذلك أن ليونيد فيودور وفيتش رجل ذو
طيبة نادرة !

الفلاح الأول : بكل تأكيد ! ولكن قضيتنا ، هل ستبقى حتماً
حيث هي ؟

تيودور ايفانوفيتش : هو يريد من قلبه .

الفلاح الثاني : واضح أنه يخاف امرأته .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، إنه لا يخافها . والحقيقة أنهما غير متفقين
تماماً .

الفلاح الثالث : عليك أن تهتمّ بنا ، أيها الصديق ! وإلا فكيف
نستطيع أن نعيش ؟ إن أرضنا صغيرة ...

تيودور ايفانوفيتش : لِنَدْرَ أولاً ما الذي سيَنُتِج عن مساعي تانيا .
لقد أَخَذْتُ الأمرَ على عاتقها إذن !

الفلاح الثالث ، يشرب الشاي : ارحمنا ، أيها الصديق ! فأرضنا
صغيرة ، لا نستطيع أن نجد فيها مكاناً لماشيتنا ، بل
وللجائنا !

تيودور ايفانوفيتش : آه ! لو كانت القضية في يدي ! (للفلاح الثاني) . اتفقنا إذن ، يا صاحبي ، وتصاهرنا ؟ اتهمت قضية تانيا !

الفلاح الثاني : إذا وعدتُ وعداً لم أترجعُ عنه حتى لو لم أحتفلُ به ، على أن تنجحَ قضيتُنا . . .

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخلُ الطاهية . تمدّ رأسها فوق الموقد ، وتُشير بيديها وتومئُ برأسها ؛ ولا تلبثُ أن تكلمَ تيودور ايڤانوفيتش بحدة » .

الطاهية : منذ لحظة ، دُعِيَ سيمون إلى غرفة الاستقبال من مطبخ السادة ؛ وأجلسه السيدُ والآخر الذي يستحضرُ الأرواح معه ، الأصلع ، وأمراهُ أن يعملَ مكانَ كابتيشيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تروين ؟
الطاهية : لكن هذا صحيح ، يعقوب أخبرَ تانيا بذلك قبل قليل .
تيودور ايفانوفيتش : غريب !

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، الحوذي »

تيودور ايفانوفيتش : هذا أنت ، ما وراءك ؟

الحوذي : يُمكنك أن تقولَ له : إنني لم أَدْخلُ الخدمة ، هنا لأعيش مع الكلاب ! ليعيشُ غيري مع الكلاب ! أما أنا فلا أقبل أن أعيش مع الكلاب ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : مع أي كلاب ؟

الحوذي : لقد جيء بثلاثة كلاب إلى غرفتنا من عند باسيل ليونيديتش ،
وملائتها بالأوساخ . وهي تنسج ، ولا سبيل إلى الاتراب
منها ! إنها نعض ، وهي شريرة كالشياطين ؛ ولولا قليل
لافرستنا ! وقد خطر لي أن أحطم أرجلها بالهراوة .

تيودور ايفانوفيتش : ومتى وقع ذلك ؟

الحوذي : اليوم ، جيء بها من المعرض . ويبدو أنها غالية الثمن ؛
كلاب سلوكية ، على حد علمي . لاردّها الله ! هل ينبغي
أن تسكن الكلاب في مسكن الحوذين ، أم الحوذيون
أنفسهم ؟ وهكذا . . .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، هذا غير مقبول . . . سأكلّمه في ذلك .

الحوذي : لعلّ من الأفضل أن توضع هذه الكلاب هنا عند لوكيريا .
الطاهية ، ثائرة : كيف هنا ؟ الجميع يأتون إلى هنا ليأكوا ،
وتريد أن تضع فيها الكلاب . . . فحتّى دونها . . .

الحوذي : وأنا عندي قفطانات ، ووزرات ، وعدد الخيل . . .
ويطلب مني المزيد من النظافة ! . . . أو لتوضع عند
البواب . . .

تيودور ايفانوفيتش : يجب أن تقول ذلك لباسيل ليونيديتش .

الحوذي مغضباً : ليعلقها في رقبتها ، هذه الكلاب ، وليتنزّه معها !
فهو يحب امتطاء الجياد مثلاً ، ولقد انهك « كراسافتشيك »
ذلك الجواد الجميل ! آه . . . آه ! يا لها من عيشة !

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الخوذي »

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، هذا لا يجوز ، هذا لا يجوز ! (مخاطباً
الفلاحين) القضية منتهية ، أليس كذلك . حسناً ، الوداع ،
يا أصحاب .

الفلاحون : ليحفظك الله !

(يخرج تيودور ايڤا نوفيتش) .

المشهد - ٥ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايڤا نوفيتش . بدأ الطاهي
العجوز على الموقد ، يتذمّر) .

الفلاح الثاني : أهو سكران ! كأنه جنرال .

الطاهية : نعم ! إن له غرفة مستقلة ثم إن ملابسه تُغسَلُ له ؛
وكذلك شايه وسكره : كل ذلك على نفقه السادة ! أما
طعامه فهو يأتيه من مائدتهم .

الطاهي العجوز : وكيف لا تكون عيشة هذا الشيطان حسنة ؟ وهو
يسرق كثيراً ! . . .

الفلاح الثاني : ما هذا الذي على الموقد ، هناك ؟

الطاهية : لا شيء : هذا رجل .

(صمت)

الفلاح الأول : رأيتُ قبل قليل ماعلى المائدة عندكم من أصناف !
لا شك أنهم أثرياء هنا !

الطاهية : لا مجال للشكوى من هذه الناحية . فالسيدة ليست بخيأة .
ونحن نحصل على الخبز الأبيض أيام الآحاد ، والسمك
أيام الصوم ، ومن شاء ألا يصوم أكل اللحم .

الفلاح الثاني : كيف ؟ وهل بينكم من لا يصوم ؟

الطاهية : ايه ! جميعهم تقريباً لا يصومون . لا يصوم سوى الحوزي ،
لا الذي جاء قبل قليل بل العجوز ، ثم سيمون وأنا ،
وأيضاً الخادمة ، أما الآخرون فيأكلون اللحم .

الفلاح الثاني : حسناً ! والمعلم ؟

الطاهية : هو ؟ لقد نسي حتى معنى الصوم !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

الفلاح الأول : هذا شأنهم ، السادة . وجدوا ذلك في الكتب . وهو
يأتي من التعليم . . .

الفلاح الثالث : أنا متأكد أنهم يأكلون في الأيام كلها خبزاً أسمر . . .

الطاهية : أوه ! الخبز الأسمر ! لعالم لم يروه ، خبزك الأسمر !
ليبتك ترى فقط طعامهم !

الفلاح الأول : من المعروف أن طعام السادة خفيف كالهواء !

الطاهية : خفيف ، خفيف ، لكنهم قادرون أيضاً على حشو بطونهم !

الفلاح الأول : شهيتهم مفتوحة ، إذن ؟

الطاهية : ذلك لأنهم يشربون على الطعام . وما أكثر ما عندهم من هذه الخمور المعتقة ، وماء الحياة ، والمشرب المحاطى ! ولكل صنف خمره الخاصة به . إنهم يأكلون ويشربون فوق الأكل ، ثم يأكلون ويشربون بعد ذلك . . .

الفلاح الأول : الشراب يُمرّر الطعام .

الطاهية : قدرتهم على الأكل لا تُصدّق .

فليس من عاداتهم أن يجلسوا ، وأن يأكلوا ما هو ضروري ، وأن يرسموا علامة الصليب وأن ينهضوا . لأنهم يأكلون أبداً . . .

الفلاح الثاني : هم كالحنازير إذن التي تضع أرجلها في معلفها ؟

(الفلاحون يضحكون) .

الطاهية : لا يكادون يفتحون أعينهم — ليُسامحني الله ! - حتى يطلبوا الساور ، الشاي والقهوة والشوكولاته . ثم يأتي الغداء ، ثم العشاء ؛ ثم القهوة أيضاً . ثم يستلقون على ظهورهم ليهضموا ما أكلوه . ثم لمجة المساء ، والسكاكر والبسكويت . لا نهاية لذلك كله . حتى في الفراش يأكلون .

الفلاح الثالث : يا عيني ! يا عيني !

الفلاح الأول والفلاح الثاني : ما بك ؟

الفلاح الثالث : ليتني أستطيع أن أقضي يوماً واحداً فقط على هذا المنوال .

الفلاح الثاني : لكن متى ينصرفون لأعمالهم ؟

الطاهية : أيّ أعمال ؟ ورق اللعب والبيانو ، هذه كلُّ أعمالهم !
الآنسة هذه ، ما إن تفتح عينيها حتى تجلس إلى البيانو ،
وتخذُ ما شئت من العزف ! أما الآنسة الأخرى ، تلك
التي تعيش عندهم ، استاذة البيانو ، فهي تنتظر أن تفرغ
تلك من البيانو . فما تكاد الآنسة تفرغ حتى تبدأ هذه
عزفها عليه . وقد يأتون بالعينين ؛ فيجاس اثنان إلى كل
بيانو ، ويعزف الأربعة معاً بسرعة وبقوة حتى ليسمعَ
العزفُ هنا .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي !

الطاهية : فهذه أعمالهم كلّها ! البيانو أو الورق . ما يكادون
يجتمعون حتى يبدأ لعبُ الورق ، والخمر ، والتلخين ،
وهكذا إلى آخر الليل ! فلا ينهضون إلا ليأكلوا ، وليبدؤوا
من جديد .

المشهد - ٦ -

« الأشخاص أنفسهم وميمون »

سيمون : هنيئاً !

الفلاح الأول : اجاسُ معنا .

سيمون : شكراً جزيلاً !

(يتقدم إلى الطاولة ، يصبُّ له الفلاح الأول شايًا) .

الفلاح الثاني : أين كنتَ ؟

سيمون : كنتُ فوق .

الفلاح الثاني : ولماذا ؟

سيمون : لستُ أفهم شيئاً ممّا جرى ؛ ولا أدري كيف أقوله لكم . . .

الفلاح الثاني : وما الذي يفعلونه فوق ؟

سيمون : لا يمكنني حتى أن أقوله لكم . لقد حاولوا معي ما يسمونه قوة . أما أنا فلم أفهم شيئاً من ذلك . قالت لي تانيا : إن ذلك يساعد على بيع الأرض للفلاحين .

الفلاح الثاني : لكنّ ما الطريقة التي ستسلكها إلى ذلك ؟

سيمون : هذا ما لم أفهمه ؛ إنها لا تقول شيئاً . قالت فقط : « افعل ما أمرك به ! » .

الفلاح الثاني : وما الذي طُلب منك فعله ؟

سيمون : لا شيء ، حتى الآن . اجلسوني ، وأطفؤوا الأنوار ، وأمروني أن أنام . واختبأتُ تانيا أيضاً فوق ؛ هم لم يروها ، لكنني أنا رأيتهما . . .

الفلاح الثاني : ولم اختبأت .

سيمون : الله أعلم ! لا يمكن فهمُ السبب . . .

الفلاح الأول : من المؤكد أن ذلك للتسلية وقطع الوقت .

الفلاح الثاني : هذه قضايا أرى أننا لا نفهمها لا أنت ولا أنا . قل لي :

هل تسامحت مبالغاً كبيراً من أجرتك ؟

سيمون : لم أتسامح شيئاً . كل شيء في ذمتهم ؛ بقي لي ثمانية وعشرون روبلاً .

الفلاح الثاني : جيد ! لكن إن شاء الله ودبرنا الأرض فسأخذك إلى المنزل .

سيمون : أتمنى ذلك . . .

الفلاح الثاني : لا بد أنك فسدت هنا ، فيما أظن . فان نستطيع حرث الأرض . . .

سيمون : الحرث ! أتريد أن أجرب في الحال ؟ الحرث والحصاد ، سترى أنني لم أفقد مهارتي فيهما .

الفلاح الأول : لكن ذلك لن يبدو مسائياً لك ، بعد حياة المدينة .

سيمون : لا قيمة لذلك ، فالحياة حسنة في الريف أيضاً .

الفلاح الأول : وهذا هو العم دميتري الذي يود لو جرب هنا هذه الحياة الناعمة .

سيمون : اوه ! يا عم دميتري ؛ سينتهي بك الأمر إلى الانزعاج . العمل يبدو سهلاً في البداية ؛ لكن لا بد من الركض الكثير الذي يفتيل رأسك .

الطاهية : ما يجب أن تراه ، يا عم دميتري ، هو الحفلة الراقصة عندهم ! هذا ما سيدهشك !

الفلاح الثالث : وهل يأكلون فيها كل الوقت ؟

الطاهية : ليسُ الأمرُ كذلك ، لكن يجب أن ترى ماهي ، لقد
أتاح لي تيودور ايغا نوفيتش رؤيتها . ونظرتُ . النساء
فيها يلبسن ثياباً عجيبة . . . لم ترَ مثلها قط ! عاريات
حتى هنا . والذراعان عاريتان أيضاً .

الفلاح الثالث : يا إلهي !

الفلاح الثاني : يا للفضاعة !

الفلاح الأول : ذلك لأن الطقس يسمح لهم بذلك .

الطاهية : عندما رأيت ذلك ، قلتُ في نفسي : « ما هذا ؟ » .
عاريات تماماً ! أتصدق ؟ العجائز اللواتي لعل لهن أحفاداً
عاريات أيضاً !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهية : وليس هذا شيئاً يذكّر . فما أن تبدأ الموسيقى حتى يتقدم
الرجال ، كل واحد نحو سيدة فيطوّقها ويشرع في
الدوران .

الفلاح الثاني : والعجائز أيضاً ؟

الطاهية : والعجائز أيضاً .

سيمون : لا ، العجائز يَبْقَيْنَ جالساتٍ .

الطاهية : كلاً .

الطباخ العجوز ، يُري رأسه ويقول بصوت أجش : تلك رقصة البولكا
مازوركا ، الغبيّة لا تعرفها ! يرقصون هكذا . . .

الطاهية : أنتَ ، أيها الراقص ، الأفضل لك أن تسكت ! فهمت !
هناك شخصٌ آتٍ .

(الطاهي العجوز يختبئ على عجل)

المشهد - ٧ -

« الأشخاص أنفسهم وغريغوري » .

غريغوري للطاهية : هاتي شيئاً من الكرنب المخال .

الطاهية : صعدتُ من القبو لتوي ، ولا بدّ من النزول إليه أيضاً !
لِمَنْ الكرنب ؟

غريغوري : الآنستان تريدان أن تأكلا منه أسرعي . وأرسلنيه مع
سيمون ، فلا وقتَ لديّ أنا .

الطاهية : يتخمنن بالحلوى حتى ينعفننها ، حينذاك يشتهين المخال
الفلاح الأول : هذا لإسهال البطن .

الطاهية : نعم ، لكي يَخْضَلُو البطنُ ، ثم يبدؤون من جديد .

المشهد - ٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطاهية » .

غريغوري ، للفلاحين : أراكم جالسين إلى الطاولة ! لخذوا حذرَكم
لو علمتُ السيدةُ ذلك لوبختكم ، كما فعلتُ هذا
الصباح !

(يضحك ويخرج) .

المشهد - ٩ -

« الفلاحون الثلاثة ، سيمون ، الطاهي العجوز ، على الموقد » .

الفلاح الأول : لا شك أنها هاجت وماجت هذا الصباح كالعاصفة ؛
كان ذلك رهيباً !

الفلاح الثاني : أظنّ أن السيّد كان يريد الدفاع عنا ؛ لكنه عندما رأى
العاصفة تقتلع سقّف المنزل صمّق الباب ، وكأنه قصّد
أن يقول : لا بارك الله بها !

الفلاح الثالث ، ماوْحاً بيده : الشيء نفسه دائماً . فعجوزي تحتدُّ
أحياناً إلى حدّ رهيب ! فلنخرج من البيت . الأفضل أن
أدعها وشأنها ! وإلاّ لقتلتنني بجديدة النار . أوه ! يا
إلهي !

المشهد - ١٠ -

« الأشخاص أنفسهم ويعقوب »

يعقوب : يركض ومعه وَصْفَةُ الطبيب : سيمون ، أركضْ إلى
الصيدلية ، أسرعْ ؛ وهات المساحيق للسيدة .

سيمون : لكنني أمِرتُ بعدم الخروج .

يعقوب : سيكون لديك متسعٌ من الوقت ؛ لن يهتموا بك إلا بعد
الشاي . هنيئاً !

الفلاح الأول : اجاسْ معنا .

(يخرج سيمون) .

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون »

يعقوب : ليس لديّ وقت ؛ لكن صُبّ لي مع ذلك فنجاناً من الشاي
حرصاً على صحبتكم .

الفلاح الأول : اسمع ، كنا نتحدث عن سيّدك : عن أنها تصرّفت
بتكبّر .

يعقوب : اوه ! هذه تثور إلى حدّ رهيب . إنها تتحدّ حتى تفقد
رشدها ! وأحياناً تبيكي من جرّاء ذلك . . .

الفلاح الأول : وبهذه المناسبة ، أودّ أن أسألك : ما هذا « المكروت (١) »
الذي تحدّثت عنه ؟ كانت تقول : المكروت ، المكروت ،
الذي تَحْمِلُونَهُ إلى هنا ! ما المقصود بهذا المكروت ؟

يعقوب : آه هذا « مكروب » . يقولون : إنها حشرات صغيرة
هي سبب كل الأمراض . وهي ، مثلاً ، عليكم . وكم
غسلوا وغسلوا وراءكم . وكم رشّوا ورشّوا المكان
الذي كنتم فيه ! هناك دواء خاص يَقتل هذه الحشرات .

الفلاح الثاني : لكن أين هذه الحشرات علينا ؟

يعقوب ، يشرب شايه : يقولون إنها صغيرة جداً بحيث لا تُرى حتى
بالنظارة .

(١) المكروت : تشويه للكلمة « مكروب » : الجراثيم .

الفلاح الثاني : وكيف علمت أن عليّ مثل هذه الحشرات ؟ ربما كان عليها من هذه الأوساخ أكثر ممّا عليّ ؟

يعقوب : نعم ، لكنّ أسألها هي !

الفلاح الثاني : أنا أعتقد أن ذلك كاه حماقات .

يعقوب : بالتأكيد ، حماقات ! لكنّ لا بدّ للأطباء من أن يخترعوا شيئاً ؛ وإلاّ فما جدوى إعطائهم المال ؟ هناك طبيب يأتي إلى هنا كل يوم ؛ إنه يأتي ، ويتحدث قليلاً ، ويقبض أجرته على ذلك عشرة روبلات .

الفلاح الثاني : لا يُصدّق هذا ؟

يعقوب : وهناك آخر أيضاً ، يقبض ورقة بمائة روبل .

الفلاح الأول : اوه ! ورقة بمائة روبل !

يعقوب : ورقة بمائة ! ألا تصدّق ؟ بل إنه يقبض ألف روبل إذا خرج خارج المدينة ! يقول لك : أعطني ورقة بألف روبل ، فاذا لم تُعطِ ، مُت ! . . .

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الفلاح الثاني : وما معرفته ؟ أيتعرّف كلاماً سحرياً ؟

يعقوب : لا شك أنه يعرف . كنتُ أخدمُ عند جنرال ، قرب موسكو . كان رجلاً غضوباً ، شديد الافتخار بنفسه ، ذلك الجنرال . وإذا بابنته تمرّض ، فيرسل منّ يُحضّر الطبيب . قال الطبيب : « ادفعوا ألف روبل وسأذهب » .

فقبلوا وسؤي الأمر ، وجاء الطبيب ، لكن شيئاً ساءه
فأخذ يصرخ على الجنرال : أوه ! يا أصدقائي ! أوه !
أهكذا تعاملني ! هكذا ! حسناً ! لن أعالجها ! « حينئذ
أضاع الجنرال كبرياءه ، وتملق الطبيب بألف طريقة
وطريقة ، قائلاً : « يا صاحبي ، لك كل ما تريد ،
لكن لا تتركها ! »

الفلاح الأول : وورقة الألف ، هل دُفِعتْ له ؟

يعقوب : هل دُفِعت . . . وكيف لا ؟

الفلاح الثاني : يا له من مال مفيد ! ما أكثر ما يستطيع الفلاح أن يفعل
بهذا المال ! . . .

الفلاح الثالث : أعتقد أن ذلك كله حماقات . فمنذ خمس سنوات
تقيّحت قدمي ، وعالجتها ، وعالجتها ! ولعلي أنفقت
عليها خمسة روبلات . فلما توقفتُ عن معالجتها شفيتُ
من ذاتها .

(الطاهي العجوز يسئل على الموقد) .

يعقوب : هذا البائس ما يزال هنا !

الفلاح الأول : مَنْ هذا الرجل ؟

يعقوب : كان طاهياً لسيّدنا ؛ وهو يأتي هنا ليرى « لوكيريا » .

الفلاح الأول : كان طاهياً ، فهل يعيش هنا ؟

يعقوب : لا ، لا يُسَمَح له بالعيش هنا ؛ يومٌ هنا ، وليلةٌ هناك .

إذا حصل على ثلاثة كوبيكات ذهب إلى الملاجئ ؛ فإذا شرب بها عاد إلى هنا .

الفلاح الثاني : لكن كيف وصل إلى هذه الحالة ؟

يعقوب : هكذا . ثم ارتخت أخلاقه . ومع ذلك فأني رجل كان !
... كان كأنه السيد . كان يحمل ساعة ذهبية ، ويقبض أربعين روبلاً في الشهر . أما الآن فلولا « لوكيريا » لمات منذ زمن بعيد من الجوع .

المشهد - ١٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، ثم الطاهية حاملة المخال »

يعقوب ، للوكيريا : أرى أن بول بيتروفيتش ما يزال هنا ؟

الطاهية : وأين تريد أن يذهب ؟ ليموت من الجوع ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : هذا ما تفعله الخمر ! الخمر ، لينقل ...

(يضرب سقف حلقه بإسائه بشفقة ويهز رأسه) .

الفلاح الثاني : لاشك أن الإنسان إذا قوِيَ صار أقوى من الحجر ؛

لكنه إذا ضعف صار أضعف من الماء !

الطاهي العجوز ، ينزل عن الموقد ، يدها وساقاه ترتجفان : لوكيريا ،

قلتُ لك ، أعطيني قلحاً صغيراً !

الطاهية : إلى أين تذهب ؟ سأعطيك قلحاً صغيراً !

الطاهي العجوز : أتخافين الله ؟ إني أموت ! يا أصدقائي ، أعطوني

قطعة خمسة كوبيكات !

الطاهية : قلتُ لك اصعدْ إلى الموقد .

الطاهي العجوز : يا طاهية ، أعطيني نصف قدح صغير ، أرجوك ،
بجاه المسيح ! أتفهمين ، أسألك ذلك باسم المسيح ! . . .

الطاهية : هيّا ، هيّا . . . خذ ، أشرب الشاي !

الطاهي العجوز : ما هذا الشاي ؟ ما هذا الشاي ؟ شرابٌ لا يصلح
لشيء ، لا قوة فيه . . . أريدُ خمرًا . . . جرعة واحدة
فقط . . . يا لوكيريا ! . . .

الفلاح الثالث : آه ! البائس ، كم يتألم !

الفلاح الثاني : لكنْ ، أعطيه شيئاً .

الطاهية ، تتناول من الخزانة زجاجةً وتصب له قلدحاً صغيراً :
خذْ ، ولن أعطيك غيره !

الطاهي العجوز ، يمسك القدح بحدّة ويشرب وهو يرتجف :
لوكيريا ! . . . سأشرب . . . وأنتِ . . . تفهمين . . .

الطاهية : كفى ، كفى كلاماً ! اصعدْ إلى الموقد ، ولا تُسمع
أحدًا أنفاسك بعد الآن .

(يصعد الطاهية العجوز وهو يتمتم بشيء دون انقطاع)

الفلاح الثاني : ما أعجبَ حالَ الإنسان إذا ضعف !

الفلاح الأول : طبعاً . . . الضعف البشري .

الفلاح الثالث : نعم ، لا جدالَ في ذلك .

(يستلقي الطاهي العجوز وهو يتمتم طول الوقت . صمت) .

الفلاح الثاني : اسمع ، أحببت أن أسألك عن سلوك تلك الفتاة ، ابنة
« أكرينيا » التي تعيش عندكم والتي هي من عندنا .
عَئِيتُ : هل هي شريفة ؟

يعقوب : فتاة طيبة ، لا جدال في ذلك . . .

الطاهية : سأقول لك الحقيقة الخالصة ، أيها العم ، لأنني خبيرة
بالأخلاق هنا : إذا كنت تريد تاتيانا لابنة ، فخذها
بأسرع ما يمكن قبل أن تفسد أخلاقها . وإلا فإن ثَمَمَات من
الفساد . . .

يعقوب : نعم ، هذا صحيح . ففي الصيف الماضي ، كانت عندنا
فتاة ، وكم كانت طيبة ! لقد سقطت بلا مبرر ، مثل
هذا . . .

(يشير إلى الطاهية العجوز) .

الطاهية : كم يسقط هنا ، من جنسنا ! تستطيع أن تصنع منهن سداً .
كل واحدة تريد العمل الهين ، والغذاء الحاو ، ثم لا
تلبث بفضل هذا الطعام الحاو ، أن تفضل سبياتها ، فإذا
ضلت سبياتها لم يازمها أكثر من ذلك لتطرد مباشرة ،
ولتحل محلها فتاة أكثر نضارة ، هكذا زلت قدم ناتالي
المسكينة وسرعان ما طردت . لقد وضعت ، ومرضت ،
وفي الربيع الماضي ، ماتت في المستشفى . ومع ذلك فكم
كانت طيبة !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! هؤلاء ناس ضعفاء ، ويجب أن
نشفق عليهم .

الطاهي العجوز : آه ! نعم ! يشفقون عليك ؛ هؤلاء الشياطين !
(يُسْقِط رجاياه من الموقد) . شَوَيْتُ نفسي ثلاثين عاماً
قربَ الفُرن ، فلما صرتُ عديمَ الفائدة قالوا لي : مُتْ
كالكلب ! نعم ، كلَّهم شفقة !

الفلاح الأول : نعم ، بلا شك ، هذا موقف معروف . . .

الفلاح الثاني : بينما كانوا يأْكُون ويشربون كانوا يناحونك : أير
الفتى الجميل ؛ وعندما انتهوا من شرابهم وطعامهم قالوا
لك : وداعاً أيها الأجير !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهي العجوز : وكم عندهم من صنوف الطعام ! هل سمعتَ بالمقلي
على طريقة بومون ، وبالشوكولاته المصنوعة بالزبدة
المعطرة . . . آه ! ما أكثر الأصناف التي كنت أحسنُ
صُنْعَهَا ! فكروا قليلاً ! . . . الامبراطور كان يأكل
من صنعي ، وأنا الآن لا أصاح إلا للجحيم ! لكنني لن
أستسام ، أنا !

الطاهية : آه ! آه ! لقد بدأ يتحدث ! أتريد أن تسكت ! البُذْ
في الزاوية حتى لا يراك أحد ! وإلاّ طَرَدوني معك ،
إنْ دخل تيودور إيفانوفيتش أو غيره .

(صمت)

يعقوب : أتعرفون بلدي ، فوسنيسنكوي ؟

الفلاح الثاني : وكيف لا أعرفه ! هو على سبعة عشر أفرسخاً منا ،

لا أكثر ؛ وإذا ذهبنا عن طريق مَعْبَر القَنَاة غدت المسافة أقرب . أعنك أرض ؟

يعقوب : أبي عنده أرضٌ ، وأنا أرسلُ إليه المال . لأنني وإن عشتُ هنا عيشةً حسنةً إلا أنني أذوب شوقاً إلى البيت .

الفلاح الأول : لا شك .

الفلاح الثاني : أخوك ، إذن ، هو أنيسيم ؟

يعقوب : آه ! نعم ! هذا أخي — في آخر البادية

الفلاح الثاني : ايه ! نعم ! وكيف لا أعرف البيت الثالث .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم وتانيا مسارعة »

تانيا : يعقوب ايفانيتش ، فيم تتباعدُ هنا ؟ إنها تدعوك .

يعقوب : أنا ذاهب على الفور ! ما الأمر ؟

تانيا : فيفكا تنبح ؛ وهي جائعة ، والسيدة غاضبةٌ عليك . . .

تقول : « ما أخبثه ، وما أقل شفقتَه ! كان يجب أن

تتعشى فيفي ولم يأتِها بشيء » .

« تانيا تضحك »

يعقوب ، بهم بالخروج : هي غاضبة ! ستسوء الحال .

الطاهية ، ليعقوب : خذْ معك إذن المخاليل .

يعقوب : هاته ، هاته .

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا يعقوب » .

الفلاح الأول : دَوْرُ مَنْ للعشاء الآن ؟

تانيا : دور الكاب ؛ كلبها هي . (تجلس وتتناول غلاية الشاي) .
أعندكم شاي ؟ لا يُهم . جئت معي بالشاي .

(تضع شاياً في الغلاية)

الفلاح الثاني : عشاء لكلب ؟

تانيا : بالتأكيد ، تُقلى له ضاعةٌ قصداً لكي لا يَسْمَن كثيراً .
بل لاني أغسل له غسيله ، الكلب . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

تانيا : مثلها مثل ذاك السيّد الذي قام بدَفْن كلبه .

الفلاح الثاني : وكيف ذاك ؟

تانيا : هكذا ! حدثني رجلٌ أن كاباً هَلَكَ عند ذاك السيّد ،
فاذا به يخرج في عربته ، شتاءً ليدفنه . فإمّا انتهى الدفنُ
عاد وهو يبكي . كان الوقت صقيعاً ، وكان الحوذي يمسح
أنفه الذي سال . . . اسمعوا لي أن أسكب لكم (تصبّ
الشاي) . كان أنفه يسيل وهو يمسحه . فلما شاهده
السيّد سأله : لم تبكي . فقال له الحوذي : وكيف لا
أبكي ، يا سيدي ! ما كان أروعه بين الكلاب !

(تضحك)

الفلاح الثاني : وأظنّ أنه كان يفكّر بينه وبين نفسه : « حتى لو
هالكت أنت نفسك لما بكيتك ! »

(يضحك)

الطاهي العجوز ، من فوق الموقد : صحيح ! ... صحيح !

ثانيا : طيب ! ويعود السيّد إلى بيته . وسرعان ما يذهب إلى
السيدة ، ويقول لها : « ما أطيبَ حوْذَينا ! لقد بكى طوال
الطريق ، لفرط ما أَسِفَ على كلبنا . » فتقول ليُؤتَ به .
تعال ! اشربْ جرعةً ، وهذا روبل مكافأة لك . معامتُنا
شبيهة بها . لكن يعقوب لا يشفق على كلبها .

الفلاح الأول : حلوةٌ هذه !

الفلاح الثاني : حلوة حقاً .

الفلاح الثالث ، ضاحكاً : آه ! كم أضحكْتِنا ، يا بنتي !

ثانيا ، تصبّ الشاي : اشربوا شاياً أيضاً . الحياةُ في الظاهر فقط جميلةٌ
هنا ، لكن من المقرّر أحياناً تنظيف الأوساخ الموجودة !
الحياة في القرية أفضل .

(الفلاحون يَقبلون فزاجينهم) .

ثانيا ، ساكبةٌ الشاي : اشربوا أيضاً . على صحتك ، يا ايفيم
انتونيتش ! أأصبُّ لك مزيداً من الشاي ، يا دميتري
فلاسييفيتش ؟

الفلاح الثالث : طيب ! صُبِّي ، صُبِّي ! ...

الفلاح الأول : وقضيتُنا ؟ هل هي ماشية في طريقها ؟

ثانيا : لا بأس ، هي ماشية .

الفلاح الأول : قال لنا سيمون . . .

ثانيا ، بحدّة : قال لكم ؟ . . .

الفلاح الثاني : ولم نستطع أن نفهم شيئاً . . .

ثانيا : لا أستطيع أن أقول لكم شيئاً الآن . لكنني سأبدل وسعي .

هذا هو عقدكم (تريحهم ورقة العقد تحت مئزرها .)

على شرط أن يتّضح ذاك الشيء ! آه ! كم سيكون ذلك

رائعاً !

الفلاح الثاني : إياك أن تضيعي العقد ، فقد كاتّفنا كثيراً !

ثانيا : اطمئنّوا ، يجب أن يوقّع فقط ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : ماذا نريدُ أكثر من هذا ؟ إذا وقّع للعقد انتهى كلُّ

شيء . . . (يفتّاب فنجانَه) آه ! كفى .

ثانيا ، محدّثة نفسها : سيوقع ، ستروُن أنه سيوقع ! خذوا مزيداً

من الشاي .

الفلاح الأول : دبّري فقط قضية بيع هذه الأراضي ؛ افعلي ذلك

وستزوّجكِ الناحية نفسها .

(يرفض الشاي)

ثانيا ، تصبّ الشاي وتقدّمه : اشربوا ، من فضلكم .

الفلاح الثالث : توصّلي إلى ذلك وسوف نزوّجك . وسأتي لأرقص

في عرسك . سأرقص هذه المرة مع أني لم أرقص قط .

تانيا ، ضاحكة : أُملي ، إذن ، كبير .

الفلاح الثاني ، فاحصاً تانيا : جيّد ، جيّد ! لكنك لست صالحةً لعمل
الاحتول .

تانيا : أنا ؟ أتظنّني ضعيفة القوى ؟ لو رأيتَ فقط كيف أشدّ
السيدة ! لا يستطيع فلاحٌ أن يشدّها خيراً مني .

الفلاح الثاني : وأين تشدّينها ؟

تانيا : إن لها شيئاً كهذا ، مع نوابض ، هو نوع من القميص
الذي يصل إلى هنا . ونحن نشدّها بأربطة كما يُحزَم
الجواد ، عندما يَبْصُق فارسُه في يديه ليُحسن شدّ
الأحرمة .

الفلاح الثاني : أنتِ تسرجينها إذن ؟

تانيا : أنا أسرجُها ، نعم ، ولا أستطيع أن أستند بقدمي عليها .

(تضحك)

الفلاح الثاني : ولم تشدّينها ؟

تانيا : لكن لكي . . .

الفلاح الثاني : هل كانت قد نذرتُ نذراً ؟

تانيا : لا ، من أجل الجمال .

الفلاح الأول : أنتِ إذن ترقّقين بطنها لتغدو شكلاً جميلاً ؟

تانيا : إنني أحزّمها بقوة شديدة حتى لتخرج عينها من رأسها
وهي لاتني تقول : « شدّي ، شدّي ! . . . » وحتى

تُحرق يداي من جرّاء ذلك . وتقولون بعد ذلك إنني
ضعيفة القوى . (الفلاحون يضحكون ويهزّون رؤوسهم) .
لكنني أضيع وقتي !

(تخرج وهي تضحك) .

الفلاح الثالث : إنها لفتاة رائعة ! كم أضحكتمنا !

الفلاح الأول : نعم ، إنها حسنة المظهر .

الفلاح الثاني : نعم ، لا بأس .

المشهد - ١٥ -

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الفلاح العجوز على الموقد . يدخل
ساخاتوف وباسيل ليونيديتش . يحسك ساخاتوف بيده معلقة شاي » .

باسيل ليونيديتش : لم يكن عشاءً بالضبط ، لكنه كان غداءً عشائياً .
وسأقول لك شيئاً : لقد كان هذا الغداء ممتازاً . لحم الخنزير
المدهش الذي يحسن « رولبيه » صنعه . أنا عائد من هناك
للتوّ . (يشاهد الفلاحين) آه الفلاحون ما يزالون هنا ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم ، كل هذا رائع ، لكننا جئنا إلى هنا لنخفي
هذه المعلقة . فأين يجب أن نُخفيها ؟

باسيل ليونيديتش : عَمَّوَك . (للطاهية) . والكلاب ، أين هي ؟
الطاهية : في غرفة الخوذين . وهل نستطيع أن نضعها في غرفة
الخدمة ؟

باسيل ليونيديتش : آه ! في غرفة الخوذين ! ايه ماذا ؟
ساخاتوف : أنا انتظر .

باسيل ليونيديتش : عفواً ، عفواً . ماذا ؟ أين نخبثها ؟

ساخانوف : اسمعْ ما أقوله لك . . . ضَعْنِها في جيب أحد هؤلاء
الفلاحين . في جيب هذا مثلاً ، قل لي ، ألت ، أين
جيبك ؟

الفلاح الثالث : وما حاجتك إلى جيبتي ؟ هذا جيبتي ، وفيه نقود . . .

ساخانوف : حسناً ! أين كيس نقودك ؟

الفلاح الثالث : هل يخصاك هذا ؟

الطاهية : ماذا تقول ! هذا هو السيد الشاب .

باسيل ليونيديتش ، ضاحكاً : أتعلم لم يخاف هذا المخوف ؟ أقوله لك ؟
إن معه مبالغاً كبيراً من المال . ايه ماذا ؟

ساخانوف : نعم ، نعم ، فهمتُ . اسمعْ إذن : اشغلتهم لحظة وأنا
سأخبئها ، أثناء ذلك ، في هذا الكيس بحيث لا يعلمون
أين هي ولا يستطيعون أن يدلّوه عليها . تحدثْ معهم .

باسيل : في الحال ، في الحال . ماذا ، يا أولاد ، أتريدون شراء
الأرض ؟ ايه ماذا ؟

الفلاح الأول : نحن نؤيّننا ذلك من كل قابونا ، لكن القضية لا
تَسِير كما نريد . . .

باسيل ليونيديتش : لكنْ ، لا تكونوا بخلاء أنتم . فالأرض شيء
مهم جداً . لقد قاتلْ لكم . النعناع أو حتى التبغ . . .

الفلاح الأول : طبعاً ، نستطيع أن نزرع فيها جميع أنواع المحاصيل . .

الفلاح الثالث : وأنت ، يا سيدي ، كَأَمِّ أباك في ذلك . العيش
مستحيل . فأرضنا صغيرة ، ولا مكان فيها لدجاجة !
ساحاتوف : وقد أخفى الملعقة في كيس الفلاح الثالث : تمّ الأمرُ .
هيا .

باسيل ليوتيديتش : وأنتم ، لا تكونوا بخلاء . حسناً ! إلى اللقاء

(يخرجان)

المشهد - ١٦ -

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الطاهي العجوز على الموقد » .

الفلاح الثالث : قلتُ لكم : لنذهبْ إلى النزل . كنا سننق ، لنقلْ ،
قطعة من عشرة كوبيكات ، لكننا كنا سنرتاح على الأقل !
أما هنا فنعوذ بالله ! يقول : هات المال . لم ذاك ؟

الفلاح الثاني : لعاه قد شرب .

(يتقلب الفلاحون فجاجينهم ، ينهضون ، ويرسمون علامة
الصليب) .

الفلاح الأول : وأنت ، أتذكر ما قاله ؟ . كيف خطّر على باله
أن يقترح علينا زراعة النعناع ؛ لا بدّ من فهم . . .

الفلاح الثاني : نعم ، زراعة النعناع ، رأيّت ! اذهب إذن ، واكدهُ
بنفسك ! عند ذاك ستعرف كيف تطاب زراعة النعناع !
وأنت أيتها الصديقة الحلوة ، قولي لنا : أين يمكن أن ننام ؟

الطاهية : لينمّ أحدُكم على الموقد ، والآخران على المقاعد .

الفلاح الثالث : لِيَحْفَظْكَ الْمَسِيحُ !

(بِصَاحَتِي)

الفلاح الأول ، مصطفىجاً : إذا شاء الله وتَمتَّ الصفقةُ استطعنا أن نسافر في القطار ، غدا بعد الظهر ، ووصلنا نهار الثلاثاء .

الفلاح الثاني : هل ستُطَفِّئُ الأنوار ؟

الطاهية : ولم أطفئها ؟ فهناك حركةٌ ذهاب وإياب مستمرة . هم يَطْلُبُون هذا الشيء تارةً ، ويطلبون غيره تارةً أخرى ... لكنْ ناموا . . . وسأُخَفِّضُ النور .

الفلاح الثاني : أيمكننا العيش إذا لم نملك ما يكفي من الأرض ! لقد بدأتُ أَشْتَرِي القمحَ في هذه السنة ، منذ عيد الميلاد ؛ وتبينُ الشوفانُ مشرفٌ على نهايته . لو كان عندي أرضٌ لبذرتُ أربعة هكتارات ، ولأخذتُ سيمون إلى المنزل . . .

الفلاح الأول : أسرْتُكَ كبيرةٌ ، أنت ؛ وتستطيع أن تَحْصِدَ دون صعوبة ، على شرط أن يكون هناك ما يُحْصَد . ليت هذه الصفقة تتم فقط .

الفلاح الثالث : يجب أن نتشفع بسيِّدة السموات . فربما تَحْنَتُ علينا .

المشهد - ١٧ -

« صمتٌ وتنهيدات . ثم يُسْمَعُ وقعُ خطوات ، وأصوات ، ثم يُفْتَحُ الباب على مصراعيه أمام الأشخاص المسارعين . غروسمان ،

معصوب العينين ، يمسك بيد ساخاتوف ، الأستاذ ، الطبيب ، السيدة
البدينة وليونيد فيودوروفيتش ، بيتسي ، بيريشتييف ، باسيل ،
ليونيديتش ، وماريا كورنستانيينوفنا ، السيدة البارونة ، تيودور ،
ايفانوفيتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، والطاهي العجوز
الذي لا يرى . يدخل غروسمان بخطوات حثيثة ثم يقف فجأة » .

السيدة البدينة : لا تحشوا شيئاً ! فأنا أراقبه . لقد تعهدتُ بذلك ،
وأنا أؤدي واجبي بدقة . سيرج ايفانوفيتش أأست
تقوده ؟

ساخاتوف : كلا ، كلا !

السيدة البدينة : يجب ألاّ تقوده ، لكن يجب أيضاً ألاّ تقاومه .
(لليونيد فيودوروفيتش) . أعرفُ هذه التجارب .
جربتها بنفسي . كنتُ أحسّ بتيارٍ ، وسرعان . . .
ليونيد فيودوروفيتش : اسمحي لي أن أرجوك أن تازمي الصمت .

السيدة البدينة : اوه ! إنني أفهم جيداً ، خبّرتُ ذلك بنفسي ما إن
ينصرفُ الانتباه حتى أعجز عن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صه !

(يمشون ويتجهون إلى الفلاحين الأولين ، ثم يتقدمون نحو الثالث .
ويصطدم غروسمان بالمقعد) .

البارونة : لكنّ قولي لي ، هل هو مأجور ؟

السيدة : لا أعلم شيئاً من ذلك .

البارونة : لكنه سيّد نبيل ؟

السيدة : أوه ! نعم !

البارونة : إن ذلك لا يخلو من معجزة ، أليس كذلك ؟ إذ كيف يجد ما هو مخبئاً ؟

السيدة : لا علم لي بذلك ، سيشرح لك زوجي الأمر (تشاهد الفلاحين ، وتنتفت فتري الطاهية) عفواً ! ما هذا ؟ عفواً . (تقرب البارونة من الجماعة) . من سمح للفلاحين بالدخول إلى هنا ؟

الطاهية : يعقوب هو الذي أدخلناهم .

السيدة : ومن أمر يعقوب بذلك ؟

الطاهية : لا يمكنني معرفة ذلك . لقد رأهم تيودور ايفانوفيتش هنا .

السيدة : ليونيد ! (ليونيد فيودوروفيتش لا يسمعها ، لانصرافه كائياً إلى بحث غروسمان) . تيودور ايفانوفيتش ، ما معنى هذا ؟ ألم تر أنني طهرت غرفة الانتظار ، فلوّثتم لي الآن المطبخ والخبز الأسود والخمر . . .

نيودور ايفانوفيتش : ظننت أنه لا خطر من ذلك . لقد جاء هؤلاء الأشخاص من أجل عمل لهم ؛ جاؤوا من بعيد ، من الريف . . .

السيدة : لكنهم جاؤوا بالضبط من قرية في مقاطعة كورسك حيث يموت الناس كما يموت الذباب من اللغثيريا ! وأمرت بعدم إبقائهم في المنزل . أقلت هذا ، نعم أم لا ؟ (تتقدم

نحو الجماعة التي تشكّات حول الفلاحين) . احذروا ، لا
تمسّوهم ، فهم ماوثون بالدفتر يا !

(لا يصغي أحد إليها ؛ تبتعد بوقار وتنتظر بلا حراك) .

بيريشتيف ، يتشمم : لا أدري إن كانت هذه هي عدوى الدفتر يا ،
لكنّ في الجوّ عدوى الدفتر يا . أتحمسون بذلك ؟

بيتي : لا تخترع الأشياء ! فوفو ، في أي كيس ؟

باسيل ليونيديتش : في الكيس الآخر ، في الكيس الآخر ! إنه يقترب
منه ، إنه يقترب منه . . .

بيريشتيف : من أين تأتي هذه الرائحة ؟ من روح ؟

بيتي : هذا هو الوقت الذي أصبحت فيه سيجاراتك مناسبة .
دَخَنَ ، دَخَنَ ، على مقربة أكبر مني .

(ينحني بيريشتيف ويتغطى بالدخان) .

باسيل ليونيديتش : إنه يقترب ، قات لكم إنه يقترب ! ايه ماذا ؟

غروسمان ، متحمساً بقاقٍ ما حول الثالث : هي هنا ، هي هنا !

السيدة البدينة : أتحسّ بالتيتار من جديد ؟

(ينحني غروسمان ويعثر على الحقنة . حماسة عامة) .

الجميع معاً : مرحى !

باسيل ليونيديتش : آه ! هنا كانت ماعقتي إذن ! (للفلاح) . آه !

أهكذا أنت ؟

الفلاح الثالث : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ لم آخذ ماعقتك ! ماذا يحتاج !
لم أُمسَسْنها ! الحقّ أني لا أعرف شيئاً عن ذلك ! لِيَقْلُ
ما شاء ! كنت واثقاً من أنه لم يأت إلى هنا بنية حسنة . قال
لي : أعطني كيسَ نقودك ! أما أنا فإني آخذ الماعقة . يشهد
المسيحُ أني لم آخذها .

(يحيط به الشباب ويضحكون) .

ليونيد فيدوروفيتش ، وقد بدا عليه الغضبُ ، لابنه : أنت لا تكفّ عن
الخماقات أبداً . (للفلاح الثالث) . لا تفارق ، يا صاحبي .
فنحن نعلم جيداً أنك لم تَسْرِقْها . كان ذلك تجربةً .

غروسمان ، يرفع العصا به عن عينيه ويتظاهر بأنه أفاق : أعطوني
ماءً من فضلكم .

(الجميع يسارعون إليه) .

باسيل ليونيديتش : لِنَذْهَبْ إلى غرفة الخوذين ، وسأريكم
الساوَيَّ الذِكرَ الجميل الذي عندي . مذهب ! إيه ماذا ؟

بيتسي : ما أقبح هذه الكلمة . ! أما كنتَ نستطيع أن نقول « كاذب »
فقط .

باسيل ليونيديتش : لا ، فكما أني لا أستطيع أن أقول عنك : أيّ
رجل مذهب بيتسي ! بل يجب أن أقول أية فتاة !
فكذلك الأمر هنا ، ماذا ؟ أليس ذلك جميلاً ، يا ماريا
كونستانتينوفنا ؟

(يَضْحَك)

ماريا كونستانتينوفنا : حسناً ! هيّا .

(ماريا كونستا نتينوفنا ، بيتسي ، بيترتشتيف ، باسيل ،
ليونيديتش يخرجون) .

المشهد - ١٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ماريا كونستانتينوفنا ، بيتسي ،
بيترتشتيف ، وباسيل ليونيديتش »

السيدة البدنية ، لغروسمان : ماذا ! هل استرحت ؟ (غروسمان
لا يجيب . لساخاتوف) . هل أحسست بالتّيار ، يا سيرج
ايفانوفيتش ؟

ساخاتوف : لم أحس بشيء على الإطلاق ؛ لكن التجربة كانت ممتازة ،
وقد نجحت تماماً .

البارونة : رائع ! ألا يؤلمه ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أبداً .

الأستاذ ، لغروسمان : اسمح لي ، من فضلك (يقدم له ميزان
حرارة) في بداية التجربة كانت حرارتك ٣٧,٢ .
(للطبيب) أليس كذلك ؟ تكررَ بحسّ نبضة ، أرجوك .
إن نقصان القوة لا مفرّ منه .

الطبيب : حسناً ! لتتحقّق ، ياسيدي ، لتتحقّق . (لغروسمان) .
أعطني نبضك .

(يخرج ساعته ويمسك بيده) .

السيدة البدينة ، لغروسمان : عفواً ، لكن الحالة التي كنتَ فيها لا يمكن أن تُسمّى نوماً ؟

غروسمان ، متعباً : هي مع ذلك النوم المغناطيسي . . .

ساخاتوف : يجب أن يُفهمَ إذن ، أنك نومتَ نفسَكَ بنفسك ؟

غروسمان : ولمَ لا ؟ فاليوم المغناطيسي لا يمكن أن يحدث فقط بالتداعي أو بأصوات الطنطنة كما هي الحال عند شاركو (١) مثلاً ، بل بمجرد الدخول إلى المنطقة الباطنية .

ساخاتوف : صحيح . لكنّ من المرغوب فيه ، مع ذلك ، تعريف النوم المغناطيسي تعريفاً أدقّ .

الأستاذ : النوم المغناطيسي ظاهرةٌ تحويل طاقة إلى أخرى .

غروسمان : شاركو لا يعرفها هكذا .

ساخاتوف : عفواً ، عفواً ، هذا رأيك . . . لكن ليبو قال لي أنا نفسي . . .

الطبيب ، مُرخياً يد غروسمان : كفى ، اكن يجب أن نقيس الحرارة الآن .

السيدة البدينة ، تُشارك في الحديث : آه ! لا ! عفواً . . أنا أوافق الكسي فلاديمير وفيتش . ودونك أسطعُ البراهين ! فعندما كنتُ أغيبُ عن الوعي ، بعد مرضي ، كنتُ

(١) شاركو : « شاركو » ، وكذلك « ليبو » استاذاً طب الأمراض النفسية في باريس حيث يزعم غروسمان أنه أنهى دراسته .

أحسن في هذه اللحظة بالحاجة إلى الكلام، ثم إلى الكلام!
وقد قيل لي إنني كنتُ أُسرفُ في الكلام حتى كان الجميع
يدهشون من ذلك . (لساخاتوف) . على كل حال ،
لقد قاطعتك ، فيما أظن .

لساخاتوف ، بوقار : لا . أرجوك .

الطبيب : النبض اثنان وثمانون . وارتفعت الحرارة ثلاثة أعشار .

الأستاذ : حسناً ! هذه هي الأدلة ؛ هذا ما لا بدّ من حدوثه .
(يُخرج دفترًا صغيراً ويسجّل) . اثنان وثمانون ، تماماً ،
و ٣٧,٥ ... ما إن يحصل النوم المغناطيسي حتى تتسارع
دقات القلب ...

الطبيب : أستطيع أن أشهد ، بصفتي طبيباً ، أن توقعكم قد تأكّد
كيمياً .

الأستاذ ، لساخاتوف : ماذا كنت تقول ؟

لساخاتوف : كنت أريد أن أقول : إن « ليبو » نفسه قال لي : إن النوم
المغناطيسي ليس سوى حالة نفسية عادية تضخمت بسبب
انتباه غير عادي . وإذن ...

الأستاذ : صحيح ، لكن قانون التعادل بخاصة ...

غروسمان : وفضلاً عن ذلك ، فهيهات أن يكون « ليبير » حجة ؛
لكن شاركو درس المسألة من وجوها كافةً ، وبرهن
على أن النوم المغناطيسي الذي تحدّثه صدمة ...

ساخاتوف ، يتحدث في الوقت الذي يتحدث فيه الآخرون : لا شك
أني لا أنكرُ عمل « شاركو » ، وأنا أعرف هذا العمل .
لكنني أكرّر فقط ما قاله ليولي .

غروسمان ، مبتدأً : في مستشفى « السالبيترير » ثلاثة آلاف مريض ،
وقد حضرتُ الدروسَ الكاملة . . .

الأستاذ : عفواً . . . ياسيتدي ، ليس هذا هو الموضوع .

السيدة البدينة ، مشاركة في الحديث : سأشرح لكم ذلك في كلمتين :
عندما كان زوجي مريضاً ويَسِس الأطباءُ منه . . .

ليونيد فيودوروفيتش : هيا ، لندخلْ قاعة الاستقبال ، يا بارونة ،
إذا شئت .

(السيدة البدينة ، غروسمان ، الأستاذ ، الطبيب ، البارونة ،

ساخاتوف ، يخرجون وهم يتحدثون ويقاطع بعضهم بعضاً) .

المشهد - ١٩ -

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، تيودور إيغا نوفتش ، تانيا ،

الطاهي المعجوز (على الموقد) ، ليونيد فيودوروفيتش والسيدة »

السيدة ، تسحب ليونيد فيودوروفيتش من كمّته : كم مرة

رجوتك ألا تُصدر أوامرك في البيت ! اشتغلْ بحماقاتك ،

ودعْ المنزل لي ! ستُعدي الناسَ جميعاً .

ليونيد فيودوروفيتش : مَنْ ؟ ماذا ؟ لا أفهم شيئاً ممّا تقولين .

السيدة : كيف ! هؤلاء الناس مرضى بالدفتيريا ، وهم ينامون في المطبخ حيث يكونون على تماسٍ متصلٍ بخدَمنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني أنا . . .

السيدة : أنا ، ماذا ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنا لا أعلم شيئاً . . .

السيدة : عندما يكون الرجلُ أباً لأسرة فيجب أن يعام ؛ لا يجوز له أن يفعل ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لكني لم أكن أظن ، كنتُ أظن . . .

السيد : من المُثير أن يَسْتَمع الإنسانُ إليك !

(يسكت ليونيد فيودوروفيتش) .

السيدة ، لتيودور ايغانوفيتش : اطردهم على الفور ! يجب ألا يبقوا

في مطبخي ! شيء رهيب ! ألاّ تجد من يُصني إليك !

يفعلون ذلك عمداً . كما طردتهم أَدخاؤهم . (تهتاج

شيئاً فشيئاً وتأخذ بالبكاء) . يفعلون ذلك عمداً ليعاكسوني !

وأنا المريضة ! يادكتور ! يادكتور ! بيير بيروفيتش !

انصرف هو الآخر !

(تتباكى وتخرج . يتبعها ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد — ٢٠ —

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، تيودور ايغانوفيتش ، الطاهية ،

الطاهي العجوز على الموقد . لوحة . يظل الجميع صامتين بعض الوقت »

الفلاح الثالث : لِيَحْرُسَهُمَ اللهُ ! هؤُلا الناس يريدون أن يَسْأَمُوهُ
إلى الشرطة . وأنا الذي لم أَدْخُلْ في دعوى طوال حياتي .
لِنَذْهَبْ إلى التَّزِيلِ ، يا أولادي !

تيودور ايفانوفيتش ، لتانيا : ما العمل الآن ؟

تانيا : لا شيء ، يا تيودور ايفانوفيتش ، لِنَضَعَهُمْ في غرفة
الحوذيين .

تيودور ايفانوفيتش : كيف ذاك ؟ والحوذي قد اشتكى من أن غرفته
مأوى بالكلاب !

تانيا : حسناً ! عند البواب إذن .

تيودور ايفانوفيتش : وإذا عَلِمَ ذلك ؟

تانيا : لن يُعْلَمَ شيءٌ من ذلك . اطمئنْ ، يا تيودور ايفانوفيتش .
هل يجوز لنا أن نطردهم في الليل ؟ لن يجدوا مأوى .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! افعل كما تشائين ، على شرط ألاَّ
يَسْبِقُوا هُنا !

(يخرج)

المشهد - ٢١ -

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الطاهية ، الطاهي العجوز . الفلاحون
يعلّقون أكياسهم » .

الطاهي العجوز : اوه ! هؤُلاء الشياطين الحقرء ! الغيظ يملأ
جُودهم ، هؤُلاء الشياطين !

الطاهية : اسكت ، أنت ! من حسن الحظ أنهم لم يَرَوْكَ !

تانيا : هيتا ، يا أعمامي ، إلى غرفة البواب .

الفلاح الأول : وقضيتنا ، أين صارت ؟ وما مصير توقيع العقد ؟
هل يجب أن نحتفظ بشيء من الأمل .

تانيا : في ظرف ساعة ، سنعرف كل شيء .

الفلاح الثاني : هل ستكونين شاطرة بنا فيه الكفاية ؟

تانيا ، صاحكة : على مشيئة الله !

ستار

الفصل الثالث

« تجري الأحداث في مساء اليوم نفسه ، في غرفة استقبال صغيرة ، حيث تُقام عادةً تجاربُ ليونيد فيودوروفيتش » .

المشهد - ١ -

« ليونيد فيودوروفيتش والأستاذ » .

ليونيد فيودوروفيتش : ما رأيك إذن ؟ أنجازف بالجلاسة مع وسيطنا الجديد ؟

الأستاذ : حتماً . لا جدال في أن هذا الوسيط قويٌّ جداً . ومن المرغوب فيه أن تُعقدَ جلّاسةُ الوسيط في منزلك ، وفي هذا اليوم نفسه ، ومع الأشخاص أنفسهم . يجب أن يتأقّم غروسمان حتماً تأثير الطاقة الوسيطة ، وحينئذٍ ستغدو رابطة الظواهر ووحدةها أشد وضوحاً . وسرى أن الوسيط إذا ظلّ قوياً كما كان قبل قليل ، فسوف يَهْتَزُّ غروسمان !

ليونيد فيودوروفيتش : حينذاك سأُحضِرُ سيمون ، ومأدعو الذين يرغبون في حضور الجلاسة .

الأستاذ : طيب ! طيب ! أريد أن أسجّل فقط بعض الملاحظات

(يُخرج دفتره الصغير ويكتب)

« الأشخاص أنفسهم وساخاتوف »

ساخاتوف : شرعَ بأعبة الهويست عند آنا بافوفنا ، فجئت إلى هنا .
ماذا ؟ هل ستُعقَدُ الجاسة ؟

ليونيد فيودوروفيتش : سيكونُ هناك جاسةٌ ؛ سيكون هناك جاسةٌ !
ساخاتوف : وكيف ذلك ، بدون قوة السيد كابتشيتش الوسيطة ؟
ليونيد فيودوروفيتش ، وجهك سعدٌ علينا ! تصوّرْ أن الفلاح الذي
حدثتك عنه وسيطٌ متميزٌ .

ساخاتوف : حقاً ! اوه ! هذا امرٌ مثيرٌ للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم . لقد عمانا معه ، بعد العشاء ،
تجربةً صغيرةً للاختبار .

ساخاتوف : ونجحتم في عملها وفي إقناع انفسكم ؟

ليونيد فيودوروفيتش : تماماً ، وتبين انه وسيط ذو قوة خارقة .

ساخاتوف ، بتشكك : آه ! حقاً ؟

ليونيد فيودوروفيتش : يبدو ان الجميع ، في غرفة الخدمة ، لاحظوه
منذ وقت طويل . . . إنه يجاس ، مثلاً ، امام فنجانهِ ،
فتقفز المعلقة من ذاتها إلى يده . (للأستاذ) هل سمعتَ
بذلك ؟

الأستاذ : الحقيقة انني لم اسمعُ بذلك .

ساخاتوف ، للأستاذ : لكنْ هلْ تسلّمونَ بامكان حدوث مثل هذه
الظواهر ؟

الأستاذ : اية ظواهر ؟

ساخاتوف : ظواهر استحضار الأرواح ، والظواهر الوسيطة ،
الظواهر فوق الطبيعية ، على العموم .

الأستاذ : المسألة هي ان نعلم حقيقة ما ندعوه فوق الطبيعي ؟
فعندما تجذب قطعة من الحجر - لا الإنسان الحي - مسماراً ،
فهل تعتبر هذه الظاهرة طبيعية أو فوق الطبيعية ؟

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن بعض الظواهر مثل جذب
المغناطيس ، مثلاً ، تتكرر دائماً .

الأستاذ : الشيء نفسه هنا ؛ تتكرر الظاهرة ونحن ندرسها ! وأكثر
من ذلك ، فنحن نصنف الظواهر التي ندرسها ضمن
قوانين عامة تنطبق على ظواهر أخرى . لأن الظواهر لا
تبدو فوق الطبيعة إلا إذا عُرِي سببها إلى الوسيط نفسه .
لكن هذا غير صحيح فالظواهر لا تحدث بالوسيط بل
بالطاقة النفسية التي تتجاسى في الوسيط . والفرق كبير .
كل شيء يكمن في قانون التعادلات .

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن . . .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، وثانياً التي تختبئ وراء الستارة »

ليونيد فيودورفيتش : اعلموا فقط هذا الشيء : هو اننا لسنا واثقين
من شيء سلفاً سواء مع هرم وكابتشيتش ام مع هذا

الوسيط ؛ فربما لم نحصل على شيء ، وربما حصلنا على تجسيد كامل .

سأخاطوف : ماذا تعني بالتجسيد الكامل ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اعني الشيء التالي ، قد يأتي شخص "ميت" ، أبوك أو جدك ، ليأخذ يدك وليعطيك شيئاً ما ، أو قد يرتفع شخص "فجأة" في الهواء ، كما حدث عندنا ، في آخر مرة ، مع « الكسي فلا دميروفيتش » .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد ! لكن الأمر الأساسي هو تفسير الظواهر وتصنيفها ضمن قوانين عامة .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، السيدة البلدية »

السيدة البلدية : لقد سمحت لي آنا بافلوفنا بالجيء إلى هنا .

ليونيد فيودوروفيتش : يسرنا ذلك !

السيدة البلدية : آه ! كم كان غروسمان متعباً ! لم يكن يستطيع ان يمسك بفنجانه . (للأستاذ) هل لاحظت كيف شحّب في اللحظة التي اقترب فيها من الفلاح ؟ لاحظت ذلك على الفور ، واخبرت بذلك آنا بافلوفنا قبل غيري .

الأستاذ : بدون شك ، وذلك من نقص الطاقة الحيوية .

السيدة البلدية : هذا ما قلته . ويجب الانسواء استخدام هذه الأشياء ! وهكذا فإن منوماً مغناطيسياً أوحى لإحدى صديقاتي ،

وهي فيروتشكا كونشينا — لكنك تعرفها — ان تنقطع عن التدخين . فبدأت كليتها تؤلمها .

الأستاذ ينوي الكلام : إن قياس الحرارة والنبض يبرهن بوضوح ...
السيدة البدينة : عفواً ! سأنتهي من كلامي في الحال . فقلتُ لها :
« الأفضل أن تدخني وألا تتألمي هذا الألم في الأعصاب » .
لا شك ان التدخين مؤذٍ ، واود لو أتخطى عن هذه العادة ،
لكن ما العمل ؟ إني لا أستطيع . لقد انقطعتُ مرةً عن التدخين لمدة اسبوعين ، ثم لم استطع بعد ذلك أن أُمْنَع نفسي .

الأستاذ ، محاولاً الكلام : يبرهنون ، مثلاً . . .
السيدة البدينة : كلاً ، اسمح لي ! بكلمتين . . . أنت تقول إذن أن هناك صرفاً للقوى ؟ احببتُ أن أقول : إنني عندما كنتُ أسافر في عربة البريد . . . كانت الطرقُ فظيعة — أنت لا تذكر ذلك ، أما أنا . . . لاحظتُ ، واعتقدُ ما تشاء في ذلك ، ان عصبيتنا . مردّها إلى السكك الحديدية ، انا ، مثلاً ، لا يمكنني أن أنام في عربة القطار ، لو قتلتني لما نمت !

الأستاذ : إن صَرَفَ القوى . . .
ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم .

(ليونيد فيودوروفيتش يديق الجرس) .

السيدة البدينة : ومهما يبلغ بي الأرق ، لياةً أو ليايتين أو ثلاث ليال ، فاني لا أتمكن من النوم مع ذلك .

المشهد - ٥ -

« الأشخاص أنفسهم ، وغريغوري » .

ليونيد فيودوروفيتش : قل ، من فضلك ، لتيودور ان يُهيءَ كل ما يلزم للجلسة ، وأن يدعو إلى هنا سيمون ، الخادم في غرفة الخدمة ، سيمون ، أَسْمَعُ ؟

غريغوري : نعم يا سيدي .

(يخرج)

المشهد - ٦ -

« الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ، السيدة البدينة ، تانيا . مختبئة ، ساخاتوف » .

الأستاذ ، لساخاتوف : إن قياسات الحرارة والنبض برهنت على صَرَفِ الطاقة الحيوية . الشيء نفسه سيحدث خلال الظواهر الوسيطة ، فقانون المحافظة على الطاقة . . .

السيدة البدينة : نعم ، نعم ! أحببتُ أن أقول لكم فقط إنني مسرورة جداً إذ تبين أن مجرد فلاح يصلح وسيطاً . هذا ممتاز . لقد كنت أقول دائماً إن انصار السلافية . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدون أن ننقل إلى غرفة الاستقبال ريثما تُعقد الجلسة ؟

السيدة البدينة : عفواً ! بكلمتين : أنصار السلافية على حق ؛ لكنني كنت أقول دائماً لزوجي : ينبغي ألا نُبالغَ في شيء .

خيرُ الأمور الوسط . وإلا فكيف نُثبت أن كل شيء في شعبنا كاملٌ ، وأنا قد رايتُ بعينيّ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدون الانتقال إلى غرفة الاستقبال ؟
السيدة البدينة : . . . صبيحاً بهذا الطول يشرب خمراً . فوبّختُهُ فوراً ! كأنه ممتناً لي : أولئك أطفالٌ ، وكنتُ أقول دائماً ، لا بدّ ، مع الأطفال من الحب والصرامة .
(يخرجون وهم يتحدّثون) .

المشهد - ٧ -

« تانيا وحدها ، تخرج من وراء الستارة » .

تانيا : ليتنا ننجح على الأقل !
(تمسك خيوطها) .

المشهد - ٨ -

« تانيا وبيتسي داخلة على عجل » .

بيتسي : بابا ليس هنا ؟ (تشاهد تانيا) . ماذا تفعلين هنا ؟
تانيا : لا شيء ، يا آنسة . جئتُ إلى هنا ، هكذا . . . كنت أودّ . . .
(ترتبك)

بيتسي : لكن الجلسة ستُعقد بعد قليل ؟ (تلاحظ ان تانيا تلفّ خيطاً ، فتنظر إليها بحدة ، وفجأةً تنفجر ضاحكةً) .
تانيا ، أنتِ التي تفعل ذلك كله ؟ لا تُنكري ! في آخر مرة ، كنتِ انتِ ! اعترفي ، كنتِ انتِ ؟

تانيا : يا آنسة . . . اوه ! يا آنسة ! . . .

بيتسي ، متحمسة : آه ! ما أحسن هذا ! ما كان ذلك ليخطر ببالي ! لم تفعلين ذلك ؟

تانيا : يا آنستي الطيبة ، لا تشي بي .

بيتسي : كلا ، أبداً ! أنا مسرورة جداً . وكيف تفعلين ذلك ؟

تانيا : الأمر بسيط جداً : أختبئ . وما أن يُطفئوا الأنوار حتى أخرج وأفعل ما أشاء .

بيتسي ، مشيرة إلى الخيط : وهذا ؟ لا تقولي شيئاً ! . . . فهمت ؟ أنت تلمسينهم به ؟

تانيا : لن أعترف إلا لك ؛ لم أكن أفعل هذا من قبل إلا لأنسأى ؛ أما اليوم فاني أفعله اقضية جادة . . .

بيتسي : كيف ؟ ماذا ؟ أية قضية ؟

تانيا : القضية هي التالية : هل رأيت الفلاحين الذين أتوا : إنهم يريدون شراء الأرض ، وأبوك لا يريد أن يبيعهم ، ولا يريد توقيع العقد الذي أعاده إليهم . يقول تيودور ايفانوفيتش : إن الأرواح هي التي منعتهم من ذلك . حينئذ خطر لي هذه الفكرة .

بيتسي : آه ! ما أذكاك ! هذا حسن ! لكن كيف ستفعلين ؟

تانيا : انظري ما الذي تصوّرته : عندما يُطفئون الأنوار سأبدأ بالنقر ، وبرمي الأشياء ، وبملامسة رؤوسهم بالخيط ؛

وفي للنهاية ، سأرمي عقد البيع على الطاولة ، وهو معي
هنا .

بيتسي : ثمّ ماذا ؟

تانيا : وكيف ! سيدهشون . كان العقدُ مع الفلاحين فاذا به
هنا ! ثمّ سأمرُّ . . . سيمون . . .

بيتسي : لكن سيمون وسيطُ اليوم !

تانيا : نعم ، لكنّ أنا أمرتُه بذلك . (تنفجر ضاحكةً) . سأمره
أن ينقر على كل ما قد يجده حوله . لا على أبيك مثلاً ،
إنه لا يجرؤ . . . لكنّ على الآخرين ، على أيّ منهم ، حتى
يوقع السيّد .

بيتسي ، ضاحكة : لكن ذلك غير جائز هكذا ؛ فالوسيطُ نفسه
لا يفعل شيئاً .

تانيا : لا قيمة لذلك ، سيان ؛ ربما سارت الأمورُ سيراً حسناً
هكذا .

المشهد - ٩ -

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، بيتسي ، التي تُومىء إلى تانيا
وتخرج » .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تفعلين هنا ؟

تانيا : أنا . . . كنت ذاهبة إليك ، يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تريدن ؟

تانيا : بشأن القضية التي حدثتكَ عنها . . .

تيودور ايفانوفيتش ، ضاحكاً : تمّ الأمر ! وعقدنا الخطبة !

تانيا ، مُرسلةً صرخةً الفرح : صحيح ؟

تيودور ايفانوفيتش : بدون شك ! لقد قال : سأشاور العجوز ،

وعلى بركة الله . . . »

تانيا : هو قال ذلك ! (ترسل صرخةً جديدةً من الفرح) .

آه ! ما أحسن هذا ، يا تيودور ايفا نوفيتش العزيز !

سأصلي من أجلك طوال حياتي .

تيودور ايفانوفيتش : طيب ، طيب ! لا وقتَ لديّ الآن . قالوا

لي أن أميَّ " كل شيء للجلاسة .

تانيا : دعني أساعدك . ما الذي يجب أن تفعله ؟

تيودور ايفانوفيتش : يجب وضعُ الطاولة وسط الغرفة . وكذلك

الكراسي ، والقيثارة ، والاكورديون ، والشموع لا

المصباح .

تانيا ، تساعد تيودور ايفا نوفيتش : القيثارة في هذه الجهة ، والمجرة

هنا . (تضع الأشياء) . هكذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : أحقّاً سيأخذون سيمون وسيطاً ؟

تانيا : طبعاً ؛ وقد أخذوه من قبل .

تيودور ايفانوفيتش : هذا مذهش ! . . . (يضع نظارته) . هل

هو نظيفٌ على الأقل ؟

تانيا : لا أحري !

تيودور ايفانوفيتش : إذن ، اسمعي . . .

تانيا : ماذا ، يا تيودور ايفانوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : اذهبي وأحضري فرشاة للأطفال ، وصابون

« تريداس » تستطيعين أن تأخذي ذلك من عندي . . .

وقصّي أظافره ، واغسلي يديه حتى تنظفا .

تانيا : سيغتسل وحده .

تيودور ايفانوفيتش : طيب ! قولي له ذلك . وقولي له أيضاً أن

يلبس ثياباً داخلية نظيفة .

تانيا : سأفعل ذلك ، يا تيودور ايفانوفيتش !

المشهد - ١٠ -

تيودور ايفانوفيتش ، وحده ، يجلس على أريكة : مهما يكونوا

علماء ، مثل الكسي فلاديميروفيتش الذي هو أستاذ مثلاً ،

فإن الشك يُساورني أحياناً . إنهم ماضون في إلغاء العقائد

الشعبية ، الخرافات كما يقال . . . لكن عندما نفكّر

فيما يفعلون فإن ذلك يبدو كالخرافات حقاً . وإلا فهل من

الممكن أن تأتي أرواح الموتى لتتحدث ولتعرف على القيثارة

؟ . . . لا شك أن هناك من يضحك عليهم . . . أو أنهم

يضحكون على أنفسهم . أما قصة سيمون فاست أفهم

منها شيئاً . . . (يتصفح ألبوم استحضار الأرواح) .

هذا هو اليوم استحضار الأرواح ، أمن الممكن أن تُصوّر

الأرواح؟ وهذه هي صورة التركي مع ليونيد فيودوروفيتش!
غريب!

المشهد - ١١ -

ليونيد فيودوروفيتش ، داخلا : كل شيء جاهز ؟
تيودور ايفانوفيتش ، ينهض دون استعجال : جاهز ! (مبتسماً)
لكنني أخشى أن يعرضك الوسيط الجديد للفشل ، يا ليونيد
فيودوروفيتش !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، جرّب بناء مع الكسي فلاديميروفيتش . .
إنه وسيط ذو قوة مذهشة .

تيودور ايفانوفيتش : لا أدري ؛ لكن هل هو نظيف ؟ لم يخطر لك
أن تأمره بغسل يديه ؟ . . . فليس من اللائق مع ذلك أن ...
ليونيد فيودوروفيتش : يداه . آه ! نعم ! أنت ترى أنهما غير
نظيفتين ؟

تيودور ايفانوفيتش : وكيف تريد أن يكون ؟ فلاح . . . وهناك
سيدات وماريا فاسيليفنا . . .

ليونيد فيودوروفيتش : إذن ، كلامك في محله . . .

تيودور ايفانوفيتش : بهذه المناسبة ، أحب أن أقول لك : إن ،
« تيسويته » الخوذي جاء واشتكى لي ، قال إنه لا يستطيع
أن يحافظ على الجياد نظيفة بسبب الكلاب .

ليونيد فيودوروفيتش ، شارد اللب ، وهو يضع الأشياء على الطاولة :
يَّة كلاب ؟

بيودور ايفانوفيتش : أخصرتُ اليوم ثلاثة كلاب ساوقية لباسيل
ليونيديتش ، فوضعتُ في غرفة الخوذين .

ليونيد فيودوروفيتش ، متضيقاً : أخبرْ بذلك أنا بافاوفنا ، ولتصنعْ
ما تشاء ! أما أنا فلا وقتَ لدي .

بيودور ايفانوفيتش : أنت تعرف جيداً ضعف السيدة . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيب ! لتفعلْ كما تشاء ! أما هو فليس لنا
منه سوى المكدرات . . . ولا وقتَ لدي . . .

المشهد - ١٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، وسيمون الذي يدخل مرتدياً معطفاً طويلاً
بلا كمين ، وبيتسم » .

سيمون : أمرتني بالمجيء ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! أرني يديك . جيد ! هيا ، يا
صديقي ، افعل ما فعلته قبل قليل ، اجاسْ ولا تفكّرْ
في شيء .

سيمون : ما جدوى التفكير ؟ التفكير أسوأ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صحيح ! صحيح ! كلما تناقص شعورنا
قوي ساطاننا . لا تفكّرْ في شيء وأسامْ نفساًك لهاواها ؛
نمّ إذا اشتهيت أن تنام ؛ وامش إذا اشتهيت أن تمشي .
أنفهم ؟

سيمون : وكيف لا أفهم ؟ ليس الأمر بالصعب على الإطلاق . . .

ليونيد فيودوروفيتش : وعلى الخصوص ، لا تَضْطَرِبْ من شيء ،
لأنك قد تدهش أنت نفسك . وأعلم أن عالم الأرواح
اللامرئي يعيش كما نعيش نحن .

تيودور ايفانوفيتش ، مصححاً له : إحساسات لا مرئية ، أفهم ؟
سيمون ، ضاحكاً : وكيف لا أفهم ؟ الأمر ، بحسب ما تقولون ،
بسيط

ليونيد فيودوروفيتش : قد يقع لك أن ترتفع في الهواء أو أي شيء
آخر ، فلا تخف شيئاً . . .

سيمون : ولم الخوف ؟ كل ذلك ممكن . . .
ليونيد فيودوروفيتش : أذن سأحضر الجميع . كل شيء جاهز ؟
تيودور ايفانوفيتش : كل شيء ، على ما أرى .
ليونيد فيودوروفيتش : وألواح الارتفاع :
تيودور ايفانوفيتش : هي تحت ، وسأتي بها .

(يخرج)

المشهد - ١٣ -

« ليونيد فيودوروفيتش وسيمون » .

ليونيد فيودوروفيتش : مكبح ! أذن لا تضطرب ، واعمل على راحتك .
سيمون : أستطيع أن أخاع معطفي ، فذلك أرواح لي .
ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تفعل هذا !

(يخرج)

المشهد - ١٤ -

سيمون ، وحده : قالت لي أيضاً ان أفعَل الشيء نفسه وهي ، من جهتها ، سترمي بالأشياء . كيف لا تخاف هي ؟

المشهد - ١٥ -

« سيمون وتانيا التي تدخل بغير حذاء ، وفي فستان باون الستائر . سيمون يضحك » .

تانيا ، تأمره بالصمت : كفى ! اسكتْ ؛ قد يسمعوننا . خُذْ !
هذه أعواد الكبريت التي ستفرك بها أصابعك ، مثل
المرة السابقة . (تفرك له أصابعه) . ألم تنسَ شيئاً ؟

سيمون ، يعدّ على أصابعه : بلّ الفوسفور وتحريك اليدين أولاً ؛
وثانياً ، صرّف الأسنان ؛ وثالثاً . . . نسيتُ .

تانيا : لكنّ هذا هو أهم شيء ! تذكره جيداً . حالما يقع العقد
على الطاولة سَأَدق الجرس ؛ فامدّدْ حينئذ ذراعَيْكَ
هكذا ، وحركْهُمَا دون أن تبالي بمعرفة مَنْ تَضْرِبُ .
(تضحك) . وفي الوقت نفسه دمدمْ هكذا . واضربْ
وكأنك تفعل ذلك وأنت تحام . وحينما أبدأ بالعزف على
القيثارة ، تظاهرْ بأنك تستيقظ ، وتمطّط هكذا ، عرفتَ ؟
ألن تنسى ذلك ؟

سيمون : لا ! ولكن هذا مضحك جداً .

تانيا : وإياك أن تضحك . وإذا ضحكيتَ فليس ذلك كارثة ،

على كل حال . سيظنون أنك تضحك في نومك . لكن
لا تنم حقيقةً ، عندما يطفئون الأنوار !

سيمون : لا تخش شيئاً ، سأقرصُ أذني ! . . .

تانيا : انتبه إذن ، يا عزيزي سيمون ! افعل ذلك كله ولا
تخش شيئاً ، وسيوقع العقد . سري . هاهم .
(تختبئ تحت الأريكة) .

المشهد - ١٦ -

« سيمون ، تانيا ، غروسمان ، الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ،
السيدة البدينة ، الطبيب ، ساخاتوف ، السيدة ، سيمون يقف قرب
الباب » .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضلوا يا جميع المتشككين ، فمع أن وسيطنا
جديدٌ إلا أنني أعول اليوم على ظواهر عظيمة اللالة .

ساخاتوف : هذا شائق ، شائق جدا !

السيدة البدينة : لكنه حسن الهيئة !

السيدة : حسن كخادم في المطبخ ، نعم ؛ لكن هذا كل شيء . . .

ساخاتوف : النساء لا يؤمن أبداً بأعمال أزواجهن ! ألا تُعجبين
بشيء إطلاقاً ؟

السيدة : بالتأكيد ، لا ! كابيتشيتش ، في الحقيقة ، يملك شيئاً
خاصاً ، أما هذا ، يا إلهي ! فماذا يطلع منه ؟

السيدة البدينة : لا ، عفوا ، آنا بافلوفنا ! لا يجوز أن نتكلم هكذا
عن هذه الأشياء . عندما لم أكن متزوجةً بعد ، حامت ،
ذات مرة ، حلماً مثيراً ، تعلمين أن من الأحلام ما لا
يُعرفُ أين يبدأ وأين ينتهي . ولقد حامت بالضبط حاماً
مشابهاً . . .

المشهد - ١٧ -

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش وبيتر شتيف يدخلان » .
السيدة النبيلة : وانكشفت لي أشياء كثيرة في هذا الحام . الشباب
الآن (تشير إلى باسيل ليونيديتش وبيتر شتيف) .
ينكرون كل شيء !

باسيل ليونيديتش : أنا ، أبداً . . . لا أنكرُ شيئاً ! أيه ماذا ؟

المشهد - ١٨ -

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخل بيتسي وماريا كونستا نينوفنا .
وتشرعان في الحديث مع بيتر شتيف » .
السيدة البدينة : أيمكننا أن ننكر ما فوق الطبيعي ؟ يُقال إن ذلك لا
يتفق مع العقل . لكن العقل قد يكون أحمق . ماذا ؟
لقد سمعتم بما جرى في شارع « سادوفايا » كان ذلك
يظهر في كل مساء . إن أخا زوجي - ماذا يقولون في
الروسية ؟ هناك كاتمة غير أخي الزوج « في الروسية ،
ولست أفصح أبداً في تذكر الأسماء الروسية (١) - ذهب

(١) في اللغة الروسية كلمات خاصة لتمييز أخي الزوج من أخي الزوجة ، وهو ما لم
تستطع السيدة البدينة أن تحفظه .

إذن ثلاث ليالٍ متوالية ، ورغم ذلك فإنه لم يستطع أن يرى شيئاً . ولذلك أقول . . .

ليونيد فيودوروفيتش : مَنْ يَبْقَى إذن هنا ؟

السيدة البدينة : أنا ! أنا !

ساخاتوف : أنا .

أنا بافلوفنا ، للطبيب : أَتَبْقَى هنا ؟

الطبيب : لا بدّ من أن أرى ولو مرةً واحد ما الذي يجده الكسي فلادميروفيتش في ذلك كله . ولا يمكننا أيضاً أن ننكر شيئاً دون براهين .

السيدة : إذن ، يجب حتماً أن آخذ منه في هذا المساء بالذات .

الطبيب : تأخذين ماذا ؟ آه ! نعم ، المسحوق . نعم ، خذي منه إذا شئت . خذي منه . على كل حال ، سأتي لزيارتك .

السيدة : نعم ، أرجوك ! (بصوت عالٍ) . عندما تنتهون ، سادتي وسيداتي ، فأنا أدعوكم لتستريحوا من انفعالاتكم عندي ، وفي الوقت نفسه سنُنهي لعبة « الهويست » .

السيدة البدينة : موافقة !

ساخاتوف : نعم ! نعم !

(السيدة تخرج) .

المشهد - ١٩ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة » .

بيتسي ، لبيتريشتييف : قلتُ لك : ابق : إني أعدك بأشياء خارقة
للعادة . أترأهن ؟

ماريا كونستانتينوفنا : أتؤمنين بذلك ؟

بيتسي : اليوم أؤمن به .

ماريا كونستانتينوفنا : وأنتِ أتؤمن بذلك ؟

بيتريشتييف : لا ، لا أؤمن به .

يُشدد : لا أثق بالوعود الكاذبة .

لكن إن أمرتني بذلك اليزابيت ليونيدوفنا . . .

باسيل ليونيديتش : لِنَبِّقْ ، يا ماريا كونستانتينوفنا ! إيه ماذا ؟
سأبتكر شيئاً مُذهِلاً !

ماريا كونستانتينوفنا : لا ، لا تُضحكني ؛ أنت تعلم أنني لا
أستطيع أن أتمالك نفسي .

باسيل ليونيديتش ، بصوت عالٍ : أنا باقٍ !

ليونيد فيودوروفيتش ، بقسوة : لكني أرجو الذين يبقون ألاَّ يحولوا
ذلك إلى مزاح ؛ فهذه أشياء جادة .

بيتريشتييف : أسمعُ ؟ إذن ، لِنَبِّقْ ! فوفو ، اجلس قربي وانظر ،
ولا تخف .

بيتسي : أنت تضحك ، لكنك سترى ما الذي سيجري .

باسيل ليونيديتش : وإذا كان هناك ، بالفعل ، شيء ما . إيه ماذا ؟

بيتريشتييف ، يرتجف : أوه ! أنا خائف ، أنا خائف ، يا ماريا
كونستانتينوفنا ؛ أنا خائف وساقاي الصغيرتان ترتعدان .

ليونيد فيودوروفيتش : اجلس ، اجلس ، اجلس ! اجلس ، يا سيمون .
سيمون : بأمرِكَ .

(يجلس على طرف كرسي) .

ليونيد فيودوروفيتش : اجلس جيداً .

الأستاذ : اجلس كما يجلس الناس ، في وسط الكرسي ، وعلى راحتك تماماً .

ليونيد فيودوروفيتش ، رافعاً صوته : أرجو الذين يبقون أن يازموا الهدوء وأن ينظروا إلى المسألة جيداً ! فقد يكون لذلك نتائج مزعجة . أسمع ، يا فرفو ؟ إذا لم تبق هادئاً فالأفضل أن تخرج .

باسيل ليونيديتش : امرك ، سيدي .

(يختبئ وراء ظهر السيدة البدينة) .

ليونيد فيودوروفيتش : الكسي فلاديمير وفيتش : أأنت الذي ينومها ؟

الأستاذ : لا ، لماذا أنا ؟ ما دام انطون بوريوفيتش هنا . وهو أكثر خبرةً عمالية ، وأكثر قوةً مني بهذا الصدد .

غروسمان : يا سادة ، الحق أنني لست من مستحضري الأرواح ؛ درستُ النوم المغناطيسي فقط ، صحيح أنني درستُ النوم المغناطيسي في كل تجارباته ، لكن ما يُسمّى استحضار الأرواح أجهلُ جهلاً كاتباً . فعندما أنوم شخصاً أستطيع أن أتوقع ظواهر النوم المغناطيسي التي

أعرفها : السُّبَات ، الخمول ، الخَدَر ، فقد ان الألم ،
التخشُّب . أما هنا فيُطلب منا دراسة ظواهر من نوع
آخر . ولذلك يكون من المرغوب فيه أن نعرف ما الظواهر
المنتظرة وما قيمتها العلمية .

ساخاتوف : إنني أشاطر السيد غروسمان الرأيَ كائياً ، فمثل هذه
التفسيرات ستكون مثيرةً للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : أنا واثق ، يا الكسي فلاديميروفيتش
أنك لن تبخل علينا بهذه التفسيرات .

الأستاذ : موافق . يمكنني أن أعطي هذه التفسيرات إذا رغبتم في
ذلك . (للطبيب) في أثناء هذا الوقت ، أتريد بأن تسجل
حرارة الشخص ونبضه ؟ سيكون تفسيري سطحياً ،
ومقتضياً بالضرورة .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، مقتضبٌ .

الطبيب : على الفور ! (يخرج ميزان حرارة ويعطيه سيمون) هيا !
يا فتاي ! (يضع ميزان الحرارة) . هكذا ، شدّه عليه
تحت ذراعه .

سيمون : نعم ، يا سيدي .

الأستاذ ، ينهض ، ويلتفتُ إلى السيدة البدينة ثم يعود إلى الجاوس :
يا سادتي ، الظاهرة التي سندرسها تُعرّض ، على العموم
باعتبارها جديدةً من جهة ، وباعتبارها ، من جهة ثانية ،
متجاوزةً لحدود القوانين الطبيعية . وهذا غير صحيح .
إن هذه الظاهرة قديمة قدم العالم ، وهي ليست فوق

الطبيعة وإنما تخضع لنفس القوانين الخالدة التي تحكم كل ما هو موجود . وقد كانت هذه الظاهرة تُعرَف عادةً على أنها اتصال بعالم الأرواح . وهذا التعريف غير صحيح أيضاً . إذ إن عالم الأرواح ، بحسب هذا التعريف يعارضُ العالم ، المادي ؛ وليس هذا صحيحاً . فهذا التعارضُ غيرُ موجود . ذلك أن هذين العالمين مترابطان ترابطاً وثيقاً جداً بحيث يغدو من المستحيل أن نرسم خطَّ الفصل بينهما . ونحن نقول إن المادة مؤلَّفة من جزئيات . . .

بيري شيف : هذه المادة مُضَجَّرةٌ جداً .

(همسٌ وضحك) .

الاستاذ ، يتوقَّف ثم يتابع : . . . والجزئيات من ذرات : لكن بما أن الذرات ليس لها مساحة ، فهي ليست سوى نقاط تطبيق القوى ؛ أو بالأحرى ، نقاط تطبيق الطاقة لا القوى ، تلك الطاقة التي هي واحدة ولا تقبل الدمار . شأنها شأن المادة . وبما أن المادة واحدة ، وإن تعددت أشكالها ، فكذلك الأمرُ بالنسبة إلى الطاقة . ونحن لا نعرف ، حتى هذه الأزمنة الأخيرة ، سوى أربع حالات من حالات الطاقة المتعادلة والتي يمكن أن تتحوَّل إحداها إلى الأخرى . نحن نعرف الطاقات : الحركية والحرارية والكهربائية والكيميائية . لكن هذه الحالات أبعدُ من أن تستنفد تنوع أشكال الطاقة . وهذه الأشكال متعددة ، وما ندرسه هنا هو شكلٌ من أشكالها ثبت حديثاً . عَنَيْتُ الطاقة الوسيطة .

(همس وضحك في الركن الذي جلس فيه الشبان . يتوقف الأستاذ ويقي بنظرة صارمة صَوْبَهُمْ ، ثم يتابع) :

والطاقة الوسيطة تُعَرِّفُهَا الإنسانيةُ ، على كل حال ، منذ الأزمنة السحيقة : فالعنَبُوات ، والحدوسات ، والرؤى ، وكثيرٌ من الظواهر الأخرى ، ليست سوى تجلّيات لهذه الطاقة . وهذه التجلّيات كانت معروفةً في كل الأزمنة ؛ لكن الطاقة نفسها لم يُعترف بها قبل هذه الأزمنة الأخيرة . كان لا بدّ لذلك من اكتشاف هذا الوسيط الذي تتجلى عن طريقه الطاقة الوسيطة تجلياً طبيعياً جداً . وكما أن الظواهر المضيئة ظلت بلا تفسير حتى الزمن الذي اعترف فيه بوجود الأثير ، فكذلك الظواهر الوسيطة بدت غامضةً حتى الزمن الذي اعترف فيه بهذه الحقيقة التي لا يُنكرها أحدٌ اليوم وهي أن الأثير مختلطٌ بمادة أدق وأخف من الأثير ، مادة تُلغى من قانون الأبعاد الثلاثة . (يغدو الهمس والضحك أشدَّ صخباً ، فيرسلُ الأستاذُ نظرةً صارمةً) .

وكما أن الحسابات الرياضية أكّدت بما لا يدع مجالاً للنقاش ، وجودَ الأثير الذي لا وزن له والذي يحدث ظواهر الضوء والكهرباء ، فكذلك أكّدت ساسلة من تجارب العبقرى « هرمان » وشميت ، وجوزيف شما تزوفين (١) ، بما لا يدع مجالاً للشك ، وجودَ مادة

(١) هرمان ، شميت ، شما تزوفين : أسماء من اختراع تولستوي .

تملاً الكونَ ويمكن أن تُسمّى الأثير الروحي . . .

السيدة البدينة : نعم ، الآن ، فهتُ . كم أنا ممتنةٌ لـ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، لكن ألا يمكنُ . . . الاختصار قليلاً ،

الكسي فلاديميروفيتش ؟

الأستاذ ، دون أن يجيب : وإذن فكما تشرُفتُ وقاتِكم : إن
سلسلةً من الأبحاث والتجارب العلمية بالمعنى الدقيق قد
عرَفَتنا بقوانين الظواهر الوسيطة : وقد أظهرت هذه
التجاربُ أن بعض الأشخاص عندما يكونون في حالة
النوم المغناطيسي (وهي حالةٌ تتميز فقط عن النوم العادي
بأن النشاط الفيزيولوجي لا يتناقص كما هو في النوم ،
بل يزيد دائماً كما رأينا قبل قليل) ، قاتُ عندما يكون
الشخصُ في حالة النوم المغناطيسي ، ينتجُ عن ذلك بعض
الاضطرابات في الأثير الروحي — اضطرابات شبيهةٌ
تماماً بالاضطرابات التي نحدثُها عندما نغطسُ جسماً صلباً
في جسم سائل . هذه الاضطرابات هي ما نسميها الظواهر
الوسيطية .

(ضحك وهمس من جديد) .

ساخاتوف : هذا واضحٌ جداً . لكن اسمح لي أن أطرحَ عليك سؤالاً .
إذا كان أثرُ تغطيس الوسيط في النوم ، يُحدثُ ، كما
قالت لتوكُ ، اضطرابات في الأثير الروحي ، فلم
تتجلى هذه الاضطراباتُ دائماً عن طريق العلاقات

بأرواح الموتى ، كما يحدث في جميع جاسات استحضار الأرواح .

الأستاذ : لأن جزئيات هذا الأثير مكوّنة من أرواح الأحياء والأموات ، وأرواح الذين لم يولدوا بعد ؛ وكل اهتزاز في هذا الأثير الروحي يُثير بالضرورة حركة ما في هذه الجزئيات . وبما أن هذه الجزئيات ليست سوى الأرواح البشرية ، فمن الطبيعي أن يتصل بعضها ببعض .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : لكن ما الذي يمكن أن يُربكك ؟ الأمر بسيط جداً . (للأستاذ) شكراً جزيلاً .

ليونيد فيودوروفيتش : أعتقد أن كل شيء غدا واضحاً الآن ، وأنه يمكننا أن نبدأ .

الطبيب : هذا الفتى في ظروف عادية تماماً : الحرارة هي ٣٧,٢ ، والنبض ٧٤ .

الأستاذ ، يتناول دفتره الصغير ويسجل : تأكيداً لما تشرّفتُ وقته لكم ، لاحظوا أن حالة النوم المغناطيسي تُحدث ، كما سنرى على الفور ، ارتفاعاً في الحرارة وتسارعاً في النبض .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ! لكن اسمحوالي . أود أن أجيب فقط عن سؤال سيرج ايفانوفيتش : كيف نعرف أننا على اتصال بأرواح الموتى ؟ إننا نعلم ذلك بطريقة بسيطة جداً ، لأن الروح عندما تأتي تقول لنا ، كما أكلّمك الآن ، مَنْ هي ، ولماذا جاءت ومن أين جاءت . وهكذا ففي آخر جلسة اتصلنا بروح أسباني يدعى دون كاستياوس ،

وقالت لنا كل شيء ، مَنْ كان دون كاستيلاوس ،
ومتي مات ، كما تحدثت عن ندمها لاشتراكها في محاكم
التفتيش ! وأخبرتنا فجأة أنها ستتجسّد مرة ثانية على
الأرض ، وأنها لا تستطيع أن تتابع الحديث .

السيدة البدينة ، تقاطعه : آه ! ما أطرف هذا ! ربما وُلد الإسباني
في منزلنا وهو الآن صغيرٌ جداً .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا ممكنٌ جداً .

الأستاذ : أعتقد أنه قد آن لنا أن نبدأ .

ليونيد فيودوروفيتش : أحببت فقط أن أقول . . .

الأستاذ : تأخّر الوقت .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! نستطيع أن نبدأ . أتريد أن تنومَ
الوسيط ، يا أنطون بوريسوفيتش (١) ؟ . . .

غروسمان : كيف تريد أن أنومَ الشخص ؟ هناك عدة طرق . هناك
طريقة « بريدا » ، وطريقة الرمز المصري ، وطريقة شاركو .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لا فرق بينها ؟

الأستاذ : قطعاً ، لا .

غروسمان : إذن ، سأستخدم طريقتي التي جرّبتها في اوديسا .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضّل ، أرجوك .

غروسمان ، يحرك يديه فوق سيمون الذي يغمض عينيه . ويتشاءب .

(١) بوريسوفيتش : هو غروسمان نفسه ، لعله يهودي من أوروبا .

يفحصه غروسمان عن قرب : إنه ينام . . . لقد نام . لقد حدث النوم بسرعة عظيمة . من الواضح أن الشخص دخل في حالة الخدر . الجدير بالملاحظة أن هذا الوسيط حسّاسٌ إلى حدٍّ غير عادي : (يحس وينهض ، ويعود إلى الجاوس) . نستطيع الآن أن نخزّه في يديه إذا شئتم .

الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش : هل لاحظت أن نوم الوسيط يؤثر في غروسمان . لقد بدأ يهتز .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! نستطيع أن نطفئ الآن ؟
ساخاتوف : وهل الظامة ضرورية ؟

الأستاذ : الظامة ؟ لأن الطاقة الوسيطة إنما تتجاسى في الظامة ، كما أن درجةً معيَّنةً من الحرارة هي الشرط لبعض تجايات الطاقة الكيميائية والحركية .

ليونيد فيودوروفيتش : ليس هذا دائماً . رأيت ظواهر تحدث مع وجود شموع مضاءة ، وحتى في ضوء الشمس .

الأستاذ ، يقاطعه : أيمن أن نطفئ الأنوار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم . (تطفأ الشموع) . أيها السادة ، الآن أطب منكم الانتباه .

(تخرج تانيا من تحت الأريكة وتتناول الخيط المعلق بمصباح جداري) .

بيترشيف : لا ، إن ما يُعجبني هو هذا الإسباني الذي اختفى أثناء حديثه ، ورأسه إلى الأسفل . هذا ما يُسمّى :

« شك برأسه » .

بيتي : لا ، انتظر . سري ما سيحدث .

بيترشتيف : لست أخشى سوى شيء واحد هو أن يشرع فوفو
بالمهمة كالحنزير .

باسيل ليونيديتش : أتريد ذلك ؟ سأشرع به ...

ليونيد فيودوروفيتش : يا سادة ، أطابُ إليكم المحافظة على الصمت !
(صمت . سيمون يحاك أصابعه بأعواد الكبريت ويحركها) .
الضوء ، أترون الضوء ؟

ساخاتوف : الضوء ، نعم ، رأيته ، لكن اسمع ...

السيادة البلدية : أين ؟ أين ؟ آه ! لم أرَ ! آه ! رأيته ، ايه ! ...

الأستاذ ، بصوت خافت لليونيد فيودوروفيتش : انظر كيف يهتز
(يشير إلى غروسمان الذي يتحرك) . هذا هو التأثير
الثاني !

(يرى الضوء أيضاً)

ليوتيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لكن ، هذا هو !

ساخاتوف : مَنْ هذا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اليوناني نيكولا . هذا ضوءه . أليس كذلك
يا الكسي فلاديميروفتش ؟

ساخاتوف : ومن هو هذا اليوناني نيكولا ؟

الأستاذ : هو يوناني كان راهباً في عهد قسطنطين ، في بيزنطة ،
وقد زارنا في هذه الأزمنة الأخيرة .

السيدة البدينة : وأين هو ؟ أين هو ؟ لست أراه !

ليونيد فيودوروفيتش : لا تمكن رؤيته بعد . . . وهو حسن الاستماع

إليك ، يا الكسي فلاديمير وفيتش ، فاسأله . . .

الأستاذ ، بصوت متغير : نيكولا ، أهذا أنت ؟

(تضرب تانيا الجدار مرتين) .

ليونيد فيودوروفيتش ، فرحاً : هو نفسه ، هو نفسه !

السيدة البدينة : يا إلهي ! أريد أن أنصرف !

ساخاتوف : لكن كيف عرفتَه ؟

ليونيد فيودوروفيتش : الضربتان ردٌ إيجابي ، وإلا فإن يُسمع

شيء .

(صمت ، ضحك متصل ، في ركن الشبان . ترمي تانيا على

الطاولة كمّة المصباح وقاماً وممسحة للريش) .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خفيض : لاحظوا ، يا سادة : انظروا

إلى كمّة المصباح ، وشيء آخر ! يا الكسي ، فلاديمير وفيتش ،

هو القلم !

الأستاذ : طيب ، طيب ! إني أراقب ذلك وأراقب غروسمان أيضاً .

هل لاحظت ؟

(ينهض غروسمان وينظر إلى الأشياء التي وقعت على الطاولة) .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! اسمحوا لي ! أحب أن أرى إن لم يكن

الوسيط نفسه هو الذي يفعل ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أتظنّ ذلك ؟ حسناً ! اجلسْ بجانبه ...
وأمسك بيديه . لكن ثقْ بأنه ينام . . .

ساخاتوف يتقدّم ، يلامس برأسه الخيط الذي تمسك به تانيا ، وينحني
خائفاً : نعم ، هذا غريب ! غريب !

(يدنو من سيمون ويمسك بذراعه ، سيمون يهمهم) .

الأستاذ ، لليونيد فيودوروفيتش : أرايتَ الأثر الذي يُحدثه فيه وجود
غروسمان ؟ هذه ظاهرة أخرى يجب تسجيلها .

(يخرج لحظة ليسجّل ملاحظاته ثم يعود من فوره) .

ليونيد فيودوروفيتش : لكن يجب أن نرد على نيكولا !

غروسمان ، يدنو من سيمون ويرفع ذراعه ويخفضها : من الشائق
الآن أن نُحدثَ التقاص ، فالمنوم الآن في أعرق نوم .

الأستاذ ، لليونيد فيودوروفيتش : أترى ، أترى ؟ ...

غروسمان : اسمحوا لي . . .

الطبيب : يجب أن تُترك إدارة الجلسة لألكسي فلاديميروفيتش .
لأن الأمر صار جديداً .

الأستاذ : دَعُهُ ، ها هو ذا يتكلم وهو نائم .

السيدة البدينة : ما أعظم سروري لأنني بقيتُ ! هذا يخيفني ، ولكنني
مع ذلك مفتونةُ اللب ؛ لأنني كنتُ أقول دائماً لزوجي ...

ليونيد فيودوروفيتش : القليل من الصمت !

(تانيا تمسّ بالخيط رأس السيدة البدينة) .

السيدة البدينة : آي !

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا ؟ ماذا ؟

السيدة البدينة : أمسكني بشعري .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خافت : لا تخشي شيئاً ! أعطيه يدك .
يده في هذه الحالة باردة ، لكنني أحب هذا .

السيدة البدينة : مخفيةً يدها : لن أعطيه إياها أبداً .

ساخاتوف : نعم ، هذا غريب ! هذا غريب !

ليونيد فيودوروفيتش : الروح هنا ! مَنْ يريد أن يطرح عليها
سؤالاً ؟

ساخاتوف : أنا ، إذا شئت .

الأستاذ : قل !

ساخاتوف : أنا مؤمنٌ أم لا ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

الأستاذ : الرد إيجابي .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! أحب أن أسأل أيضاً . هل في جيبي ورقة

عشرة روبلات ؟ (تانيا تضرب عدة ضربات وتلامس

بالخيط رأس ساخاتوف) . آه !

(يمسك بالخيط ويقطعه) .

الأستاذ : أرجو الحضور ألا يطرحوا أسئلةً مبهمَةً أو مازحةً .

فهذا غير مُستحبٍ عنده .

ساخاتوف : لكن اسمحوالي ! في يدي خيط .

ليونيد فيودوروفيتش : خيط ؟ احتفظ به . هذا ما يقع غالباً . لا الخيوط فقط بل وأيضاً أشرطة من الحرير عتيقة كأعنتق ما تكون .

ساخاتوف : آه ! لا ! اسمحوالي ! من أين جاء هذا الخيط ؟
(تانيا ترميه بوسادة) . اسمحوالي ! اسمحوالي ! ضربني شيء ! ليس على رأسي . تكرّموا باشعال النور ...

الأستاذ : نرجوك ألا تشوّش التجسّد . . .

السيدة البدينة : أرجوك ، ألا تقاطعه ، بحق السماء ! عندي شيء أريد أن أسأل عنه ، أأستطيع ؟

ليونيد فيودوروفيتش : بكل تأكيد !

السيدة البدينة : أجب أنه أ طرح سؤالاً بخصوص معدني . أحب أن أسأل ما الذي يجب أن آخذه ، هل آخذ الآمكونيت أم بيتّ الحمين ؟

(صمت ، همس في جهة الشبان . وفجأة يصرخ باسيل ليونيديتش كما يصرخ الطفل على ندي أمه . ضحكات صاخبة . اللهبان يكمون أنوفهم وأفواههم بأيديهم ليكتموا ضحكهم . تخرج الفتاتان وبيتر يشهيف وهم يركضون) .

آه ! لا شأن أنه الراجب اللذي انبعث قبل قابل .

ليونيد فيودوروفيتش ، لثائر ، بصوت خافت وبغضب : أنت لا

تجعل سوى حماقات ! إن كنت لا تستطيع أن تجلس
جاسة لائقة فاخرج !

(يخرج باسيل ليونيديتش) .

المشهد - ٢٠ -

« ليونيد فيودوروفيتش ، الأستاذ ، السيدة البدينة ، ساخاتوف ،
غروسمان ، الطبيب ، سيمون ، تانيا ، ظامة وصمت » .

السيدة البدينة : آه ! يا للخسارة ! هل ذهب نيكولا ؟ بدا لي أنني
سمعتُ صراخَ وليدٍ ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، أبداً ! هذه حماقات « فوفو » ، لكن
الروح هنا فاسأليها .

الأستاذ : هذا ما يقع غالباً ! فقد أَلَفنا هذا التهريج وذاك الهُزء .
وأظنّه موجوداً هنا ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، أتحب
أن تسأله عن ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، أسأله أنت ! . . . فهذه الوقاحة هزّنتني
هزاً !

الأستاذ : طبيب ! نيكولا ، أما زِلْتَ هنا ؟

(تانيا تضرب مرتين وتحرك الجرس ، عاد سيمون إلى المهمة
وملامسة ساخاتوف والأستاذ الذي يشده) .

يا لها من ظاهرة غير متوقعة ! تأثيرٌ مباشر في الوسيط نفسه !
لم يقع هذا قط . راقبه ، يا ليونيد فيودوروفيتش ،

فليس ذلك مريحاً لي ، إنه يشدّ عليّ كثيراً . وانظر إن كان
غروسمان يهتز ! يلزمنا الكثير من الانتباه الآن .

(ترمي تانيا على الطاولة عقد الفلاحين) .

ليونيد فيودوروفيتش : وقع شيءٌ على الطاولة .

الأستاذ : انظر ، ماذا وقع ؟

ليونيد فيودوروفيتش : ورقة مطوية !

(ترمي تانيا بمحبرة)

ومحبرة !

(ترمي تانيا بريشة)

وريشة !

(يتابع سيمون مهمته وخربشته) .

الأستاذ : اسمحوا لي ، اسمحوا لي ! هذه ظاهرة جديدة تماماً ،

فليست الطاقة الوسيطة هي التي تعمل بل الوسيط نفسه . ومع

ذلك افتحوا الدواة وضعوا الريشة قرب الورقة ، فسيكتبُ .

(تانيا ، وراء ليونيد فيودوروفيتش ، تضربه بالقيثارة على رأسه) .

ليونيد فيودوروفيتش : ضربتني على رأسي . (ينظر إلى الطاولة) .

الريشة لا تكتب ، والورقُ ما زال مطوياً .

الأستاذ : انظر بسرعة إلى الورقة . لا شك أن قوة غروسمان أحدثت

اضطرابات .

ليونيد فيودوروفيتش ، يخرج لحظةً ويعود مباشرةً : غريب . فهذه

الورقة هي العقد الذي رفضت هذا الصباح أن أوقعه
للفلاحين والذي أعدته إليهم . لكنه يريد أن أوقعه .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد . لكن اسأل : نيكولا ، أتريد ذلك ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

أسمعُ ، الأمرُ واضح !

(يتناول ليونيد فيودوروفيتش الريشة ويخرج ، تانيا تضرب
وتعزف على القيثارة والاكورديون وتندس تحت الأريكة . يعود
ليونيد فيودوروفيتش . يتمطى سيمون ويسعل) .

ليونيد فيودوروفيتش : لقد استيقظ ، نستطيع أن نضيء الشموع .

الأستاذ ، بحوية : دكتور ! دكتور ! أرجوك ، الحرارة والنبض !
سروُن أن الحرارة ارتفعت !

ليونيد فيودوروفيتش ، مضيقاً بالشموع : ما رأيكم ، أيها السادة
المتشككون ؟

الطبيب ، يذنو من سيمون ويضع له ميزان الحرارة : هل نمت يا فتى ؟
ضع هذا ، وأعطني يدك .

(ينظر إلى ساعته) .

ساخاتوف ، هازأ كفيه : أستطيع أنؤكد أن الموسيط لم يفعل كل
ما وقع . والخيط ؟ أريد تفسيراً للخيط ! ...

ليونيد فيودوروفيتش : الخيط ! الخيط ! لقد صادفنا هنا من قبل
ظواهر أكثر خطورة من ذلك .

ساخاتوف : لا أدري . وعلى كل حال ، فأنا أحتفظ برأيي .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : آه ! لا ! كيف يجوز لك أن تقول :
أنا أحتفظ برأيي . والطفل الصغير بجناحيه ، ألم تَرَه ؟
في البداية ظننته وهماً ، ثم رأيت بوضوح بعد ذلك ...

ساخاتوف : لا أستطيع الكلام إلا على ما رأيت ، ولم أرَ ذلك .
السيدة البدينة : أوه ! مالآك ؟ كان واضحاً ، مع ذلك ! وإلى اليسار ،
راهبٌ باباس أسود انحنى عليه !

ساخاتوف ، يدير لها ظهره : أية مبالغة هذه !

السيدة البدينة ، للطبيب : لا بدّ أنك رأيته ! كان من جهتك .
(يتابع الطبيب جسّد النبض دون أن يُصغي إليها . لغروسمان) .
وهذا الضوءُ حول الوجه ... وذلك التعبير البالغ العذوبة والرقّة ،
شيءٌ سماويّ ...
(تبتسم بحنان) .

غروسمان : رأيتُ وميضاً فوسفورياً ... ورأيتُ الأشياءَ تتغيّر مواضعها
... ولم أر شيئاً غير ذلك .

السيدة البدينة : أوه ! مالآك ؟ أنت تقول هذا لأنك من مدرسة
شاركو ولأنك لا تؤمن بالحياة بعد الموت ! أما أنا فلا أحد ،
لا أحد يستطيع أن ينتزع مني إيماني بالحياة الأخرى !
(غروسمان يدير لها ظهره) . لا ، لا ! قولوا متشاؤون ،
لكنني قد قضيت لحظة من أسعد لحظتين قضيتهما في حياتي :

اللحظة التي سمعتُ « سارازات (١) » يعزف فيها ، وهذه
اللحظة . نعم ! (لا أحد يُصغي إليها ، تدنو من سيمون) .
قل لي ، يا صديقي ، بماذا كنتَ تحسّ ؟ أكان ذلك مؤلماً .

سيمون ، ضاحكاً : هكذا !

السيدة البدينة : لكن ذلك على كل حال ، مُحتملٌ ؟

سيمون : هكذا (لليونيد فيودوروفيتش) . هل يجب أن أنصرف ؟

ليونيد فيودوروفيتش : امضِ ! امضِ !

(يخرج سيمون) .

الطبيب ، للاستاذ : النبض هو ذاته ، لكن الحرارة هبطت .

الاستاذ : هبطت ؟ (يبقى متفكراً ، ثم يحزر السبب) . نعم ، طبعاً !

إن التأثير المضاعف لا بدّ أن يحدث بعض التداخل .

ليونيد فيودوروفيتش ، يتكلم في الوقت نفسه الذي يتكلم فيه الآخرون :

لستُ أسفاً إلا على شيء ، هو أنه لم يكن هناك تجسّدٌ

كامل . لكن مع ذلك ... تفضّأوا ، أيها السادة ، إلى

غرفة الاستقبال .

السيدة البدينة : ما أدهشني أكثر من غيره هو أنني رأيته يرفع جناحيه

ويصعد في الهواء .

غروسمان : لو اقتصرنا على النوم المغناطيسي وحده لأمكننا أن نحدث

صَرَاعاً تاماً ، ولكان النجاحُ مطابقاً .

(١) سارازات : لاعب الكمان الإسباني المشهور (١٨٤٤ - ١٩٠٨) وقد لقي نجاحاً

عظيماً أثناء جولاته في روسيا وأمريكا .

ساخاوتوف : هذا شائقٌ لكنه ليس مقنعاً تماماً . هذا كل ما أستطيع أن أقوله .

(يخرج الجميع ، ما عدا تانيا وليونيد فيودوروفيتش ، وهم يتابعون حديثهم) .

المشهد - ٢١ -

« ليرنيد فيودوروفيتش ، يدخل تيودور ايفانوفيتش والعقد بيده » .

ليونيد فيودوروفيتش : ليتك رأيتَ ، يا تيودور ! أية جاسة ! مدهشة !
وقد نتجَ عنها أنه يجب أن أتنازل عن الأرض للفلاحين
بالشروط التي يعرضونها .

تيودور ايفانوفيتش : آه !

ليونيد فيودوروفيتش : طبعاً (يرُبه العقد) . تصوّر أن العقد الذي
أعدته لهم قد وُجدَ على الطاولة ! ووقعته .

تيودور ايفانوفيتش : لكن كيف جاءَ إلى هنا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! كما ترى عيناك ! لقد جاء !

(يخرج ويتبعه تيودور ايفانوفيتش) .

المشهد - ٢٢ -

تانيا ، وحدها ، تخرج من تحت الأريكة وتنفجر ضاحكة : آه ! يا
أصدقائي ! كم خفت عندما قبضَ على الخيط . (تُطأقُ

صرخةٌ) . لكن اللعبة نجت مع ذلك ؛ لقد وقع !

(يدخل غريغوري) .

المشهد - ٢٣ -

« تانيا وغريغوري . »

غريغوري : أنتِ اذن التي كانت تضحكُ عليهم ؟

تانيا : هل يخصُّك هذا ؟

غريغوري : أتظنّين أن السيدة ستُثني عليكِ من أجل ذلك ؟ آه ! لا !

الآن قبِضْ عليكِ ! وسأروي جميع الأعياب إذا لم

تفعلي ما أرياه !

تانيا : لن أفعل ما تريد ، ولن تستطيع شيئاً .

ستار

الفصل الرابع

منظر الفصل الأول

المشهد - ١ -

« خادما تشريفات ، بالثوب الرسمي ، تيودور ايفانوفيتش وغريغوري » .

الخادم الأول ، وهو أشيب السالفين : هذه هي الزيارة الثالثة التي نقوم بها اليوم . ومن حسن الحظ أن يسكن الأشخاص الذين يستقبلون في اليوم ذاته ، الحبيّ ذاته . كان يوم الاستقبال عندكم ، في الماضي ، هو يوم الخميس .

تيودور ايفانوفيتش : ثم غيرناه إلى يوم السبت حتى يقع في يوم استقبال آل غولوفكين وآل « غرادي فون غرابيه » ...

الخادم الثاني : الجميلُ عند آل شيرباكوف أنه عندما يكون هناك حفلة راقصة ، تُقدّم للخادم وليمتهم .

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، الأميرة ، الأميرة الشابة وبيتسي ينزلن الدرج . تنظر الأميرة إلى دفترها الصغير وإلى ساعتها ، ثم تجلس على الصندوق . يضع غريغوري في قدمها الحذاء الوافي » .

الأميرة الشابة : لا ، أرجوك ، تعالي . وإلا ، إذا رفضتِ أنتِ ،
وإذا رفضَ دودو ، فإن نستطيع إذ ذاك أن نفعل شيئاً .

بيتسي : لا أدري ؛ إذ يجب أن أذهب حتماً إلى منزل آل شوبين .
ثم هناك التدريبات .

الأميرة الشابة : سيكون لديك متسعٌ من الوقت ؛ لا ، أرجوك .
لا تُخلّي بوعدك . ستحضر فيديا ، وسيحضر كوكو .

بيتسي : عفتُ كوكو هذا .

الأميرة الشابة : ظننتُ أني سأجدهُ هنا . فهو عادةً دقيقٌ دقةً ...

بيتسي : اوه ! سيأتي بالتأكيد .

الأميرة الشابة : عندما أراه معك يُخَيَّلُ إلي أنه طابك للزواج قبل
هنيهة ، أو أنه سيطلبك بعد هنيهة .

بيتسي : نعم ، أكبرُ الظنّ أنني سأُحْمَلُ على ذلك حملاً .
وهذا أمرٌ غيرُ مستحبٍّ !

الأميرة الشابة : مسكين كوكو ، فهو عاشق !

بيتسي : اسكتي ! فالناس . . .

(تجلس الأميرة الشابة على ديوان وتتهامس هي وبيتسي ، في
حين يضع غريغوري في قدمها حذاءها الواقى) .

الأميرة الشابة : إلى اللقاء إذن ، هذا المساء !

بيتسي : سأحاول .

الأميرة : قولي لوالدك : إنني لا أصدق شيئاً ، لكنني سأتي مع ذلك لأرى وسيطته الجديد . لبيعنا مني . إلى اللقاء ، يا حلوتي .
(يتعانقن . تخرج الأميرة وابنتها . تصعد بيتسي الدرج عائدة) .

المشهد - ٣ -

« خادما التشريفات تيودور ايفانوفيتش ، غريغوري »

غريغوري : لا أحب أن أنعل العجائز أحذيتهن ! فهن لا يستطعن أن يسنحن ولا يرين الأرض بسبب بطونهن ، وهن يدسن دائماً أقدامهن جانباً . الأمر مختلف عندما تكون المرأة شابة ! بل إنه من المستحب أن يمسك المرء بيده قدمها الصغيرة !

الخادم الثاني : وهذا أيضاً يميز بين النساء .

الخادم الأول : ليس لنا نحن ، أن نميز بينهن .

غريغوري : ولم لا ؟ ألسنا بشرأ ؟ هن اللواتي يتصورن أننا لانفهم شيئاً . فعندما كانتا تثرثران قبل قليل رمتاني بنظرةٍ وقالتا :
الناس !

الخادم الثاني : وما معنى هذا ؟

غريغوري : آه ! معناه : « لا تتكلمي فهم يفهمون ! » وأثناء الغداء أيضاً ، وأنا قد فهمتُ . أنت تقول : إن بيننا وبينهم فرقاً ...
لا فرق بيننا .

الخادم الثاني : الفرق كبير لمن يفهم . .

غريغوري : لا فرقَ بيننا : أنا اليوم خادم وربما أصبحتُ غداً خيراً
منهم . وهؤلاء السيدات يتزوجن أيضاً بالخدم ؛ ألم يحدث
هذا ؟ أودّ أن أدخّن .

(يخرج)

المشهد - ٤ -

الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري .

الخادم الثاني : هذا الشاب جريء !

نيودور إيفانوفيتش : هو فتى تافه ! لا يملك الاستعدادات اللازمة
للخدمة : كان خادماً في مكتب ففسد . وقد نصحتُ بعدم
استخدامه . لكنه أعجب السيدة . فهو حسن الهيئة عندما
يُرى في العربة . . .

الخادم الأول : لو شاورني لشغلته عند معامنا الكونت ، فهذا
سيضعه عند حدة . إنه لا يحب المتعجرفين . إذا كنت
خادماً فابقَ خادماً ! الزم طبقتك . أما هذا التكبر فهو
لا يلائمنا .

المشهد - ٥ -

« الأشخاص أنفسهم بيتر يشتييف ينزل السرج على عجل ويسحب
سيجارة » .

بيتر يشتييف ، متفكراً : نعم ، نعم ، جزئي الثاني يشبه « ك » ؛
والكل . . . نعم ، نعم ، نعم . (يُقبل عاياه كوكو

كانجن ؛ وهو يضع نظارة بلا ساعد) . آه ! يا صغيري

كوكو من أين جئت ؟

كوكو : من عند آل شيرباكوف . وأنتَ أما تزال في حماماتك .

بيتريشتييف : لا اسمعُ الأحجية . . جزئي الأول يشبه « كين » ؛

وجرئي الثاني يشبه « ك » والكل يطرد العجول .

كوكو : لا أدري . ليس لديّ وقتٌ .

بيتريشتييف : وإلى أين أنتَ ذاهب ؟

كوكو : كيف ، إلى أين أنا ذاهب ؟ يجب علي أن أذهب إلى منزل

آل ايفين ، وفيها سنتدرّب على الغناء ؛ ثم إلى منزل آل

شوبين ، ثم إلى التدريبات . وأنتَ أيضاً ، ستحضر

التدريبات .

بيتريشتييف : بالتأكيد ، لن أغيب . عنها . احزرُ هذه : أنا

كنت المتوحش والآن أنا متوحش وجنرال .

كوكو : وجاسة الأمس كيف جرّت ؟

بيتريشتييف : هلكنّا من الضحك ! استخدموا أحدَ الفلاحين

وسيطاً ، وجرى ذلك في الظامة خاصة . كان « فوفو »

يصرخ كالطفل والأستاذ يقدم شروحاته ، وماريا

فاسيايفنا تعاق على ذلك . هاكنّا من الضحك ! خسارة

أنا لم تحضر . . .

كوكو : أنا أخاف ، يا عزيزي ! أنتَ تستطيع أن تتخلّص

بنكاتك ؛ أما أنا فيكفي أن أقول كلمة واحدة حتى

تُؤَوَّلُ تَأْوِيلًا يُظْهِرُنِي كَأَنِّي أَطْلُبُ الزَّوْاجَ ! وَهَذَا لَا
يَلَاثِمُنِي عَلَى الْإِطْلَاقِ . عَلَى الْإِطْلَاقِ ، عَلَى الْإِطْلَاقِ !

بِئْرِيشْتِيَف : وَأَنْتَ تَقْدَمُ إِلَى الزَّوْاجِ بِفِعْلٍ ، فَهَذَا لَا يُلْزِمُكَ
شَيْئًا . اذْهَبْ إِلَى « فُوفُو » ثُمَّ نَذْهَبْ مَعًا إِلَى التَّدْرِيبَاتِ .
كُوكُو : لَا أَفْهَمُ كَيْفَ تَنْسَجِمُ مَعَ أَحْمَقِ كَهَذَا ؟ مَا أَغْبَاهُ ! أَبْنَاهُ
حَقِيقِي .

بِئْرِيشْتِيَف : أَمَّا أَنَا فَأُحِبُّهُ . أَحِبِّ فُوفُو .
(يَدْخُلُ غُرْفَةَ بَاسِيلِ لِيُونِيدِيَتَش) .

المشهد - ٦ -

« خَادِمَا التَّشْرِيفَاتِ . تِيودُورُ ايفَانُوفِيَتَش . كُوكُو كَانْجَن
بِئْسِي تِرَافِقُ سَيِّدَةٍ . كُوكُو ، بِحَيْثُهَا تَحِيَّةُ ذَاتِ مَعْنَى » .
بِئْسِي : تَمَدَّدْ يَدَهَا إِلَى كُوكُو ثُمَّ تَخَاطَبِ السَّيِّدَةَ : أَلَسْتَمَا مُتَعَارِفَيْنِ ؟
السَّيِّدَةُ : لَا .

بِئْسِي : الْبَارُونُ كَانْجَن . (لِكُوكُو) . لَمْ لَمْ تَأْتِ أَمْسَ .
كُوكُو : كَانَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا . مَا كُنْتُ أُسْتَطِيعُ الْوُصُولَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ .
بِئْسِي : خُسَارَةٌ ، كَانَ ذَلِكَ مُمْتَعًا ! (تَضْحَكُ) كُنْتُ سَرَى مَا
التَّجَارِبَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ ! وَأُحْجِثُنَا هَلْ هِيَ بِخَيْرٍ ؟
كُوكُو : أَوْه ! نَعَمْ ! أَشْعَارُ « جِزْيِ الثَّانِي » جَاهِزَةٌ . « نِيَاك »
نَظَمَ الْأَشْعَارَ ، وَأَنَا أَلَفْتُ الْمَوْسِقَا .
بِئْسِي : مَا هَذِهِ الْأَشْعَارُ ؟ أَنْشُدْهَا لِي !

كوكو : عفواً ! كيف ؟ ... آه ! نعم ! الفارسُ يغني لنا :

(يغني)

ما أجملَ الطبيعة !

نانا الحَاوَة

تَسْكُبُ الأمل في نفسي

نا ، نا ، نا ، نا ، نا .

السيدة : الجزء الثاني هو « نا » . وما الجزء الأول ؟

كوكو : وجزئي الأول ، جزئي الأول « آري » ، وهو اسم متوحشة .

بيتسي : « آري » متوحشة تريد أن تفتس حبيبها .

(تنفجر ضاحكة . تمشي . ثم تقف وتغني) :

آه ! الشهية ...

كوكو ، مقاطعاً : تعذبني !

بيتسي ، مستأنفة : أودّ لو أكل أحداً ،

وأنا أمشي ، وأطوف ...

كوكو : دون أن أعثر على شيء .

بيتسي : ولا أعلم مَنْ أَكُلُ .

كوكو : وأرى في الأفق شراعاً .

بيتسي : يَدْنُو حاملاً جنرالين .

كوكو : نحنُ جنرالان

جَمَعَ بَيْنَنَا الشَّقَاءُ ،
ورمى بنا فوق هذه الجزيرة .

السيدة : رائع .

بيتسي : أترينَ كم هي سخيفة !

كوكو : كل روعتها هنا .

السيدة : من قام بدور « آري » ؟

بيتسي : أنا . وقد فصّلتُ ثوباً . ولكن ماما قالت لي : إنه غير

محتشم لكن فستان الحفلات الراقصة لا يزيد احتشاماً

عنه . (لتيودور ايفانوفيتش) . هل ساعي « بوردييه »

هنا ؟

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، يا آنسة ، وهو في المطبخ .

السيدة : والآربنا ؟

بيتسي : سترين ذلك ؛ لا أريد أن أفسد عايكِ متعتك . إلى

اللقاء .

السيدة : إلى اللقاء .

(يتبادلون التحية ؛ تخرج السيدة) .

بيتسي ، كوكو : تعال إلى غرفة ماما .

المشهد - ٧ -

« تيودور إيفا نوفيتش ، خادما التشريفات ، يعقوب خارجاً من

غرفة الخدمة يحمل صينية مملأى بفناجين الشاي والحاوي ، ويحتاز

غرفة الانتظار لاهذاً » .

يعقوب ، لخدمتي التشريفات . ثم اتودور ايڤا توفيتش : طاب
يومكم ، طاب يومكم ! (يحياه الخادمان) . يجب أن
تطالب إلى غريغوري ميخايلوفيتش أن يساعدني قليلاً ؛
فأنا مرهقٌ .

(يخرج)

المشهد - ٨ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا يعقوب » .

خادم التشريفات الأول : هذا واحدٌ يُجهد نفسه .

تيودور ايڤانوفيتش : إنه فتى طيب . لكنه لا يُعجب السيدة .
وهي ترى أنه لا يظهر بالمظهر الحسن . ومن سوء حظّه
أن الجميع حَمَآوا عليه أَمْس بالذات ، لأنه ترك
الفلاحين يَدْخَون المطبخ . أخشى أن يصرفوه من العمل .
ومع ذلك فهو فتى طيب .

الخادم الثاني : أي فلاحين ؟

تيودور ايڤانوفيتش : فلاحون جاؤوا من قريتنا ، من مقاطعة
كورسك ليشتروا أراضي . كان الوقت متأخراً . ثم
لأنهم من موطن خازن الخمر وأحدهم أبو خادم غرفة
الخدمة . فأَدْخَلُوا حينئذ المطبخ . ولسوء الحظ كان الحضورُ
هنا ، أَمْس ، مشغولين بقراءة الأفكار : لقد خُبِّئَ
شيءٌ في المطبخ وجاء جميع السادة إلى المطبخ ورأتُ
السيدةُ الفلاحين . كان ذلك رهيباً ! قالت : « كيف

يحيى هؤلاء الناس من الشارع حاملين جميع أنواع
الأمراض المعدية . وتدخلونهم المطبخ ؟ » إنها تخاف
العدوى خوفاً عظيماً .

المشهد - ٩ -

« الأشخاص أنفسهم غريغوري » .

تيودور ايفانوفيتش : غريغوري ، اذهب وساعد يعقوب ايفانوفيتش .
وسأبقى وحدي هنا ؛ إنه لا يستطيع الاستغناء عن مساعدتك .
غريغوري : إنه لا يحسن العمل .

(يخرج)

المشهد - ١٠ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري » .

الخدام : إنها لبيدةٌ جديدة تلك العدوى ! سيّد تكم ، اذن ،
تخاف منها أيضاً ؟

تيودور ايفانوفيتش : أكثر من النار ! فلا عمل لدينا ، في هذا
الوقت سوى الغسيل والتدخين والرش !

الخدام الأول : ومن أجل ذلك إذن كان الهواء ثقيلًا إلى هذا الحد
هنا . (بحرارة) . أين سنصل مع جنون العدوى هذه ؟
لقد نسوا الله من جرّائها ! وهكذا فعندنا ، مثلاً ،
عند أخت سيّدنا ، الأميرة « موسولوفا » ، أشرفت الفتاة
على الموت . فماذا كان ! أبى والداه وأمها أن يدخلوا

غرقتها . لم يقولوا لها وداعاً . مع أن ابنتهما كانت تبكي
وتناديهما لتقول لهما وداعاً فأم يدخلها غرفتها ! لقد
وجد الطبيب علةً معدية لا أدري كنهها . لكن الخادمة
والمرضة عالجتها مع ذلك ، ولم يُصبهما سوءٌ : فما
تزالا حيتين تُرزقان .

المشهد - ١١ -

« الأشخاص أنفسهم . باسيل ليونيديتش وبيترشيتيف يدخلان
والسيجارةُ بين الشفتين » .

بيترشيتيف : هيا ، إذن ! سآتي بكوكو !
باسيل ليونيديتش : صاحبك كوكو أباه . إنه فتى تافه ! وهو لا
يهتم بشيء . لا همّ له سوى التنزه . إيه ماذا ؟

بيترشيتيف : انتظري مع ذلك . سأستأذن .
باسيل ليونيديتش : طيب ! سأنظر إلى الكلاب في غرفة الخوذي .
فبينها ساوقي ضاري قال الخوذي عنه : إنه أوشاك أن يفترسه !
إيه ماذا ؟

بيترشيتيف : مَنْ الذي افترس الآخر ؟ هل الخوذي هو الذي أكل
الكلب ؟

باسيل ليونيديتش : أوه ! أنت دائماً . . .
(يرتدي ثيابه ويخرج) .
بيترشيتيف ، متفكراً : ما . . . كنه . . . توش . نعم ! . . .
نعم ! .
(يصعد الدرج) .

المشهد - ١٢ -

« خادما التشريفات تيودور ايغا نوفيتش ؛ يعبر يعقوب غرفة الانتظار راكضاً في بداية المشهد وفي نهايته » .

تيودور ايغانوفيتش ، ليعقوب : وماذا هنالك أيضاً ؟

يعقوب : هناك نقصٌ في قطع الخبز المدهونة بالزبدة . توقعتُ ذلك .

(يخرج)

خادم التشريفات الثاني : أو ان الولد هو الذي يمرضَ عندنا . فيرسلُ على الفور إلى الفندق مع مربّياته فيموت فيه وأمه غائبة .

الخادم الأول : صحيح ، إنهم لا يخافون الخطيئة ! أعتقدُ أنا ، أننا لا يمكن أن نخشىء من وجه الله ، اينما كنّا .

تيودور ايغانوفيتش : وأنا أعتقد ذلك أيضاً .

(يصعد يعقوب الدرج وهو يركض ، حاملاً الخبز والزبدة) .

الخادم الأول : لاحظُ أيضاً أن الإنسان إذا خاف العدوى من الجميع ،

فما عايه ! إلا أن يحبسَ نفسه بين أربعة جدران ، وكأنه في سجن !

المشهد - ١٣ -

« الأشخاص أنفسهم تانيا ثم يعقوب » .

تانيا تُحيي الخادمين : طاب يومكما ! (الخادمان يُحييانها) .

أحب أن أقول لك كاهنتين تيودور ايغا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! ماذا تريد أن تقول ؟

تانيا : ما يزال الفلاحون هنا يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : لكن لماذا ؟ لقد ساءتُ سيمون العقد .

تانيا : بالنسبة إلى العقد ، لقد ساءتُهم إياه . وهم لا يطلبون

إلا شيئاً : هو أن يدفعوا المال الذي معهم .

تيودور ايفانوفيتش : وأين هم ؟

تانيا : هم ينتظرون تحت ، قرب مدخل الدرج .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! سأخبرُ بذلك .

تانيا : ثم إن لي طاباً عندك يا تيودور ايفا نوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : وما هو ؟

تانيا : لم أعد أقوى على البقاء هنا ، يا تيودور ايفا نوفيتش ،

أطلبُ لي من السيدة أن تدعني أسافر .

(يدخل يعقوب راكضاً) .

تيودور ايفانوفيتش : ما بك ؟

يعقوب : يازمُهم أيضاً سمور وبرتقال .

تيودور ايفا نوفيتش : اطابُ هذا من الخادمة (يتوارى يعقوب وهو

يركض) . لماذا تريد ذلك إذن ، يا تانيا ؟ هذا غير ممكن

الآن .

يعقوب ، مسارعاً : لا يوجد ما يكفي من البرتقال .

تيودور ايفانوفيتش : خذ ما بقي . (يخرج يعقوب) . لم تحسني
اختيار اللحظة المناسبة . أنت تَرَيْنَ الباباة !

تانيا : لكنك تعلم جيداً يا تيودور ايفا نوفيتش ، أن هذه
الباباة لا تنتهي أبداً ؛ والقضية مهمة بالنسبة إليّ . فيما أنك
أحسنّت إليّ من قبلُ كنّ لي يا تيودور ايفا نوفيتش
أباً ثانياً ، واختر اللحظة المناسبة ، واطلب منها ذلك .
ولاً فسوف تغضب ولن تعيدَ إليّ جواز سفري .

تيودور ايفانوفيتش : لكنّ لم أنتِ مستعجلة إلى هذا الحد ؟

تانيا : ماذا تريد مني أن أفعل يا تيودور ايفا نوفيتش . فالقضية
منتهية الآن وسأبحث عن اشبيته لي ، وسأخبرها بالأمر
وسأستعد ، وسنحتفل بالعرس في نهار الأحد الذي يلي
عيد الفصح . كاتّمها بشائي أيها الأب الثاني ، تيودور
ايفا نوفيتش .

(تخرج تانيا . ينزل من فوق سيّدٌ مسنّ ، ويخرج دون أن يقول
شيئاً مع الخادم الثاني) .

المشهد - ١٤ -

« تيودور ايفا نوفيتش خادم التشريفات الأول ، يعقوب » .

يعقوب : آه ! يا تيودور ايفا نوفيتش ، الأمر لا يُطاق ! إنها
تريد أن تصرفني الآن ! قالت لي : « أنت تكسر كل
شيء ولم تعتنِ بفيضي ، وتركتَ الفلاحين يدخلون
المطبخ بالرغم من أوامري ! » وأنت تعلم جيداً أن الغلطة

ليست غاظتي ! تانيا هي التي قالت لي : « خذْهم إلى المطبخ » ، وكيف كان يُمكنني أن أعلم أن ذلك ممنوع .

تيودور ايفانوفيتش : أهي قالت لك ذلك ؟

يعقوب : قالته لي للتو . أنقذني يا تيودور ايفا نوفيتش ! ...
لقد أخذت أسرتي تنتعش وإذا فقدتُ عملي فَمَنْ يلدري متى أجد غيره ؟ أرجوك إذن ! ...

المشهد - ١٥ -

« تيودور ايفا نوفيتش ، خادم التشريفات الأول : السيدة ، تقود كونتيسة عجوزاً تضع شعراً مستعاراً وأسناناً صناعية . الخادم الأول يلبس الكونتيسة ثيابها » .

السيدة : قطعاً ، بكل تأكيد ! لقد تأثرتُ تأثراً عميقاً !

الكونتيسة : لولا صحتي ، لأكثرُ من زياراتي لك .

السيدة : أحثك على استشارة « بيير بيتروفيتش » . إنه فظ . لكنْ

لا أحد يُلاطفك مثله . بالنسبة إليه كل شيء بسيط جداً

واضح جداً !

الكونتيسة : لا تعودت طبيبي .

السيدة : انتبهى لنفسك !

الكونتيسة : شكراً ، ألف شكر .

المشهد - ١٦ -

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ينطلق إلى خارج غرفة الخدمة ،

مشوشاً ، منفعلًا ، ووراءه بركض سيمون » .

سيمون : خُذْ . . . كان عليك أن تدعها وشأنها !

غريغوري : سأعلمك ، يا نذل ، كيف تضربني ! آه ! يا حقير !

السيدة : ما هذا ؟ لعلكما في حانة ! . . .

غريغوري : هذا الخسيس جعل حياتي لا تُطاق !

السيدة ، متضجّرة : لكنْ ، هل جُنُنتما ! (للكونتيسة) شكراً ،

ألف شكر ! اللقاء نهار الثلاثاء .

(الكونتيسة وخادم التشريفات الأول يخرجان) .

المشهد - ١٧ -

« تيودور ايغا نوفيتش ، السيدة ، غريغوري ، سيمون »

السيدة : ما الأمر ؟

غريغوري : مع أنني لستُ سوى خادم ، فإن لي كبريائي ، ولن أسمع
لفلاح تافه أن يُهينني .

السيدة : ماذا جرى ؟

غريغوري : ما جرى هو أن سيمون أخذ يتكبر منذ أن صارَ نجاس
مع السادة ، وأخذ يضربني .

السيدة : كيف ؟ لماذا ؟

غريغوري : لا أدري لماذا ؟

السيدة لسيمون : ما معنى هذا ؟

سيمون : ما عليه إلا أن يكفَّ عن ملاحقتها .

السيدة : ماذا تقصد ؟

سيمون ، مبتسماً : يريد أن يقبل تانيا ، الخادمة ، وهي ترفض ذلك .
فنهضت عنها ، هكذا ، برفق .

غريغوري : آه ! طيب ! بسمي فعلاً « تنحية » . ! كاد يهشم
أضلاعي . ومزق لي ثيابي . لو تعاملين ما الذي قاله لي . .
قال : إن القوة التي تماكنتني أمس ، تماكنتني اليوم
وأخذ يشد علي .

السيدة ، لسيمون : كيف تجرؤ على المقاتلة في بيتي ؟

تيودور ايفانوفيتش : اسمحي لي أن أعرض الأمر عليك ، يا آنا
بافاوفنا . يجب أن أقول لك إن سيمون يحب تانيا ، وأنها
خطبت إليه ، وبما أن غريغوري ، والحق يقال ، لا
يتصرف تصرفاً لائقاً . . . فلا بد أن سيمون شعر بالإهانة .

غريغوري : أبداً لا . بل من الحق علي ، لأنني كشفت حياتهم .

السيدة : أية حيل ؟

غريغوري : أثناء الجاسة . كل الأعيب الأمس عماثها تانيا ، لا
سيمون . رأيتها بعيني تخرج من تحت الأريكة .

السيدة : ماذا ؟ تخرج من تحت الأريكة ؟

غريغوري : أستطيع أن أقسم على ذلك بشرفي ! وهي أيضاً التي حمات
العقد ورمته على الطاولة . ولولاها لما وقع العقد ، ولما
تم بيع الأرض للفلاحين .

السيدة : رأيتها أنت نفسك ؟

غريغوري : بعينيّ هاتين . تفضّلي وادعيها . فإن تُنْكَر .
السيدة : ادْعُهَا .

(يخرج غريغوري) .

المشهد -- ١٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري . ضجةٌ خاف المسرح .
صوت الحاجب : « لا يمكن ! لا يمكن ! » ثم يُشاهدُ الحاجبُ
والفلاحون الثلاثة الذين يقتحمون غرفة الانتظار . يدخل أولاً الفلاح
الثاني ، ثم الأول ، وأخيراً الثالث الذي يتعثّر ، ويقع ويخفي أنفه
بيده . »

الحاجب : لا يمكن ، انصرفوا !

الفلاح الثاني : آه ! ما جئنا نرتكب شرّاً ؛ جئنا لنُدفع المبالغ .

الفلاح الأول : طبعاً ! . . . لأن الصنفقة تمتّ بعد التوقيع ، فلا
نريد شيئاً سوى أن ندفع ، ومع كل امتناننا .

السيدة : انتظروا ، انتظروا ، قبل أن تشكروا ! لم يكن الأمرُ
سوى خدعة ، ولم تنته القضيةُ بعدُ ، ولم يتمّ البيعُ .
ليونيد ! ادعُ لي ليونيد فيودوروفيتش .
(يخرج الحاجب) .

المشهد - ١٩ -

« الأشخاص أنفسهم ، يدخل ليونيد فيودوروفيتش ، لكنه يهيم
بالانسحاب حين يرى زوجته والفلاحين . »

السيدة : لا ، لا ! تفضلْ إلى هنا . قاتُ لك : إله لا ينبغي بيع
الأرض بلاديّن ، والجميع قالوا لك ذلك ! لكنك
اتخذتَ كأباه البائس .

ليونيد فيودوروفيتش : بعني ؟ ... ماذا ؟ لا أفهم . أية خدعة ؟
السيدة : يجب أن تستحي من ذلك ! شعرك أشيب وتنخدع كما
ينخدع الصبي ، وتدع الناس يهزؤون منك !
تأبى أن تعطي ابنك ثلاثمائة روبل ليحافظ على مكانته في
المجتمع ، وتُغش ، كما يُغش الغني ، بالآلاف .
ليونيد فيودوروفيتش : لكن اهدني ، يا آنتي .

الفلاح الأول : نريدُ فقط أن نساّم المبالغ ؛ أي ...

الفلاح الثالث : مخرجاً المال : دعونا نذهب بحاج المسبح !

السيدة : انتظروا ! انتظروا !

المشهد - ٢٠ -

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ، تانيا . »

السيدة ، بقسوة ، لتانيا : هل كنتِ أمس مساءً ، أثناء العجاسة ،
في غرفة الاستقبال الصغرى ؟

(تتنهد تانيا ، وتنظر إلى تيودور ايڤانوفيتش ، وليونيد فيودوروفيتش
وسيمون) .

غريغوري : لا مجال للإنكار مادمتُ قد رأيتُكِ !

السيدة : قولي ، أكنتِ فيها ؟ اعترفي ! لن أمسّاك بسوء ؛ أريد

فقط أن أفهم هذا (تشير إلى ليونيد فيودوروفيتش) .
أنت رميت العقد على الطاولة ؟

تانيا : لا أدري بيم أجيب . لا أبغي إلا شيئاً واحداً : أن تدعوني
أذهب إلى بيتي .

السيدة ، لليونيد فيودوروفيتش : أرأيت ! إنهم يضحكون عليك !

المشهد - ٢١ -

« الأشخاص أنفسهم . تدخل بيتسي في بداية المشهد : وهي لا
تُرى في أول الأمر » .

تانيا : دعيني أذهب ، يا آنا بافلوفنا !

السيدة : لا ، يا عزيزتي ! ربما خسرنا عدة آلاف من الروبلات !
لقد بيعت أرض لا ينبغي أن تُباع .

تانيا : دعيني ، يا آنا بافلوفنا !

السيدة : لا ! ستحملين مسؤولية ذلك ! فليس الغشُّ مُباحاً .
سأشتكي إلى قاضي الصالح .

بيتسي ، تتقدم : دعيتها تذهب ، يا ماما ، وإذا شئت أن تلاحقها
فلاحقيني أنا أيضاً في الوقت نفسه . أنا دهرتُ كل شيء
معها البارحة مساءً .

السيدة : إن كنتِ مشتركة ، فلا يمكن أن ينتج عن ذلك سوى
السوء .

« الأشخاص أنفسهم والأستاذ » .

الأستاذ : طاب يومك ، أنا بافاوفنا ! طاب يومك ، يا آنسة !
جئتُ إليكم ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، حاملاً تقرير
المؤتمر الثالث عشر لمستحضري الأرواح ، في شيكاغو .
خطبة « سميت » فيه مدهشة .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! هذا مشوق !
السيدة : وأنا ، سأروي لكم شيئاً أكثر تشويقاً ! أعلمُ أنك أنت
وزوجي قد ضحكت عليكما هذه الصبيّة ! بيتسي تُأقّي
اللومَ على نفسها ، لكنها لا تفعل ذلك إلا لكي تُغيظني .
ضحكتُ عليكما صبيّةٌ لا تعرف القراءة والكتابة ، ومازلتما
مؤمنين - لم يكن ، أمس ، أية ظاهرة ، وهي التي عدتُ
كلَّ شيء .

الأستاذ ، خالماً معطفه : وكيف ذلك ؟

السيدة : بكل بساطة : هي التي كانت تعزف على القيثارة في الظلمة ؛
هي التي كانت تضرب زوجي على رأسه ، والتي عمات
كل حماقاتكم . لقد اعترفت لتوها بذلك !

الأستاذ ، مبتسماً : لكنّ علام يدلُّ هذا ؟

السيدة : يدلّ على أن وسيطيتكم أكلوبة ؛ على ذلك يدلّ .

الأستاذ : ألأنّ هذه الفتاة أحبّت أن نخدعنا ، يَنبُج عن ذلك أن
علم الوساطة أكلوبة ، كما أردت أن تقولِي ؟ (مبتسماً) .

نتيجة غريبة ! ربما كان بنية هذه الفتاة أن تخدع . وهو ما يقع غالباً . بل لعالمها قد فعلت شيئاً من ذلك . لكن ما فعلته هي التي فعلته ، وما كان تجايباً للطاقة الوسيطة كان تجايباً للطاقة الوسيطة . بل من المحتمل جداً أن ما فعلته هذه الفتاة حرّض وآثار ، إن أمكنني القول ، تجايباً للطاقة الوسيطة ، وأعطاهها شكها النهائي !

السيدة : محاضرة أخرى !

الأستاذ ، بقسوة : تقولين . إن لهذه الفتاة ، وربما لهذه الأنسة الفاتنة ، بدأً فيما جرى ؟ لكنّ ما الضوء الذي رأيناه جميعاً ؟ وانخفاض الحرارة في حالة ، وارتفاعها في حالة أخرى ؟ واضطراب غروسمان واهتزازة ؟ ماذا ؟ هل هذه الفتاة هي التي صنعت ذلك كله ؟ هذه وقائع ! لا ، يا آنا بافاوفنا ، هناك أشياء يجب أن تُدرّس وأن تُفهم فهماً جيداً قبل الكلام عليها .

ليونيد فيودوروفيتش : والطفل الصغير الذي رأيته بوضوح ماريا فاسيايفنا ؟ وأنا أيضاً رأيته ! لا ، لا يمكن لهذه البنت أن تفعل ذلك !

السيدة : تظنّ نفسك ذكياً ، وما أنت سوى أحمق !

ليونيد فيودوروفيتش : طيب ! سأصرف . تعال إلى مكتبي ، يا الكسي فلاديمير وفيتش .

(يتجه إلى مكتبه ، يتبعه الأستاذ ويهز كتفيه) .

الأستاذ : آه ! ما أبعدنا حتى الآن عن أوروبا !

« السيدة ، الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايڤا نوفيتش ، تانيا ، بيتسي ، غريغوري ، سيمون ؛ يدخل يعقوب » .

السيدة ، خلف ليونيد فيودوروفيتش : خذ ع كما يُخدع الغبي ، وهو لا يرى شيئاً . (ليعقوب) . ماذا تريد ؟

يعقوب : كم مدعوأ تأمرين أن تُعدّ لهم المائدة ؟

السيد : كم مدعوأ ؟ تيودور ايڤا نوفيتش . خذ منه هذه الأواني الفضية ، واطرده حالاً ؛ فهو سببُ مصائبٍ جميعاً . سيقبرني هذا الرجل ! لقد كاد يقتل كايي أمس ، مع أن هذا الكاب لم يفعل به شيئاً ! وهو أيضاً الذي أدخل الفلاحين الماوثين إلى المطبخ ! وها هم ما يزالون هنا ! هو الذي فعل كل شيء ! ليخرج ليخرج في الحال ! ليُعط حساباه . (لسيمون) . وأنت ، إذا سمحت لنفسك بعد الآن أن تُثير الضوضاء في بيتي فسأعماك . . . أيها الفلاح الحقيير !

الفلاح الثاني : إذا كان فلاحاً حقيراً فلا داعي للاحتفاظ به . أعطيه حساباه وكفى !

السيدة ، تصغي ، وتحدق في الفلاح الثالث : انظرْ إليه ، فعلى أنه بثور ! بثور ! هو مريض ، هو بؤرة علوى ! لقد أمرتهم البارحة ألا يسمحوا لهم بالدخول ! وما يزالون هنا ! اطردهم !

تيودور ايڤانوفيتش : لن تأمرني إذن بقبول المال ؟

السيدة : المال ؟ خذ المال ! لكن اطردهم ، وخصوصاً هذا المريض ! اطردهم فوراً ! إنه متعفنٌ كثيراً !

الفلاح الثالث : أنت مخطئةٌ ، يا سيليقي ، أقسم لك ! أسألي عجوزي إن كنتُ متعفناً . بل أنا كالباور .

السيدة : ويجرؤ على الكلام ! اخرج ! اخرج ! يفعاون كل شيء عن عمد ! لا ، أنا مرهقةٌ ! أحضروا بيير بيتروفيتش !
(تخرج على عجل وهي تتأوه ؛ يخرج يعقوب وغريغوري) .

الفصل - ٢٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة ويعقوب وغريغوري » .

تانيا ، بيتسي : يا آنسة ، يا حمامتي ، ماذا أفعل الآن ؟

بيتسي : لا أهمية لذلك ، لا أهمية كذلك ! تستطيعين أن تسافري معهم ؛ وسأدبر الأمر .

(تخرج)

المشهد - ٢٥ -

« تيودور ايغا نوفيتش ، الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الحاجب » .

الفلاح الأول : لكن كيف نفعل الآن ، أيها المحترم ، من أجل دفع المبلغ ؟

الفلاح الثاني : دعنا نساfer .

الفلاح الأول ، وهو لا يعلم أين يضع المال : لو كنتُ أعلم ذلك لما قبلتُ أبداً . . . فما يجري يهدد الجسم أكثر من المرض .

تيودور ايفانوفيتش ، للحاجب : خذْهم إلى غرفتي . ففيها آلة
للحساب . وسأُتَسَّامَ المالَ فوق .

الحاجب : هيّا ، هيّا !

تيودور ايفانوفيتش : اشكروا تانيا ، فأولاها لما حصَّلتُ على
الأراضي .

الفلاح الأول : لا شك ! وعدتُ ووَفَّتْ بوعدها ؛

الفلاح الثالث : هي جعلتنا على ما نحن عليه ؛ وإلا فماذا كنّا ؟
كانت أرضنا صغيرة ، ولا مكان فيها للجاجة ! إلى
اللقاء يا حُلوة ! إذا جئتِ القرية فتعالِي لتأكلي عسلًا !

الفلاح الثاني : انتظرْ ريثما أعود إلى منزلي ؛ سأبدأ بالإعداد للعرس
وبصنع الجعة ! على أن تأتي .

تانيا : سآتي ، سآتي ، (تطلق صرخة الفرح) . سيمون ،
ما أجمل ذلك !

(يخرج الفلاحون) .

المشهد - ٢٦ -

تيودور ايفانوفيتش : ليحفظكَ اللهُ ! وبعدُ يا تانيا ، إذا ما تزوجتِ
وزرتُكِ في بيتكِ ، فهل تَسْتَقْبِليني ؟

تانيا : يا عزيزي تيودور ايفانوفيتش ، سَنَسْتَقْبِلُكَ مثل والدنا
الحبيب .

ستار

بطرس العشار (١)

دراما في خمسة فصول

١٨٩٤

(١) العشار : في العنوان دعي « العشار » ؛ وهو عشار الإنجيل (لوقا ١٨ : ٩ - ١٤) ؛
وفي النص دعي « الخباز » . ومن الصعب التوفيق بين هاتين الصفتين ؛ ولعل تولستوي قد
فهم « العشار » بالمعنى الأوسع ، أي : الخاطيء التائب .

الفصل الأول

« تجري الأحداث في القرن الثالث ، في سورية . »

المشهد - ١ -

« ساحة أمام منزل سرياني ثري . المتسولون : امرأتان وثلاثة رجال ؛ يمرّ سكان المدينة ؛ المتسولون يتسولون فيُعْطَوْنَ دراهم ؛ ينضمّ حاجٌّ إلى المتسولين . »

الحاج : طابَ يومكم ، أيها الرفاق .

المتسول الأول : من أين أنت قادم ؟

الحاج : من القاهرة ، وهل الناسُ هنا من ذوي الإحسان ؟

المتسول الأول : اوه لا ! الحالُ سيئة ! الأغنياء قلة قليلة .

الحاج : كيف « قلة قليلة » ؟ وهذه المساكن البديعة ؟ (يشير بيده إلى بيت جميل) . لا بدّ أن يكون صاحبه غنياً ؟ .

المتسول الأول : نعم ! صحيح ! هذا غنيّ جداً . لكنه يؤثّرُ أن يشنق نفسه على أن يُعطي صدقةً .

المتسول الثاني : كلُّ الناس هنا يَعْرِفون بطرس الخبّاز ؛ منذ أن سكنتُ هذه المدينة - أي منذ ثلاثين سنة - لم أسمعُ أنه أعطى كسرةَ خبز . لا احتى ولا كسرةَ خبز .

المتسول الثالث : وزوجته ؟ وابنته ؟ أهما يشبهانه ؟

المتسولة الثانية : لا ، ابنته مع ذلك أفضل ؛ خادمتهم قالت لي ذلك .

المتسولة الأولى : ليس على الأرض مَنْ هو أبخلُ من بطرس هذا ؛ إنه لا يعطي أحداً درهماً .

الحاج : كيف ؟ لا يعطي شيئاً أبداً ؟ من عَرَفَ كيف يسأل فهو يحصل دائماً على ما يريد .

المتسول الأول : حاول قليلاً وسترى !

الحاج : سأحاول بالتأكيد . ليس من إنسانٍ لا يعطيني عندما أتشبَّثُ به وألحفُ في السؤال .

المتسولتان والمتسولون ، جميعهم في آن واحد : لن تنجح .

الحاج : أتريدون أن تراهنوا ؟

المتسول الأول : إذا شئت ! لكن ما الرهان ؟

(يتجمع الجميع حول الحاج) .

الحاج : أراهنُ بثلاثة دراهم .

المتسول الأول : قباتُ الرهان ، اضربُ يدك هنا ! (يضربُ كل منهما يدَ الآخر وهما يضحكان) . هات الدراهم .

(يُخرج كل من الحاج والمتسول الدراهم ويسألمانها إلى المتسولة الأولى) .

المتسولة الثانية : انظروا ! ها هو ذا بعينه ! إنه يحُمِّلُ أرغفة الخبز للأمير .

(يصل بطرس ووراءه عبدٌ يحمل سلةً مملوءة بالأرغفة الذهبية الشهية ؛ يتجه الحاجُ نحو بطرس) .

الحاج : بجاه المسيح ! أعط الحاج المسكين ! ارحمني بجاه المسيح ؛ أكاد أموتُ جوعاً .

بطرس ، يكلّم خادّمه دون أن يتوقف ، يتبعه الحاج ويتشبّث .
بقدمه وبطرف رداءه . يدفعه بطرس بقسوة ويانفتح إليه :
ارجعْ ، يا كاب !

الحاج : أيها السيّد المبجل ! أوه ! يا مطعمَ الفقراء ! ارحمني !

بطرس : ارجعْ ! انصرفْ !

الحاج ، يعود من الجهة الثانية ويرتمي على قدميه : أوه ! يا مطعمَ
الفقراء ! بجاه السماء ! أتوسّل إليك أن ترحمني .

بطرس : ارجعْ ! افسح الطريق ! وإلا قتلتك !

(ينحني ويتقطّ حجراً كبيراً من الأرض . ويهّم بضرب الحاج) .

الحاج ، بصوت مؤثر : ارحمني ! ارحمني ! ارحمني ! ارحمني !
أرجوك ! ارحمني !

بطرس : دعني أمرّ . ارجع ! حذار ! انصرفْ !

(ينعيا ، فيتناول بحركة غاضبة رغيفاً من السلة ويرميه إليه .
يأخذ الحاج الرغيف ويجري نحو المتسولين وقد بدا عليه الفرح) .

الحاج : آه ! آه ! رأيتمُ ! نجحتُ ! ربحْتُ الرغيف ! هذه هي
صدقةُ بطرس . (يري الرغيف الجميل) . هاقي الدراهم .

المتسول الثاني : أنتَ محظوظٌ ! لقد ربحْتَ ! يجب أن نشرب نخبك .

ستار

الفصل الثاني

المشهد - ١ -

داخل منزل . في المقدمة تجاس زوجة بطرس وابنته . في صدر المسرح سريرٌ ينام عليه بطرس ؛ هو يهذي .

بطرس : آه ؟ مين هؤلأ اللصوص ! خربوا بيتي ! أسرفوا في الطحين ! ادفع هذا المبلغ ! ادفع المال ! اذبح لي هذا الملك ! الزهورُ تعزف الموسيقى ! وداعاً ، أنا أموت .

زوجة بطرس : مرّ عايه حتى هذا المساء ثلاثة أيام وهو في هذه الحالة ؛ يبدو أنه لا يتحسن ؛ على ألا تكون هذه هي النهاية .

(تدخل من الباب الملهمة ، صاحبة رؤيا) .

الملهمة : طاب يومك ، يا بنتي ! أنت تبكين دائماً ؟ تظنين أنك ستدفنين زوجك ؟ لا تخشي ! لا تخافي ! لا خطّر عايه من الموت ! لن يموت ، لم يجهز بعد . جمع المال أثناء ثلاثين سنة من حياته ؛ ولا بدّ له من ثلاثين سنة حتى يُنفقه . في هذه اللحظة فقط يغدو جاهزاً للموت !

زوجة بطرس : أنت تنطقين بحماقات ، يا ابدوسيا ! أأنت جائعة ؟ أتريدن أن تأكلي ؟

الملهمة : أنا بغنى عن الأكل ! لست جائعة ! أنا بغنى عن الجوع ! يا عجوز ، أنت نائم ؟ أأنت نائم ؟

(تدخل ابنة بطرس . ينهض بطرس لحظة على فراشه ويُصيح
السمع) .

الملهمة : لا يمكن للغني أن يدخل الجنة . أنتَ لا يمكنك أن تدخلها ؛
عبثاً تشبَّث وتُحاف في السؤال ! لن تمر ! ستَهبط إلى
الجحيم !

المشهد - ٢ -

« يدخل طبيب ؛ الزوجة والملهمة ؛ ينقز بطرس على سريره
ويصرخ » .

بطرس : جئتَ لتُخَنقني ! ماذا تريد ؟ لا أحب أن أراك !
الطبيب : اهدأ ، يا بطرس ، سيزول السوءُ عنكَ ! ستشفى .
(يمسك به من يده ويُجاسه على سريره) .

الملهمة : يا له من أحمق ! يا له من أحمق ! أحمق ! استَ تفعل
سوى الحماقات ! ستُفسد عليّ عملي ! أفضلُ أن أنصرف على
أن أرى هذا !
(تهربُ رাকضة) .

الطبيب ، مخاطباً زوجة بطرس : أهسكيه ! (يتسمع إلى صدر
بطرس ويتكلم بينه وبين نفسه) . هنا ، لا شيء ! عجباً ،
هو يبدأ هنا ! آه ! هذا هو ! هذا هو ! إني أسمعُ شيئاً ،
يجب أن يكون هنا ! هو هنا حقاً ! سأطرد ذلك كاه .
(يخاطب بطرس) . ستشفى ، اهدأ ، واطمئن ! ستشفى
عمّاً قريب ! (يُخرج من جيبه قارورة صغيرة ، ويمسك

برأس بطرس ، ويسقيه من القارورة ، ويربها
قارورة أخرى يُعطيها إياها) . وبهذه أفركي جسمه
كأنه .

(يخرج الطبيب بعد أن انتهى ؛ تتبعه زوجة بطرس) .

المشهد - ٣ -

« بطرس وحده مضطجع ؛ لا يُسمع شيء ؛ صمتٌ ؛ وفجأة
ينهض بطرس ويجلس على سريره » .

بطرس : لكنّ ما هذا ؟ أحسّ أنني سأموت ! هذا هو الموت ! أحسّ
أنني أموت . هوذا الملاك الذي جاء يطالب روحي !
قال لي الساعة : إنني سأشفى . لكنّ أيّ شفاء قصّد ؟
هذا هو الموت ! الموت الذي ينتظرني ! يا إلهي ! ما الذي
ينتظرني فوق ؟ ما الذي تُخبّئهُ لي السماء ؟ أصبح
أن الأغنياء لا يجوز لهم أن يدنّخوا ما كوت السموات ؟
أصبح أنني سأكرّه على دفع ثمن قسوتي وبخلي ؟ إنني
لم أرحم قطّ الأرمال واليتامى والمرضى والبائسين ! أهذا
صحيح ؟ أهذا ممكن حقّاً ؟ وكيف أتمكن أنني لم أفهم
ذلك قط . كان الأفضل أن أوزع مالي كأنه بدلاً من أن
تحماني شياطين الموت السود . ها هي آتية ! إنني أسمعها !
صارت هنا ! إنها تُشبّ مغالبها كأنها في روحي (يرفع
رأسه وينظر إلى الأعلى) . ها أنا ألمح الميزان العظيم الذي
ستوزن عاياه سيناتي وحسناتي . عجباً ! إنني أراها ! ها هي
تضع في كِفّة كلّ المال الذي سرقته ، الذي أخذته
من الأرمال واليتامى ؛ وها هي أيضاً الأجرة التي لم

أدفعنها للأعمال ، والإهانات والشتائم والضربات التي
أذنبتُ بها . انتهى الأمر ! قضِي عليّ ! طفحتُ كِفَّةُ
الميزان ؛ وها هي الكفة تنخفض وتهبط وتسقط ، وتبغ
الحضيض . إني أرى الشياطين فرحة ! الشياطين تبتهج ؛
قضِي الأمر ، لقد هلكتُ ! آه ! آه ! آه ! أراها تبحث
عما تضعه في الكفة الأخرى ؟ ماذا ! ما هذا ؟ ماذا
أرى ؟ لا ، هذا غير ممكن ؟ هذا سخيف ! تريدُ أن تهزأ
بي ! ماذا ، رغيف ؟ رغيف لا غير ؟ لا شيء إلا هذا
الرغيف الحقير ! عرفته : إنه الرغيف الذي رميته لذلك
المتسول الذي أخرجني عن طوري . يا للسماء ! ماذا
جرى ؟ ماذا أرى ؟ الكفة التي وُضعَ فيها هذا الرغيف
البسيط تَميلُ ؛ إن الخبز هو الأثقلُ ، إنه أثقل من كل
سِثاتي ! فهمتُ الآن معنى الرحمة . فهمتُ الآن وزَنَ
الرحمة . يا إلهي ، رُدَّ عني الموت ، الآن بعد أن فهمتُ .
فأنا أعرف ما ينبغي أن أفعله ، وما سأفعله . سأقسم
أموالي كلها بيني وبين الفقراء . لن أحتفظ بشيء .

(يرتمي على فراشه وينام) .

ستار

الفصل الثالث

المشهد - ١ -

« يمثل المسرح واجهة بيت بطرس . على مطام الدرج ، يرى بطرس وقد أحاط به جمهورٌ غفير من المتسولين ومن الناس المختلفي الأنواع . يوزع ويقسم بطرس المال الذي يُخرجه من كيس كبير . »
المتسول الأول : يا رجل أنت أخذت نصيبك ! هذه هي المرة الثانية التي تأخذُ فيها نقوداً ! رأيتك بعيني !

(يهجم على المتسول الآخر ويدفعه .)

المتسول الثاني : أنت تكذب . وقد رأيتك ، أنت نفسك : هذه هي المرة الثالثة التي تأخذ فيها .

امرأة : دهستوني !

صوت في الجمهور : أنت ! أخذت ! لا تبقي هنا .

المتسول الثالث مخاطباً بطرس وهو يتباكى : أعطني ، من فضلك ، أعطني أنا ! أنا ! لي خمسة أطفال صغار ! ارحم صغاري !

(تسمع شكاوي شتى واحتجاجات .)

بطرس : خذوا ! خذوا ! أنا أُعطيكم كل شيء ! خذوا ! عندي ما يكفي الجميع ! ما يكفي الناس جميعاً ! لا تتخاصموا ، من

فضاكم ! أطلبُ إليكم ألا تتشاجروا ، ألا يَشْتُم بعضُكم بعضاً ! شدّ ما نشرتُ سوء من حولي ! شدّ ما شتمتُ الناس ! فلا تَفْعَلُوا ، أنتم ، فلك بعد الآن . سامحوني بجاء المسيح !

المشهد - ٢ -

« تصل زوجة بطرس راكضةً ؛ تقف ، وتنتزع الكيسَ من يدي بطرس وتثبت به ، وباليَد الأخرى تهز بطرس وتصرخ به »
زوجة بطرس : ماذا تَفْعَل هنا أيها اللص ؟ قبضتُ عايتك بِفِعْثَاكِ ! تُريد أن تُأجِثنا إلى الفاقة ! تريد أن تجعل منا متسولين ؟ أمس كنتَ شحيحاً مُقرطَ الشح ! كنتَ بخيلاً خسيساً ! وإذا بك تَسْتَقِل من الضدِّ إلى الضدِّ ! أصبحت الآن مبذراً مسرفاً . يالِص ! أنتَ ما تزالُ مريضاً ! قدماً ، لقد جُننت !

(بعد أن انتزعتُ منه كل النقود التي حاولتُ أن تجمعها ، تُهينُهُ وتدفعه إلى بابٍ مدخل بيتهما ؛ وتزَعق بالجمهور أن ذلك انتهى وأن عايتَهُ أن ينصرف . وما إن يُغَاثِق الباب ، حتى يتهاَمس الناس وهم ما يزالون منذهلين ، ويفترقون .)

المشهد - ٣ -

« بطرس الخبّاز يخرج وهو يتكاسم مع اليعازر ، عبده الأمين »
بطرس : هل سمعتَ ؟ عِدْني بأُتْكَ ستفعل ما سأطأبُهُ منك ؟
اليعازر : سأفعلُ كلَّ شيء ! كلَّ ما طأبْتَهُ مني لأنني أحبك ،

في الوقت الحاضر ، أكثر مما أحبُّ أبي وأمي . أحبُّك
لأنني أرى فيك روحَ الله .

بطرس : هذا وعدٌ منك ؟ وعدتني بذلك ؟ أنقسم ؟
اليعازر . مؤدياً القسم وراءه : بعقيدي ! بشرني ! أعدك بذلك ،
وأقسم عاياه !

بطرس : طيب ، صدقتك ! أنا أثقُ بك ! وهذا هو الموضوع :
أنت تعرفُ أسرتي . تعرفها جيداً ، وتعلم أنها تمنعني من
توزيع أموالي على الفقراء . ليس لي أن أحكم عايلهم وقد
أذعنتُ لحُججهم . ليس لي الحق في أن أعتدي على مصالحهم
العائلية . ليس لي أن أناقض مشيئتهم أو أعمل ضدها ، ومع
ذلك فليس بوسعي أن أستمِرَّ في الوضع الذي أنا فيه . لم أعدُ
أحتملُ ! أعرفُ أين واجبي . أدركتُ ذنوبي . انفتحت عينايا .
يجب أن أفتدي نفسي ! أن أكفّر عن ذنوبي . يجب أن
أخدم الله ! يجب أن أطيع الله ! الله هو الحقيقة ! الحقيقة
الوحيدة ! جاء في الكتاب المقدس : « بعْ أملاكك ووزّعها
على الفقراء » . لكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك . أودّ أن
أُتبع كلامَ الكتاب المقدس ، لكنّ ذلك غيرُ مسموح لي ،
هم يمنعونني من ذلك ، ويخطرونه علي . أسرتي تحرّم علي
أن أبيع أملاكي وأوزّع أموالي . ليس بوسعي أن أتصرف
بشروتي . لم تعد ثروتي مأكلاً لي . لكن لي الحق في أن
أتصرفَ بنفسني - (بنظر إلى اليعازر كالمهّم .) ولما
لم يسبقَ لي شيء أعطيته من مالي أو أراضني ، لم يبقَ لي سوى

هذا الحل : أن أبيع نفسي للناس . هذه هي مشيتي .
ستذهبُ بي إلى سوق النخاسة . فأربطُ يدي . (يمد
بطرس يديه لا ليعازر .) خذني إلى سوق النخاسة
وبعني كما لو كنت عبداً لك . بعني كأنني مالكُ لك .
فاذا بعثني وزَّعُ المال الذي تتسلمه على الفقراء .

اليعازر : يامعلم ! يامعلم ! لايمكنني أن أفعل هذا أبداً !

بطرس : لقد أقسمت ، مع ذلك ، يا اليعازر ! فماذا تفعل بقسمك ؟
وعندتني بذلك وأقسمت عايه .

اليعازر : يامعلم ! لا تطالب ذلك مني ! لا تجعلني . أتألم ! أعيتني
من قسبي ! ما تطالبه مني مُرعبٌ .

أنا أسامحك ! واشفقُ عايك ! فسامحني واشفقُ عليّ !

بطرس : أهذا وقتُ الشفقة ! لمَ لم تشفقُ عليّ من قبل ، عندما كنتُ
أسيراً ، وعندما كنتُ أرتكبُ السيئات ، عندما كنتُ
أسير مباشرة إلى هلاك نفسي ، عندما كنتُ أمضي إلى هلاكي
الأبدى ، دون أية معونة ؟ في هذا اليوم جئتُ تشفقُ عليّ ؟
اليوم الذي اخترته لافتداء نفسي ، اخلاصي .

اليعازر ، مُرهقاً ، خامد العزم ، راصحاً للواقع ، وهو يعطاق زفرة
عظيمة : لا تكن مشيئتك ، يامعلم !

زوجة بطرس تدخل : عودا ، عودا ! حسبكما ثرثرة ! عودا بسرعة !

(تخرج)

ستار

الفصل الرابع

سوق النخاسة

المشهد - ١ -

« عبید رقیق مقیدون فی کل مکان : رجالٌ ونساء یمسکهم أصحابهم بالسلاسل : المالك الأول مع عبدين ، المالك الثاني مع عبدين عجوز وفتي . ووسط هؤلاء يبدو البعازر مع بطرس مقيداً . يتناقش المشترون فيما بينهم ، ويجسّون العبيد ليقدروا أثمانهم »

المشتري الأول : كم تطالبُ بتاك ؟ ما آخرُ سعرٍ عندك ؟

(يشير إلى فتاة حسناء باصبعه ذات الخاتم الثمين .)

التاجر الأول : متتا درهم .

المشتري الأول : وماذا تُحسنُ لقاء هذا المبالغ ؟ فأنت لا تُعطيها بمبالغ زهيد !

التاجر الأول : تُحسن الرقص والغناء .

المشتري الأول : هذا غيرُ كافٍ . أتُحسن الطبخ ؟

تاجر الرقيق الأول : إن كنت تبحثُ عن طاهيةٍ فهي لا تُناسبُك ! الأصحّ أن تختار عجوزاً .

المشتري الأول : في هذه الحالة ، أنا في غنى عنها . وأنا أتركها لك .

لمشتري الثاني ، مقتربا من الشيخ والفتى الذي يجسده ويقابله ويخاطب
بائع الرقيق الثاني كم تعالُبُ بهذين ؟

التاجر الثاني : مئة وثلاثين درهماً .

المشتري الثاني : مَنْ تريد أن يُعطيك هذا المبالغ ؟ اللعنةُ عليهما .
فأست تبيعهما بالرخص . (يامس بيده يد الشيخ وذراعه .)
لم يَسبق في هذا قوى ، أما ذاك فليس له بعدُ شيءٌ منها .
إنه فتى صغير . هذا آخرُ سعرٍ عندك . (يداعب العبد الشاب)
كن معقولاً لتتفق . الصفقةُ تتوقف عليك . ما قولك ؟

بائع الرقيق الثاني : هذا آخرُ سعرٍ عندي . قاتُ كالمتي . ولستُ أكاسر
أبدأ . إذا كنت لا تقبل به فاطرُ كُهما لمشتري آخر .

المشتري الثاني : في هذه الحالة ، ليس هذان هما ما أنشد . أنا في
غنى عنهما . (يدنو من بطرس واليعازر وهو يتكلم ويخاطب
بطرس بعجرفة ظاهرة .) وأنت ، ما العمل الذي يمكنك
القيامُ به ؟ أأنت قوى البنية ؟ أنا بحاجة إلى واحد قوى ،
شديد المراس ، مقاوم لجميع أنواع التعب . أأنت
ذلك الرجل ؟

(يتجادل اليعازر وبطرس في هذه الأثناء ؛ ويُسمع
اليعازر وهو يهمس بصوت خفيض .)

اليعازر : لا أستطيع ، ساعمني ؛ لا أستطيع ، هذا فوق طاقتي .
بطرس ، وباللهجة نفسها ، يُجيبه موبخاً : تذكرُ قسمك !
لقد أقسمت ! (ويجيب هو نفسه المشتري الثاني .)

أنا صالح لكل شيء ، وبوسعي أن أفعل كل شيء ، وأن أقوم بأشقّ الأعمال ، بحسب مشيئتكَ المطابقة . وفوق ذلك ، فأنا أعرف الكتابة والحساب .

المشتري الثاني ، مخاطباً اليعازر : كم تطالبُ به ؟ ما سعرُك ؟ بطرس ، يهمس في أذن اليعازر : قلْ له : إنك تنبوي ببقي بمئة درهم .

اليعازر ، مردداً بجهد : أبيعُهُ ، أتنازل عنه بمئة درهم ! مئة درهم !

المشهد - ٢ -

« يرى مصريان يقتربان »

المصري الأول ، مخاطباً المشتري الثاني : لأي عمل تطالبُ رقيقاً .

المشتري : أطاب واحداً لعمل قاسٍ وشاق . أطاب رجلاً يتحمّل المصاعب فيُقدّم لي هذا الرقيق الذي يَعْرِف القراءة والكتابة ؛ إن رجلاً من هذا النوع لا يمكن أن تكون له أية فائدة عندي ؛ هذا لا يُحسن احتمال عناء التعب .

المصري الأول : هذا يناسبني تماماً . هذا يلائمني . ففي مهنتي كبائع للأحجار الكريمة ، أنا بحاجة إلى رجلٍ يكون نظيفاً وأميناً في الوقت نفسه .

بطرس للمصري الأول : خذني ، يامعلم ، فستكون راضياً كلّ الرضا . خذني . اشتريني . سأخدمك كابنك ، كما يخدم الابنُ أباه .

المصري الأول لبطرس : أعجبني . وسأشتريك . (مخاطباً اليعازر) .
أعجبني هذا . قل لي : ما ثمنه ؟

اليعازر ، يُدعن ، مُضنيّ ؛ يَمُدُّ يده ويَخَفَضُ رأسه : مئة درهم .
ليست مئة الدرهم كثيرةً بمثل هذا الرجل . (ينهار
اليعازر ويبكي وهو يُمنسك المال بيده :) لا أستطيع . هذا
فوق طاقتي . لم أعد أحتملُ . ماذا فعلتُ ؟

بطرس ، مقبلاً اليعازر : الوداع . لا تَنَسْ . وَزَعُ المالَ كاه كما
قلتُ لك : لا تَنَسْ : المال كاه ! كاه ! لقد أَقْبَحْتُ
على ذلك !

اليعازر : ياسيدي ، اغفرْ لعبدك المتواضع ! اغفرْ لخدماك ! اغفرْ لي
ما فَعَلْتُ ! اغفرْ لي ، يامعالي ! سأفعل بحسب مشيئتكَ .
سأفعل كلَّ شيء لتَرْتاحَ نفسُك . وداعاً ، يامعالي
العزیز .

بطرس : اسكتْ ! كفى نحيباً . الوداع ، اليعازر ! الوداع !
(يبتعد بطرس ، يقتاده المصري ، بينما يفلل اليعازر ومعه
مع أله يَسْتَحِبُّ)

ستار

الفصل الخامس

المشهد - ١ -

« تجري الأحداث في مصر . البوابُ الآخرسُ يُدخلُ الطبيبَ والتجارَ من باب الدخول ، ويُفهمهم بالإشارات أن معامه سيأتي بعد قليل »

الطبيب : يريد أن يقول لي : إن معامه في البيت ، وأنه سيأتي ، ولذلك أشار إلينا بالدخول . هيا ! ليس لنا إلا أن نصبر ! فاندخل !

المشهد - ٢ -

« لا يابث أن يصل المصريُّ الأول الذي يخاطب التجار »

المصري الأول : يُفرحني أن أراكم عندي . وأنا أستقبلكم بأعظم السرور . اجلسوا أرجوكم . لا بد أنكم تعبتم ، وجئتم . ولن ترفضوا لي وجبةً سريعةً متواضعة ؟

تاجر : شكراً ، وتشرفنا . شكراً لضيافتك ! نشكركَ لفضالك علينا . صديقي ، وهو طبيب سوري ، وأنا نفسي وصاننا من سورية وجئنا لمسألةٍ عاجلةٍ في هذه المدينة . نحن سعداء جداً أن يكون مضيفنا بهذا اللطف ، ويُفرحنا أن نتعرف بك .

المصري الأول ، ينادي ويصفق بيديه : ميثودا . ميثودا . ! تعال ،
تعال بسرعة ! (يخاطب ضيوفه) تفضّأوا واجاسوا .

المشهد - ٣ -

« يدخل بطرس ، في لباس الرقيق الخادم ، وإذ لمح الطبيب وعرفه
يترنّب لحظةً ويشيح بوجهه . »

بطرس : ماهي أوامرك ، يامعّام ؟

المصري الأول : هات لضيوفنا الأعرّاء خبزاً ونبيذاً وعنباً . هم قادمون
من سورية ، من باندك ! أتعرّفهم ؟

بطرس ، مرتبكاً : لا ، لست أعرفهم ، ولم أرهم قط .
(يتشاغل حولهم ثم يتوارى .)

الطبيب ، يخاطب المصري الأول ، صاحب البيت : هل زرت سورية ؟
أتعرف مدينتنا ؟

المصري الأول : نعم ، أعرف سورية ؛ ذهبتُ إلى مدينتكم منذ نحو
ثمانين سنوات . نعم ، منذ نحو ثمانين سنوات . والواقع
أنني حصلتُ على هذا العبد الذي رأيتموه الساعة ، في الوقت
الذي كنتُ فيه هناك .

الطبيب : إن هذا الخبير ! مصادفة صجيبة ! حدثٌ غريب ! وهذا يتوافق
مع شيء مذهل حدث في مدينتنا ، في هذا التاريخ بالذات .
نعم ، في هذا التاريخ بالتحديد ، حدثَ حدثٌ لم يستطع
أحدٌ ، حتى الآن ، أن يفهمه أو يفسّره .

المصري الأول : أيمكن أن نعرف هذا الحدث ؟ وفيم كان هذا

الحدث الذي ذكرته لي شديد الغرابة بحيث ترك مثل ذلك الانطباع في مدينتكم ، ارو لي هذه القضية . ماذا جرى ؟
إني أتحرق شوقاً إلى سماعها .

الطبيب : القضية ، هذه هي : في ذلك الزمان ، كان بطرس الخباز أحد أغنى الناس في المدينة — في مدينتنا — وأحد كبار الأثرياء في سورية ، ومن أغنى أصحاب الأملاك والأراضي الشاسعة ، لكنه كان في الوقت نفسه أبخل رجل في البلاد . وفجأة آمن — آمن بحسب الشريعة المسيحية — واستولت عليه حماسة عجيبة ، فأخذ يوزع أمواله على الفقراء . ولما عارضت أسرته هذا التبذير الذي لم تعرف سببه ، خططت لبيع نفسه كما يُباع الرقيق وتوزيع ثمن شخصه على فقراء مدينته التي ولد فيها . ثم لم يسمع أحدٌ عنه شيئاً ، لقد اختفى بسرعة غريبة .

التاجر : ولقد بحثت زوجته عنه ، لكن دون جدوى ؛ إذ لم يره أحدٌ . وهي تُرسل كل يوم الرسل للعثور عليه . لكن هذا الجهد يذهب سدى لأن جميع الرسل يعودون خيِّراً الأيادي . ولا يستطيع أحد أن يعلم ما الذي أصابه .

المصري الأول : يالها من قصة مُدهشة ! يالهذا الإخلاص الرفيع ! يالإنكار الذات ! وكم عمره ، ياترى ؟ وماهيته ؟ قولوا لي تقريباً لكي أتمكن من مساعدتكم . ارسمو لي صورته ، أعطوني أوصافه ؛ وهكذا سيكون ذلك أسهل عليّ .

(عند ذلك يظهر بطرس حاملاً وجبة خفيفة تتألف من

الخمير والفواكه .)

الطبيب : عمره في نحو الخمسين ، قامته متوسطة ، وبدانته متوسطة أيضاً . وكان أقرب إلى النحافة منه إلى السمنة . إنه يشبه هذا العبد .

(يشير بيده إلى بطرس . في هذه اللحظة يُصاب بطرس بالذهول ، فيغطي وجهه بيديه ويخرج على عجل .)
ما أوسمَ وجهَ هذا العبد . لا شك أنك مسرور منه .

المصري الأول : ليس هذا عبداً عادياً . هذا العبدُ من ذهب ، بالنسبة إلي ! إنه صديقٌ ، على الأصح . فمنذ أن جئتُ به إلى بيتي ، إلى خدمتي ، ازدهرت أعمالي ، ووفقتُ في كل شيء . وقد عرّضتُ عليه ، غير مرة ، أن أعتقه ، أن يفتدي نفسه ، لكنه رفض . ولم أفهمُ لماذا ، لكنني لم أسأله قط عن ذلك . إنه عبدٌ لكنني لا أعتبره كذلك . إنه خادم أمين . وهو أفضل من عرّفتُ وأشرفُ مَنْ عرفتُ . (ينادي .) ميثودا . ميثودا ! تعال ! تعال حتى أقدمك لهم .

(يعود بطرس ولا يجردُ على أن يتقدّم .)

الطبيب ، يخاطب التاجر : انظر ، انظرُ إليه جيداً ما أشبهه ببطرس الخبّاز .

(عندما يسمع بطرس هذه الكلمات واسمه ، وعندما يرى أنهم عرفوه ، يندفع إلى الباب)

الأخرس : كان قديساً ! كان قديساً ! رأيت ذلك بعيني . رأيت
إشعاعَ النور الذهبي يافقه كأنه بهالةٍ عندما خرج إلى الشارع .

المصري الأول : هذه معجزة ! ها هو الأخرس يتكلم !
التاجر والطبيب ، يهتفان معاً : لقد عَرَفْنَاهُ ! هذا هو ! هذا هو
بعينه ! لقد ذهب لكي لا يكرمه أحدٌ .

ستار

البحثة الحیة

دراما فیستة فصول واشتی عشرة لوحات

١٩٠٤

فيدور فاسيليفيتش بروتا سوف

ليزا ، زوجته

ميشا ، ابنتهما

آنا بافلوفنا راحمانوفا ، أم ليزا

ساشا ، أخت ليزا

آنا دميتريفنا كارينين

فيكتور ميخايلوفيتش كارينين ، ابنها

الأمير سيرج ابريسكوف

افريموف

ستاهوف

بوتكفيتش

كوروتكوف

ايفان بيتروفيتش الكسندروف

بيتوشكوف

العجري ، ايفان ماكاروفيتش

ناستازيا ايفانوفنا ، زوجته

ماشيا ، ابنتهما

آرتميف

قاضي التحقيق

بيروشين : محام

غجر ، موسيقيون ، ضباط

محامون عامون في قصر العدل

خلع الخ

أصدقاء فيديا

الفصل الاول

اللوحة الأولى

« شقة بروتاسوف ، في بطرسبرج ، صالة طعام صغيرة » .

المشهد - ١ -

« أنا بافلوفنا ، الموضع » .

« أنا بافلوفنا ، سيّدة مسنّة ، على شيء من القوة ، بيضاء الشعر .
نجلس وحدها وتتناول الشاي ، والسماور على الطاولة . تدخل الموضع
وفي يدها غلاّية » .

الموضع : أيمكنني أن أطلب منك شيئاً من الماء للشاي ؟

أنا بافلوفنا : طبعاً ، خذي . وكيف حالُ الطفل ؟

الموضع : هو مضطرب جداً ، من غير شك . ماذا تريدان ! عندما
تُرضع الأمهات أطفالهن بأنفسهن ، فلا بدّ أن تكون
الأمورُ هكذا دائماً . الأم لها همومها والطفلُ يُعاني منها .
وكيف يكون الحايبُ سليماً إذا كانت السيدة لا تنامُ الليل
ولا تكفّ عن البكاء ؟

أنا بافلوفنا : لكنّ ، ألم تغدُ أكثرُ هدوءاً الآن ؟

الموضع : أوه ! الهدوءُ بعيدٌ عنها ! منظرها يُرثي له ! منذ هينهة
أخذت تبكي وهي تكتب .

« المراتان وساشا » .

ساشا ، داخلة ، للمرضع : ليزا تناديك .

المرضع : أنا ذاهبة إليها ، أنا ذاهبة إليها .

(تخرج)

آنا بافلوفنا : قالت لي المرضع : إن ليزا لا تكف عن البكاء . فمتى سنراها هادئة من جديد ؟

ساشا : أنت غريبة ! يا ماما ! لقد انفصلت قبل حين عن زوجها ، والد ابنها . . . وتريدونها هادئة ؟ . . .

آنا بافلوفنا : ليس هذا ما عَنَيْتُهُ . . . لكن ما كان قد كان . . . وإذا كنتُ ، وأنا أمّها ، لم أوافق فقط أن تترك ابنتي زوجها ، بل كنت سعيدة أيضاً بذلك ، فلأنه يستحقّ ذلك الترك ويجب ألاّ تحزن ، بل على العكس يجب أن تفرح ، لأنها تخلّصت من مثل هذا الزوج السيء . . . من مثل هذا الكثر !

ساشا : لم تتكلمين هكذا ، يا ماما ! أنت تعلمين أن هذه ليست الحقيقة . و « فيديا » ليس زوجاً سيئاً ، على العكس ! إنه رجلٌ مدهشٌ ، رائع بالرغم من جميع عيوبه .

آنا بافلوفنا : مدهشٌ ، بالفعل . فما أن يقع المال بين يديه ، سواء أكان ماله أم مال الآخرين . . .

ساشا : هو لم يمَسَ مال الآخرين قط . . .

آنا بافلوفنا : لا فرق ! . . . مال امرأته ! . . .

ساشا : لكن بما أنه تنازل عن ثروته كلها لامرأته . . .

آنا بافلوفنا : كان مضطراً لأن يفعل ذلك ، لأنه كان يعلم أنه سيبددها كلها . . . كانت ستضيعُ كلها من يديه .

ساشا : بددها أم لم يبددها . . . أقول إن المرأة لا يجب أن تنفصل عن زوجها ، ولا سيما عن زوج مثل فيديا .

آنا بافلوفنا : إذن ، برأيك أنه كان يجب الإنتظار حتى يبدد كل ثروته ، وحتى يأتي إلى المنزل بعشيقاته الغجريات ؟

ساشا : ليس له عشيقات . . .

آنا بافلوفنا : من المؤلم أذكر جميعاً ، ما عداي ، قد خضعتنّ لسحره . أما أنا فاني أعرفه وهو يعام ذلك . لو كنت مكان ليزا لتركته قبل سنة ، لا الآن .

ساشا : بأي ابتهاج تحكيين عن ذلك ! . . .

آنا بافلوفنا : بابتهاج ؟ . . . أبداً ، صدّقيني . ومن الشاقّ على الأم أن ترى ابنتها مطابقة . لكنّ أليس كل شيء أفضل من أن تحطّم حياتها الفتية ؟ ولذلك أحمد الله على أن ليزا صمّمت في نهاية الأمر ، وأن كل شيء قد انتهى .

ساشا : لعل كل شيء لم يَنْتهِ بعد . . .

آنا بافلوفنا : بشرط أن يوافق على الطلاق !

ساشا : وما الفائدة من ذلك ؟

آنا بافلوفنا : ما الفائدة من ذلك ؟ الفائدة أنه سيكون من الممكن ،
باعتبارها شابة ، أن تُبني حياتها من جديد .

ساشا : اوه ! ماما ، كيف يجوز لك أن تقولي هذا ؟ باللفظاعة !
لا ، لن تحب ليزا رجلاً آخر !

آنا بافلوفنا : ولماذا ، بما أنها ستغدو حرة ؟ إن الكثير من طالبي الزواج ،
ممن هم أفضل ألف مرة من فيديا ، سيعتبرون أنفسهم
سعداء بأن يتزوجوا منها .

ساشا : اوه ! كيف يجوز لك أن تتكلمي هكذا ، يا أمي !
أعلمُ أنك تفكرين في فيكتور كارينين .

آنا بافلوفنا : بالطبع أفكر فيه . إنه يحب ليزا منذ عشر سنوات ، وهي
تبادلُهُ هذا الحب !

ساشا : نعم ، إنها تحبه ؛ لكن لا لتتزوج منه . إنها صداقة الطفولة .

آنا بافلوفنا : نحن أخرى بهذا النوع من الصداقة . . . لكن إذا لم يكن
بينهما عائق . . .

(تدخل الخادمة) .

المشهد - ٣ -

« آنا بافلوفنا ، ساشا ، الخادمة » .

آنا بافلوفنا : ما الأمر ؟

الخادمة : أرسلت السيدة مع أحد الخدم رسالة إلى فيكتور ،
ميخايلوفيتش فبعث يقول : إنه سيأتي بعد لحظة .

آنا بافلوفا ، مندهشة : عجباً ! في اللحظة ذاتها التي كنا نتحدث فيها عنه ! لا أعلم لم استدعته . (لساشا) . وأنتِ ، أتعلمين ذلك ؟

ساشا : أعلم ذلك . . . أو لا أعلمه .

آنا بافلوفا : بينكما أسراراً دائماً ؟

ساشا : ليزاستاتي ، وستُخبرك .

آنا بافلوفا ، هازةً رأسها ، للخادمة : يجب تسخينُ السماور . خذيه ، يا دونياشا .

(تأخذ الخادمةُ السماور وتخرج) .

آنا بافلوفا ، لساشا التي نهضت وتهيأت للخروج : أرايتِ ، الحقُّ معي ؛ أرسلتُ فوراً تستدعيه .

ساشا : نعم ، لكن لعل ذلك لشيءٍ آخر ؟

آنا بافلوفا : لأي سبب إذن ؟

ساشا : لكنها لا تهتم الآن بكارينين أكثر مما تهتم بالمرضع العجوز .

آنا بافلوفا : سري ؛ إني أعرفها ، فإذا كانت تطاب حضوره فذلك لأنها تشعُر بالحاجة إلى العزاء .

ساشا : آه ! ماما ، ما أسوأ معرفتك بها إذا كنتِ تظنين . . .

آنا بافلوفا : سترين . . . على كل حال أؤكد لك أنني جدٌ مسرورة .

ساشا : حسناً ! لينتظر

(تخرج وهي تدندن) .

آنا بافلوفنا ، وحدها ، هازة رأسها : هذا حسن . . . كل شيء
يسير سيراً حسناً . نعم . . .

المشهد - ٥ -

« آنا بافلوفنا ، الخادمة ؛ ثم فيكتور كارينين » .
الخادمة ، داخلة : وصل فيكتور ميخايلوفيتش .
آنا بافلوفنا : حسناً ! أدخليه ، وأخبرني السيدة .
(تخرج الخادمة من الباب الذي يؤدي إلى الشقة) .

كارينين ، داخلاً ومحيياً آنا بافلوفنا : أرسلت إلي الزرافيتا اندريفنا
بطاقة ترجوني فيها المجيء ؛ وقد سررت كثيراً بذلك ،
ولا سيما أنني كنت عازماً على المجيء هذا المساء . أرجو
أن تكون صحة الزرافيتا اندريفنا حسنة !

آنا بافلوفنا : أجل ، صحتها حسنة ، وستأتي على الفور ؛ لكن الطفل
هو المتوجع قليلاً . (بحزن) اوه ! لقينا الكثير من المشقات
. . . على كل حال أنت تعرف كل شيء ؟ .

كارينين : نعم ، كنت حاضراً أمس الأول ، عندما وصلت رسالته
. . . لكن هل هذا نهائي حقاً ؟

آنا بافلوفنا : نعم ، بالتأكيد ! فمن المؤلم جداً معاناة هذه الأحزان من
جلديد .

كارينين : تعرفين المثل : « يجب أن نقيس سبع مرات قبل أن نقطع ... »
وخصوصاً هنا حيث يجب القطع في اللحم الحي .

آنا بافلوفنا : صحيح ، لكن بما أن وحدتهما كانت متضككة منذ زمن بعيد ، فقد حدث التمزق بصورة طبيعية . فيديا ذاته يعترف أن من المستحيل عايه التراجع بعد أن جرى ما جرى .

كارينين : ولماذا ؟

آنا بافلوفنا : وكيف يمكنه ذلك بعد كل تلك التذلات ؟ لقد أقسم انه إن عاد إلى حياة التهلكة فهو مستعد للتنازل عن جميع حقوق الزوج ، ولإعادة الحرية الكاملة إلى زوجته .

كارينين : لكن ، ما معنى حرية المرأة التي ارتبطت بالزواج ؟

آنا بافلوفنا : والطلاق ؟ . . . وعَدَ بالطلاق ونحن نصرّ على أن يفي بوعده .

كارينين : نعم ، لكن اليزافيتا اندريفنا كانت تحبه كثيراً .

آنا بافلوفنا : لكن حبها أباتته التجارب حتى لم يبق منه إلا القليل ! كان يجمع الرذائل كلها : السكر والغدر والخيانة
أيمكن لامرأة أن تحب مثل هذا الزوج ؟

كارينين : الحب قادرٌ على كل شيء .

آنا بافلوفنا : تقول : الحب ! لكن هل يمكن للمرأة أن تحب كائناً ضعيفاً لا تشعر بأية ثقة فيه . إليك ما حدث : (تلقي بنظراتها نحو الباب وتسارع إلى الكلام حتى تتسنى لها رواية كل شيء) . كانت أعماله متردّة ، وكانت جميع ممتلكاته مرهونة ، ولم يكن يملك فلساً واحداً ولا ما يدفع به الفوائد . حينئذ أرسل إليه عمه ألفي روبل

لدفع تلك الفوائد ، فإذا به يمضي بذلك المال ولا يعود .
وتظل زوجته مع ابنها المريض تنتظر . . . وتصل أخيراً
رسالة يطلب فيها أن تُرسلَ إليه ثيابه .

كارينين : نعم ، نعم ، أعلم . . .

(تدخل ليزا وساشا) .

المشهد - ٥ -

« أنا بافلوفنا ، ليزا ساشا ، كارينين » .

آنا بافلوفنا : ها إن فيكتور ميخايلوفيتش استجاب لدعوتك .

كارينين : نعم . . . وقد أوقفني بعضهم قليلاً . . .
(يُحيي الأختين) .

ليزا : أشكرك . أنا بحاجة إلى خدمة كبيرة . ومنك وحدك
أستطيع أن أطالب ذلك .

كارينين : سأفعل كلَّ ما أستطيعه .

ليزا : أنتَ على علمٍ بكل شيء ، أليس كذلك ؟

كارينين : نعم ، أعلمُ كل شيء .

آنا بافلوفنا : أنا أدعكما . (لساشا) . لندعهما وحدهما .
(تخرج هي وساشا) .

المشهد - ٦ -

(ليزا ، كارينين) .

ليزا : نعم ، كتب إلي رسالة يقول لي فيها : إنه يعتبر كل شيء

منتهياً . (تحبس دموعها بجهد) . وقد جُرِحَتْ كثيراً ،
كثيراً . . . وبالاختصار قُبِأتُ فسخ الزواج . . . وأجبتُه
أني قبات الانفصال .

كارينين : وأنت الآن نادمة على ذلك ؟

ليزا : نعم ، أدركتُ أنني أسأتُ التصرف . كلُّ شيء ولا فسخ
الزواج . على كل حال ، أتريد أن تسامحه هذه الرسالة
أرجوك ، يا فيكتور ، أعطه هذه الكلمة . . . و . . .
قل لي . . . جِثني به ! . . .

كارينين : مندهشاً : لكن كيف ؟

ليزا : اشرحْ له أني أتوسل إليه أن ينسى كل شيء وأن يعود ! . . .
سقول لي : تستطيعين أن توصلي الرسالة بالبريد ؛ لكنني
أعرفه . ستكون بادرته الأولى لطيفة ، كما كانت
دائماً ؛ ثم إنه سيتأثر وسيغير رأيه ، وسيعدل عما
عزَمَ عايه في بداية الأمر .

كارينين : سأفعل كلَّ ما يسعني فعلاً .

ليزا : أنت مندهش لأنني توجهتُ إليك من أجل « .

كارينين : لا ! لكن ، مع ذلك . . . الحقيقة . . . أني مندهش . . .

ليزا : ألسن حاقداً عليّ ؟

كارينين : وهل يمكن أن أحقد عليك من أجل أي شيء ؟

ليزا : إنما توجهتُ إليك لأنني أعرف حبَّك له .

كارينين : له ولك . إن حبي كما تعلمين ، لا يسعني إلا سعادتك ، لا

سعادتي . . . إذن ، أنا أشكركِ لأذكِ وثقتِ بي . . .
وسأبدل وسعي .

ليزا : أعامُ ذلك . وسأقول لك كل شيء . كنتُ اليوم عند آل
أفريموف لكي أكتشف المكان الذي فيه زوجي . قيل لي إنه
ذهب إلى بيوت العجر . أنا خائفةٌ من هذا الجموح . . .
فاذا لم نكبح من هذا الجموح في اللحظة المناسبة ضاع
الرجل . . . ولذلك فإن التدخل ضرورةٌ مائة . . . إذن ،
قل لي ، سوف تذهب لإحضاره ، أليس كذلك ؟

كارينين : بكل تأكيد . . . وعلى الفور .

ليزا : امضِ وابحث عنه وقل له : لفي. نسيتُ كل شيء ولقي
أنتظره .

كارينين ، ينهض : لكن أين أبحث عنه !

ليزا : هو عند العجر . . . لقد ذهبتُ إلى هناك . . . وصاتُ إلى
المدخل ، وكدتُ أعطيه رسالتي ، لكنني عرّمتُ ، بعد
التفكير ، على أن أطاب منك هذه الخدمة الكبيرة . . .
وهذا هو العنوان . احمله على العودة ، وعلى نسيان الماضي . . .
افعل هذا حباً به وصدقة لنا .

كارينين : سأفعل كل ما هو ممكن .

(يُحيي ويخرج) .

المشهد - ٧ -

« ليزا وحدها ، ثم ناعشا » .

ليزا : لا ، لا ، لا أقدر على ذلك . . . لا . . . أبداً . . .

ساشا، داخلة : وبعد ، هل أرسلته ؟ (تومىء ليزا برأسها إيماءة الإيجاب) . وقبل ؟

ليزا : طبعاً . . .

ساشا : ولم توجهت إليه ؟ لست أفهم . . .

ليزا : وإلى من غيره كان يمكن أن أتوجه ؟

ساشا : لكنك تعلمين أنه مغرم بك ؟

ليزا : لعنه كان كذلك فيما مضى ، لكنه لم يعد كذلك ... ثم

لم يكن لي خياراً . أتظنين أن فيديا سيعود ؟

ساشا : أنا واثقة من ذلك ، لأن . . .

المشهد - ٨ -

« ساشا ، ليزا ، آنا بافلوفنا ، تدخل آنا بافلوفنا فتسكت ساشا » .

آنا بافلوفنا : أين فيكتور ميخايلوفيتش ؟

ليزا : لقد ذهب .

آنا بافلوفنا : كيف ، ذهب ؟

ليزا : نعم ، طابت منه خدمة .

آنا بافلوفنا : ما تلك الخدمة ؟ . . . أهي سر أيضاً ؟

ليزا : أبداً لا ! طابت إليه أن يسلم بنفسه فيديا رسالتي .

آنا بافلوفنا : كنت أظن أن كل علاقة بينكما قطعت إلى الأبد . . .

ليزا : لا ، لا أستطيع الانفصال عنه . . .

آنا بافلوفنا : كيف ؟ كل شيء سيبدأ من جديد ؟

ليزا : لقد حاولت ، وبذلت مجهوداً ؛ لا أستطيع ؛ أنا مستعدة لقبول كل شيء بدلاً من أن أترك زوجي .

آنا بافلوفنا : تريدان إذن أن تُرجعيه ؟

ليزا : نعم .

آنا بافلوفنا : تتسوين أن تدخلن منزلك من جديد هذا الكائن الكريه ؟

ليزا : أرجوك ، يا ماما ، ألا تتكلمي هكذا على زوجي .

آنا بافلوفنا : على مَنْ كان زوجك .

ليزا : لا ، على زوجي الآن .

آنا بافلوفنا : مبذر وسكير وفاسق ! ولا تستطيعين أن تنفصلي عنه ؟

ليزا : لماذا تعدّ بينني ؟ يكفيني ما لقيتُ من الألم . . . كأنك تتعمدين إزعاجي .

آنا بافلوفنا : آه ! أنا أعذبك ؟ حسناً ! سأصرف ؛ ليس بوسعي أن

أكون شاهدة على ذلك كله (تسكت ليزا) آه ! فهمتُ !

أنا أضايقك ، أنا زائدة عن اللزوم ؛ ولست أفهم شيئاً

من طريقتك في التصرف ، ومن أساليبك اليوم . . .

فقبل قليل كنت عازمة على فصم الزواج ، ثم إذا بك

تستقدمين رجلاً يحبك . . .

ليزا : كلا ، أنت مخبطة . . .

آنا بافلوفنا : كيف ، كارينين طاب يدك ، وهو الذي أرسلته

ليأتي بزواجك ! . . . ألكي تثيري غيرته ؟

ليزا : مهلاً ، يا ماما ، يا للفضاعة ! من فضلك ، صبريني !
 أنا بالفلوفنا : عظيم . اطردي أمك وامتبدي بها زوجك الفاسق .
 لكنني لن انتظر حتى يعود إلى هنا . الوداع . . . وليباركك
 الله ! تصرقي كما يحلو لك .
 (تخرج وهي تصفق الباب) .

ليزا : منها الكفة على مقعد : ما كلني سنقصنا سوى هذا ! . . .
 ساشا : لا قيمة لذلك ! سيُسوّى كل شيء . . . لا بد أن ننجح
 في تهديئة خاطر ماما . . .
 أنا بالفلوفنا ، ماضية : دونياشا ! . . . حقا لبي ! . . .
 ساشا : تابعة أمها ، موصلة إلى أختها : ماما ، اصبري إلى . . .

اللوحة الثانية

غرفة عند الفجر

المشهد - ١ -

« فيديا ، افريموف ، موسيقي ، ضابط ، ماشا ، الفجر ، الجوقة
 تغني « كون افيل » (١) . فيديا بالقمصين ، مستاق على الأريكة ، على
 بطنه . افريموف يجلس على الكرسي مفرشجاً تجاه للغنّي الأول في
 الفرقة . يجلس ضابط قرب الطاولة التي وُضعت عايتها زجاجات الشمبانيا
 والأقداح ، وعند الطاولة نفسها يجلس موسيقي ينقل موسيقا الفجر
 ويضع علامات موسيقية لها .

(١) كون افيل : أغنية عجزية فرحة .

الفرعوف : فيديا ، هل نمت ؟

فيديا ، ينهض : لا انتكلم . . . والآن ، « لم يكن نجمة المساء (١) .

عجربة : مستحيلة ، يا فيدور فاسيلييفيتش ؛ ستغني الآن ماشا وحدها .

فيديا : ليكن ! وبعدها « لم يكن نجمة المساء » .

(يعود إلى الاضطجاع) .

الضابط ، للفجر : « ساعة الموت (٢) !

عجربة ، تخاطب الفرعوف : أتقبل ؟

الفرعوف : ليكن .

الضابط للموسيقي : ماذا ؟ هل نقلت اللحن ؟

الموسيقي : غريب ! ففي كل مرة تغير المفتاح الموسيقي وتغني بطريقة مختلفة . انظري قليلاً . (يري العجربة ورقته

فتنظر إليها) اهذا هو اللحن ؟

العجربة : نعم ، هذا هو ! تاز !

فيديا ، ناهضاً : لن يُنقلح في تسجيل علامات هذه الموسيقي ! . . .
أو إذا اتفق له ونجح في نقل اللحن وأدخله في الاوبرا

(١) لم يكن نجمة المساء : أغنية عجربة باكية أولها : « اه لم يكن نجمة المساء ، ذلك الفجر المنطفى » . .

(٢) ساعة الموت : أغنية حب عجربة .

فسيفسدُ كل شيء . . . هيا يا ماشا ، تقدّمي ! . . .
أخذي قيثارتك لساعة الموت . (ينهض ويجلس قبالتهما ،
ويحدّق فيها . ماشا تغني) . مرحى ! آه ! يا ماشا !
والآن : « لم يكن نُبمة المساء » .

افريموف : لا ، انتظر قليلاً . . . أغنيتي أنا أولاً ، المأتمية . . .

الضابط : ولم مأتمية ؟

افريموف : لانني إذا متُ ، أتفهمُ ، إذا متَ حقاً وسُجّيتُ في
نَعْشي . . . عند ذاك سيؤتي بالعُجْر ، أتفهم ، وسوف
أطلب ذلك ، في الوصية ، من زوجتي . وفي اللحظة التي
سيبدؤون فيها بغناء « شيل مي فيرستا » (١) فسوف أثبُ
من نعشي . . . أرايت هذا ؟ (للموسيقى) . هذا ما يجب
أن تنقله . حسناً ! هيتاً ! (يغنّي العُجْر) . ماذا ؟ كيف
تبد هذا ؟ والآن : « يا فتيتاني الطيبين » ! .

(يغنّي العُجْر ؛ يخطو افريموف بعض الخطوات الراقصة ؛ يتابع
العُجْر غناءهم مبتسمين ويصفّقون بأيديهم على ايقاع الغناء . وحين
تنتهي الأغنية يجلس افريموف) .

العُجْر لافريموف : مرحى ، يا ميخائيل اندرييفيتش ! أنت عُجري
حقيقي .

فيديا : والآن ، « لم يكن نُبمة المساء ! » (يأخذ العُجْر في الغناء)

(١) شيل مي فيرستا : أغنية عُجرية تبدأ على النحو التالي : سرت مائة فرسخ ، أنا الفتى
الطيب فلم أجد السعادة في أي مكان .

آه ! ها هي ذي ! أليست عجيبة ؟ . . . إني أتساءل في
أي عالم يحري كل ما يُعبّرُ عنه في هذه الأغنية ؟ وهل
هذا جميل ! ولماذا يستطيع الإنسان أن يبلغ مثل هذه
النشوة دون أن يتمكن من المحافظة عليها ؟

الموسيقي ، يكتب : نعم ، هذا طريفٌ جداً .

فيديا : لا ، ليس طريفاً ، هذا هو الحقيقي .

افريموف : حسناً ! استريحوا قليلاً الآن .

الموسيقي : هذا بسيط من حيث الموضوع ، لكن الإيقاع . . .

فيديا ، يُشير بيده ، يدنو من ماشا ويجلس قربها : اوه ! ماشا
ماشا ، كم تهزين روحي !

ماشا : حسناً ! وماذا طلبتُ منك ؟

فيديا : ماذا ؟ . . . نقوداً ! . . . (يخرج حفنة من القطع النقدية ،
من جيبه) . دولكِ النقود : خذي !

(تأخذ ماشا النقود وتدسها في داخل صدرها) .

فيديا ، للغجر : انظروا ! إنها تفتح السماء لي ، وهي لا تفكر بغير
الهدايا (لماشا) أذى لك أن تفهمي ما تفعلين !

ماشا : ولم لا أفهم ؟ ليس ذلك صعباً : إذا أحببتُ أحداً ،
بالغتُ في إرضائه ، وغنّيتُ غناءً أفضل .

فيديا : أنتِ إذن ، تحبينني ؟

ماشا : لا شك .

فيديا : رائع ! (يقبلها . يخرج العجور رجالاً ونساءً ، تاركين الأزواج معاً ، افريموف مع كلاتيا ، الضابط مع غاشا . يتابع الموسيقي كتابة موسيقاه ؛ ينفث عجوري على قيثارته موسيقاً « الفالاس ») . لكنني متزوج ، وأنتِ ، أنتِ من الفرقة

ماشيا : الفرقة ، لا شئ ، أنا منها ، لكن قلبي لي . . . أحب من أشاء . . . وأكره الذين لا يعجبونني .

فيديا : آه ! ما أسعدني ! وأنتِ هل أنتِ سعيدة ؟

ماشيا : بالتأكيد ! فعندما يكون الزبن لطفاء نتسلّى نحن أيضاً !

(يدخل عجوري) .

العجوري ، لفيديا : هناك سيّد يسأل عنك .

فيديا : من ذلك السيد ؟

العجوري : لا أعلم . . . سيّد حُسن الهيئة ، وعليه معطف من فرو السمور . . .

فيديا : سيّد عظيم الشأن ؟ أدخله !

افريموف : من تراه الذي يبحث عنك هنا ؟

فيديا : أننى لي أن أعلم ! من تراه يهتم بي ؟

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، كارينين الذي يدخل وينظر حوله » .

فيديا : عجباً ! فيكتور ! أنت الشخص الذي ماكنت أتوقع

هجينه . اخلع معطفك . ما الأتبله السارة التي جاعت بك
إلى هذا المكان ؟ حسناً ! اجلس ، هذه : « لم يكن نجمة
المساء » .

كارينين : أحب أن أحدثك على انفراد .

فيديا : عم ؟

كارينين : أنا آت من عندك ؛ كالتفتني زوجتك حمل هذه الرسالة .
ثم

فيديا ، يأخذ الرسالة ، يقرأها ، يقطب حاجبيه ، ثم يتسم برقة :
اسمع ، يا كارينين ، أتعرف ماذا تحتويه الرسالة ؟

كارينين : أعتقد أنني أعرف محتواها وأحب أن أقول لك بهذه
المناسبة

فيديا : طيب ! طيب ! لا تتصور أني سكران وأن لا أشعر
بالمسؤولية ربما كنت كذلك ، لكنني أرى بوضوح
شديد في هذه القضية ! وما الذي كُلفَ قوله لي ؟

كارينين : طُلبَ إليّ أن ألقاك وأن أقول لك : إنها تنتظرك وترجوك
أن تنسى كل شيء وأن تعود .

فيديا ، يُصغي دون أن يقول كلمة ناظراً إلى كارينين في وجهه :
لست أدرك مع ذلك لم كنت أنت

كارينين : ارسلتني اليزافينا اندريفنا لأبحث عنك وقاتلت لي

فيديا : نعم .

كارينين : وأنا أتوسل إليك لا باسم زوجتك فقط بل باسمي أيضاً :
تعال معي

فيديا : أنتَ خيرٌ مني ! سمخيفٌ ما قلتُهُ . . . فليس من الصعب
أن يكون المرءُ خيراً مني . . . أنا بئسٌ ! في حين أنك
أنتَ نبيل ، نبيل القلب جداً . ولملك اتخذتُ قرارى . . .
ثم ليس هذا هو السبب الحقيقي . . . لا أريد ولا أستطيع ،
بكل بساطة . . . ثم كيف أعود إلى هناك ؟

كارينين : تعال أولاً إلى بيتي . . . وسأنبئُ بعودتك القريبة ،
وغداً . . .

فيديا : وماذا يكون في غدٍ ؟ ستظل أبداً كما هي وسأظل كما
أنا (يتجه إلى المائدة ويشرب) . عندما يؤملك سناتُ
فالأفضل أن تقتله فوراً . كنتُ قد قلتُ لها : إنني إذا
لم أفِ بوعدى مرة أخرى ، فينبغي أن تتركني ، ولم أفِ
بوعدى . . . فأنتهى كلُّ شيء !

كارينين : انتهى بالنسبة إليك ، لا بالنسبة إليها .

فيديا : كيف ، أنتَ الذي يحاول الإبقاء على وحدتنا ؟ (بهم
كارينين بأن يقول شيئاً ، لكن ماشا تدنو في هذه اللحظة ،
فيقطع عليه فيديا كلامه) . أتريد أن تستمع إلى ماشا وهي
تغني « الكتان » ؟

(يتجمع الغجر)

ماشا ، بصوت خافت : يجب أن نحتفل به . ما اسمُهُ ؟

فيديا ، ضاحكاً : افعل ! اسمه فيكتور ميخايلوفيتش . (الغجر
يغنون ، كارينين يصغي وهو متضايق جداً ، ثم يسأل كم
ينبغي أن يعطيها) . أعطها خمسة وعشرين روبلا . (يعطيها
كارينين) . ممتاز . والآن ، « الكتان » (١) . (يغني الغجر ،
ينظر فيديا إلى الجهات كلها) . عجباً . انسل كارينين ؟ ...
اوه ! لا رده الله !

(يتعد الغجر) .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا كارينين » .

فيديا ، جالساً بجانب ماشا : أتعلمين من هو ؟

ماشا : سمعتُ اسمه .

فيديا : هذا رجلٌ ممتاز . جاء يبحث عني ليردني إلى بيتي ، إلى
زوجتي . إنها تُحبني على ما أنا فيه ، يا للجنون ! وانظري
ما الذي فعلته بحبها !

ماشا : هذا سيء ! يجب أن تعود إليها ، يجب أن تشفق عليها .

فيديا : أتظنين ذلك واجباً ؟ أنا لا أعتقد ذلك .

ماشا : بانثأكيد ! إذا كنت لا تحبها فلا واجب عليك .

فيديا : كيف تعرفين ذلك ، أنت ؟

(١) الكتان : أغنية شعبية روسية مرحة .

ماشيا : صدقني أنني أعرف .
فيديا : قبليني إذن ! ... (مخاطباً الفجر) . « الكتان » مرة
أخرى ، وهذه آخر مرة ! (يغني الفجر) . آه ! ما
أسعدني ! ما أحلى ألا يصبح الإنسان ! أن يموت هكذا !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« في منزل ليزا بعد خمسة عشر يوماً .

المشهد - ١ -

« كارينين ، آنا بافلوفنا ، ساشا ، كارينين وآند بافلوفنا جلوسان .

في صالة الطعام . تدخل ساشا »

كارينين : ما الخبر ؟

ساشا : قال الطبيب : إن الخطر زال ، بشرط ألا يسير . . .

آنا بافلوفنا : لكن ليزا فاقدة قواها .

ساشا ، متابعة : وقال إنه مصاب بخناق كاذب غير مؤذ (مشيرة

إلى الملة) . ما هذا ؟

آنا بافلوفنا : هذا عنب جاء به فيكتور .

كارينين : ألا تريد أن تذوقيه ؟

ساشا : نعم ، ليزا تحبه كثيراً . لقد غدت عصبية جداً . . .

كارينين : يا عذراء ! . . . لم تنم طوال اللياليتين ، ولم تأكل شيئاً . . .

ساشا ، بابتسامة : لكنك ، أنت نفساً . . .

كارينين : اوه ! ! أنا شيء آخر !

(تدخل ليزا والطبيب) .

« الأشخاص أنفسهم . ليزا والطبيب » .

الطبيب ، بتعظيم : هذا كل شيء ! ... غيروا الكمادة كل نصف ساعة ؛ إن لم يكن نائماً . . . وإذا كان نائماً فلا تُزعجوه . . . لا تدهنوا حنجرته . واحرصوا على أن تكون الحرارة مناسبة في الغرفة .

ليزا : وإذا أُصيب بالاختناق ، مرة أخرى ؟ . . .

الطبيب : غير ممكن ، غير ممكن إطلاقاً ! . . . لكن إن وقع ذلك فما عليكم إلا العودة إلى الرش وإلى المسحوق . . . مرة صباحاً ومرة مساءً . سأكتبُ وصفتي . . .

آنا بافلوفنا : دكتور ؟ . . . ألا تقبل منا فنجان شاي ؟

الطبيب : لا ! شكراً جزيلاً . فالمرضى يطلبونني .

(يجلس إلى الطاولة بينما تأتبه ساشا بورقة وريشة) .

ليزا : ليس هذا خناقاً إذن ، بالتأكيد ؟

الطبيب : اوه ! بكل تأكيد لا .

كارينين ، لليزا : والآن ، خذي قليلاً من الشاي ، أو الأفضل أن

تسريحي بسرعة . انظري قليلاً إلى وجهك . .

ليزا : أنا الآن مرتاحة — وذلك بفضلك يا صديقي ، يا صديقي

الحقيقي . (تشدّ على يده ، تنهض ساشا وتبتعد وهي

متكدرة) كم أشكرك !

كارينين : علام ، يا إلهي ! ... لست أستحق الشكر ! ...

ليزا : الذي بقي ليلتين كاملتين دون أن ينام ؟ الذي جاء بهذا الطبيب العظيم من الكلاية ؟

كارينين : أحسن مكافأة لي أن ميشا نجا من الخطر وهي ، على الخصوص ، طبيبتك معي .

(يشدّ على يدها من جديد ويضحك حين يرى أنها تركت في يده شيئاً من المال) .

ليزا ، دبسمه : آه ! هذه أجرة الطبيب . . . يضايقني دائماً أن أدفع للطبيب أجرته .

كارينين : ويضايقني أنا أيضاً . . .

آنا بافلوفنا : ما الموضوع ؟ ماذا يضايقكما ؟

ليزا : أن أعطي الطبيب أجرته ؛ إنه يُنفذ لي مَنْ هو أغلى من حياتي ، وأعطيه في مقابل ذلك بعض القطع النقدية ؛ هذا يضايقني .

آنا بافلوفنا : هاتي ، سأعطيه أنا أجرته . . . أنا أحسن القيام بهذه المهمة . . . الأمر جددٌ بسيط !

الطبيب ، ينهض ويأْواها وصفته : هذا المسحوق لإذن في ملعقة من الماء المغلي ، وحركيه جيداً و . . .

(يتابع كلامه ، كارينين قرب الطاولة يشرب الشاي . تنزل آنا بافلوفنا وساشا إلى مقدمة المسرح) .

ساشا : أشمترُ عندهما أراهما معاً ! كأنها مغرمةٌ به !

آنا بافلوفنا : أما أنا فلا يدهشني ذلك .

ساشا : هذا مُقرفٌ !

المشهد - ٣ -

« ليزا ، كارينين ، ساشا » .

ليزا : يا لمجنوني المسكين ! . . . ما أطفه ! . . . ما ان تحسن قليلاً حتى عاد إلى الابتسام والتشاوب . . . سأعود إليه . . . سأتركمما على مضض .

كارينين : لكن خذي على الأقل فنجان شاي ؛ كُلِّي شيئاً .
ليزا : اوه ! لست بحاجة إلى شيء الآن ، أحس أنني أعود إلى الحياة ، بعد كل ذلك القلق . . .

كارينين : أنتِ تَرَيْنِ الحالةَ العصبية التي وصلت إليها ! . . .

ليزا : لا ، أنا سعيدة ! . . . أتريد أن ترى المريض الصغير ؟

كارينين : بالتأكيد . . .

ليزا : اتبعني إذن .

(يخرجان) .

المشهد - ٤ -

« آنا بافلوفنا ، ساشا ، ثم ليزا و كارينين » .

آنا بافلوفنا ، عائدةٌ إلى الغرفة ، ومخاطبةٌ ساشا : لم هذا التجهّم ؟
لقد دسست المال برفق في يده فأخذه دون تردد . . .

ساشا : هذا مشين ! . . . أَخَذَتْهُ إِلَى غُرْفَةِ الطِّفْلِ كَأَنَّهُ زَوْجُهَا
أَوْ خَطِيْبُهَا .

آنا بافلوفنا : ماذا يَصْنَعُكَ مِنْ هَذَا ؟ لِمَ تَظْهَرِينَ بِهَذَا الْمَظْهَرِ ؟ لَعَلَّكَ
تَتَوَيْنِ الزَّوْاجَ مِنْهُ ؟

ساشا : أَنَا ، أَتَزَوَّجُ هَذَا الطَّوِيلَ ! لِمَ يَخْطُرُ لِي ذَلِكَ بِيَالِ !
أَتَزَوَّجُ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ كَانَ وَلَا أَتَزَوَّجُهُ ! لَكِنَّ الَّذِي
يُشِيرُ اِشْتِرَازِي هُوَ أَنَّ أَرَاهَا تَتَعَلَّقُ بِغَرِيبٍ هَذَا التَّعَلُّقَ
بَعْدَ حُبِّهَا لِقَيْدِيَا .

آنا بافلوفنا : غَرِيبٌ ؟ . . . لَكِنَّهُ صَدِيقُ الطِّفْلَةِ !

ساشا : إِنْ نَظَرْتَهُمَا ، وَالبِسْمَاتِ الَّتِي يَتَبَادَلَانِهَا تَشِيرَانِ بِمَا يَكْفِي
إِلَى أَنَّ كِلَاتَهُمَا يَعْشَقُ الْآخَرَ . . .

آنا بافلوفنا : وَمَا الْمَدْهَشُ فِي ذَلِكَ ؟ هَذَا رَجُلٌ أَدَّى لَهَا خِدْمَاتٍ
كَبِيرَةً أَثْنَاءَ مَرَضِ ابْنِهَا ، وَشَارَكَهَا هُمُومَهَا ، وَأَبْدَى
عَظَمَةَ تَعَاهُهَا . . . وَهِيَ مُمْتَنَّةٌ لَهُ ، ثُمَّ لِمَاذَا لَا تَحُبُّ فَيَكْتُورُ ،
لِمَاذَا لَا تَتَزَوَّجُهُ ؟

ساشا : لَكِنْ ذَلِكَ سَيَكُونُ فُظِيْعاً ! . . . كَرِيْهاً ، كَرِيْهاً حَقّاً !

(يَعُودُ كَارَيْنِينَ وَلِيْزَا . يُحِيسِي كَارَيْنِينَ الْمَرَاتَيْنِ وَيُودِّعُ بِصَمْتٍ .
تَنْصَرَفُ سَاشَا وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْغَضَبُ الشَّدِيدُ) .

لِيْزَا ، لِأَمِّهَا : لَكِنْ ، مَا بِيْهَا ؟

آنا بافلوفنا : لَا أَدْرِي .

(لِيْزَا تَتَنَهَّدُ تَتَنَهَّدًا عَمِيقًا) .

اللوحة الثانية

• كتب عمل أفريموف .

المشهد — ١ —

« أفريموف ، فيديا ، ستاهوف ، عظيم اللحية ؛ بوتكيفيتش ،
أمرد ، كوروتكوف ، فضولي » .

كوروتكوف : وأنا أقول لكم إنه لن يكون مُجَلِّياً . . . أما « حُسْناء
الغابة (١) » فهي فريدة في أوروبا ! أراهن ! . . .

ستاهوف : دَعْنَا ، يا شيخ . أنت تعلم أن لأحد يُصدِّقك ، ولا أحد
يراهنك . . .

كوروتكوف : أكرِّرُ عليك ما قاتته : إن « بارود » لن يكون مجلِّياً !
افريموف : أما آن لكم أن تنتهوا من نقاشكم ! هيا ، اتفقوا وخذوا
رأي فيديا ؛ يمكننا أن نثق به .

فيديا : الجوادان جيِّدان ؛ كل شيء يتوقَّف على الفارس .
ستاهوف : « غوسيف » نذلٌ . تجب مراقبته .

كوروتكوف ، بصوت عالٍ : لا !

فيديا : حسناً ، سأوفق بينكم . مَنْ الذي ربح السباق ؟
كوروتكوف : نعم ، ربحه مصادفة . لكن لا خير فيه . ولو لم يُصَبَّ
« كراكوس » بالمرض . . . لرأيت .

(يُريه الخادم الذي دَخَلَ) .

افريموف : ما الأمر ؟

(١) « حُسْناء الغابة » النائمة : جواد من جياد السباق .

الخدام : جاءت سيّدة تطّاب رؤية فيدور فاميليفيتش .

افريموف : مَنْ تلك السيّدة ؟

الخدام : لا أدري ، يا سيدي ، لكنها سيّدة حقيقية !

افريموف : فيديا ، ها هنا سيّدة تسأل عنك .

فيديا ، خائفاً : مَنْ هي ؟

افريموف : لا أدري .

الخدام : هل ينبغي أن أدخلها ؟

فيديا : لا ، سأذهب لأراها .

(يخرج)

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا فيديا » .

كوروتكوف : مَنْ هذه التي تلاحقه ؟ لعالمها ماشا الصغيرة ؟

ستاهوف : مَنْ ماشا الصغيرة هذه ؟

كوروتكوف : العجربة ماشا ؛ جنّنت به ؛ إنها مغرمةٌ به كاهلّة !

ستاهوف : وهي فتاة جميلة تغني غناءً رائعاً . . .

افريموف : أعجوبة حقيقية ! . . . تاتيوشا وهي ! . . . غنّت أمس .

مع « بيير » !

ستاهوف : يا له من معظوظ ! . . .

افريموف : لأن النساء يحبّنه ؟ باه ! . . .

كوروتكوف : أنا ، أكره العجريات . . ليس فيهنّ أناة !

بوتكيفيتش : آه ! لا تقلّ هذا !

كوروتكوف : أنا ، لكنني أتنازل عنهنّ جميعاً من أجل فرنسية واحدة . . .

أفريموف : أوه ! لكنك أنت متذوّق للجمال مشهور ! . . . سأرى مَنْ هي . . .

ستاهوف ، لأفريموف الخارج : إن كانت ماشا فجئْ بها لتغني .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، ماعدا أفريموف » .

ستاهوف : أوه ! العجريات في أيامنا غير اللواتي كنّ في الماضي ! كانت هناك قديماً واحدة . . . تانيا . . . أوه !

بوتكيفيتش : أنا أتصور أن الأشياء ما تزال كما هي .

ستاهوف : كلا ، ليست الأشياء نفسها . فبدلاً من الأغاني القديمة ، هنّ لا يغنّين سوى الأغاني العاطفية المبتذلة .

بوتكيفيتش : أوه ! ما تزال هناك أغان عاطفية جميلة جداً .

كوروتكوف : أتريد أن تراهن ؟ . . . سأدعوهم للغناء أمامك ولن يمكنك أن تقول إن كان ما يغنّينه أغنية عاطفية أم أغنية عادية !

ستاهوف : آه ! من كوروتكوف هذا ، لا بد له من أن يراهن دائماً !

افريموف ، عائداً : يا سادة ، ليست هذه ماشا ، وبما أنه لا يمكن الاستقبال إلا في هذه الغرفة ، فسوف ننتقل إلى صالة « البليار » .

(يخرجون . يدخل فيديا وساشا) .

المشهد - ٤ -

« فيديا ، ساشا »

ساشا : فيديا ، اغفر لي إن كانت خطوتي كريهة عليك . . .
(خجلة) اصغر إلي ، بجاه الله عليك . (يتهدج صوته ،
يسير فيديا ذهاباً وإياباً في الغرفة ، تجاس ساشا وتنظر إليه) .
فيديا عدّ إلى بيتك !

فيديا : اصغي ، يا ساشا ، إنني أفهمك جيداً . لو كنت مكانك ،
يا ولدي العزيز ، لتصرفتُ كما تتصرفين ، ولبذلت
وسعي كي أصالح كل شيء . لكن لو كنت أنتِ مكاني ،
بقابك الحساس ، مهما يكن الافتراض غريباً ، لو كنتِ
مكاني لتصرفتِ كما تصرفتُ ، والذهبتِ حتى لا
تكوني عقبة في وجه حياة الآخرين .

ساشا : عقبة ! لكن هل يستطيع ليزا أن تحيا دونك ؟

فيديا : نعم ، يا عزيزتي ساشا ، نعم ، يا صغيرتي ! هي تستطيع
ذلك ... وستكون أسعد ، أسعد بكثير ، مما لو كانت
معي !

ساشا : لا ، أبداً !

فيديا : آه ! تتصورين ذلك ! . . . (يأخذ يدها) . على أن أشدّ
الأمور خطورةً ، فيما عدا ذلك ، هو أنني لا أستطيع .
تعلمين أنه يمكننا أن نطوي قطعةً من الكرتون إلى هذه
الجهة ثم إلى تلك ؛ نطوئها مائة مرة وهي تقاوم ؛ لكن
في المرة الواحدة بعد المائة ستُذعن وستنقطع إلى اثنتين ؛
هذه بالضبط هي الحالة بيني وبين ليزا . فمن المؤلم لي
أعظم الألم أن أنظر إليها في عينيها ، وكذلك هي أن تنظر
في عيني ، صدّقيني . . .

ساشا : كلا ! كلا !

فيديا : تقولين لا وأنت تعلمين مع ذلك أنني على حق !

ساشا : لا أستطيع أن أحكم إلا بحسب نفسي ! لو كنتُ مكانها ،
وأجَبْتُني كما تجيب الآن . . . اوه ! سيكون ذلك فظيماً !
. . . فظيماً بالنسبة إليّ ! . . .

فيديا : نعم ، بالنسبة إليك ! . . .

(صمت ثقيل . كلاهما مضطرب) .

ساشا : إذن ستبقى الأمور كما هي الآن !

فيديا : لا بدّ من ذلك .

ساشا : فيديا ، عدّ إلى بيتك !

فيديا : شكراً لك ، يا ساشا الطيبة . سأحتفظ أبداً بذكرى عزيزة

عنك ، وداعاً ، يا عزيزتي الصغيرة ! دعيني أقبالك !

(يقبّلها في جبينها) .

ساشا ، متأثرة جداً : لا ، لن أقول وداعاً ! لا أصدق . . . لا أستطيع أن أصدق . . . يا فيديا !

فيديا : حسناً ! اصغني إذن ؛ لكن أقسم لي ألا تقولي لأحد ما سأقوله لك . أتقسمين ؟

ساشا : اوه ! بالتأكيد !

فيديا : اصغني ، يا ساشا . الحق أنني أنا ، زوجها ووالد ابنها ، لا مكان لي في بيتي . لا ، لا ، لا تقاطعيني . نظنين أنني أغار اوه ! لا إطلاقاً ! فلاحق لي في ذلك أولاً . . . ثم إنني لا أملك المبررات التي تجعلني أغار . . . فيكتور كارينين هو صديقها القديم — وهو صديقي أيضاً . وهو يحبها . . . وهي تبادله الحب . . .

ساشا : لا ! . . .

فيديا : بلى ، هي تحبه ، لكن كما تحب الزوجة الشريفة والفاضلة التي تعتقد أن ليس من حقها أن تحب أحداً غير زوجها . ومع ذلك فالواقع أنها تحبه وستحبه كسيّاً ، عندما تزول هذه العقبة (يشير إلى نفسه) . . . وسوف أزيل هذه العقبة ، يا ساشا ؛ حينئذٍ يصبحان سعيدين !

(يتهدج صوته) .

ساشا : فيديا ، لا تقل هذا !

فيديا : أنت تعامين أن ما أقوله صحيح ! . . . وأنا سأكون سعيداً لسعادتهما . هذا أحسن ما يمكن أن أفعاله . لن أعود

إلى بيتي ؛ وأنا أعيد إليهما حريةهما . . . قولي لهما ذلك ...
ولا تقولي لي شيئاً ، لا تقولي لي شيئاً ! ووداعاً !

(يقبل ساشا في جبينها ويفتح لها الباب) .

ساشا : أنا مُعجبةٌ بك ، فيديا .

فيديا : وداعاً ، وداعاً ، يا صغيرتي . (وحده) نعم هذا حسن ،
هذا جديرٌ بالإعجاب ! (يرق الجرس ؛ للخادم الذي
دخل) . اذهب وادعُ السيد ، أرجوك ... (بينه وبين
نفسه) . نعم ، لا بدّ من ذلك .

(يدخل افريموف) .

المشهد - ٥ -

« افريموف ، فيديا » .

فيديا : هيّا نلحق بالآخرين .

افريموف : كيف سُوّيت الأمور ؟

فيديا : كأحسن ما تُسوّى ! (يندندن) . « أقسمتُ لي ، قالت لي (١) ...
أين الآخرون ؟

افريموف : هم هنا ؛ في صالة « البايار » .

فيديا : حسن جداً ! ... فأنكن ، نحن أيضاً ، سعداء .

ستار

(١) أقسمتُ لي ، قالت لي أغنية عاطفية روسية .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

مكتب آنا دميتريفنا ؛ ترف فخم رفيع الذوق ؛ التذكارات في كل جانب .

المشهد - ١ -

« آنا دميتريفنا ، خادم ؛ ثم الأمير ابريسكوف . آنا دميتريفنا كارينين ، أم فيكتور ، سيدة كبيرة باغت الخمسين ، لكنها تتصايب . توشني حديثها بالعبارات الفرنسية . الأمير ابريسكوف ، ابن ستين أنيق ، عزب ، له شارب فقط ، نموذج الضابط القديم القوي الشخصية ، حزين الوجه على نحو غير واضح . عند رفع الستار تكون آنا دميتريفنا وحدها ، تكتب رسالة . يدخل الخادم .

الخادم ، مُعلنًا : الأمير سيرج دميترييفتش .

آنا دميتريفنا : أَدْخُلْهُ .

(تنظر إلى المرأة على عجل) .

الأمير ، داخلاً : أرجو ألا أكون قد خرقتُ الأوامر ؟ ...

(ياشم يد آنا دميتريفنا) .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم أنك تأتي دائماً على الرحب والسعة ! ...

ولا سيّما اليوم ! هل تَلقيتَ بطاقتي ؟

الأمير : نعم ، تَلقيتَها ، وها أنا ذا .

أنا دميتريفنا : اوه ! يا صديقي . أخذ اليأسُ ينتابني . هو مسحورٌ ، مسحورٌ حقاً ! . . . إنه يركب رأسه ويعاند كما لم يفعل من قبل ، ويقابني بلا مبالاةٍ وقسوةٍ لا مثيل لهما . لا يَكاد يُعرَفُ بعد أن تركتُ تلك المرأةَ زوجها ! . .

الأمير : ما الذي يجري ؟ أين وصلت الأمور ؟

أنا دميتريفنا : إنه يُصرّ على الزواج بها مهما كاتّف الثمن . .

الأمير : طيّب ، والزوج ؟ . . .

أنا دميتريفنا : وافقَ على الطلاق .

الأمير : عجباً !

أنا دميتريفنا : فيكتور أَيْقبل هذا ! كل هذا الوحل . هؤلاء المحامون ، وكل تلك الحاضر . . . كل ذلك مُقَرَفٌ ، لكنه لا يأنف منه ! . . . لم أعد أفهمه ، مع نعومته . . . وخجائه . . .

الأمير : ما الحياة ، إنه يحبها ! تعالين أن الحب . . .

أنا دميتريفنا : لكن الحبّ في زماننا كان صافياً ، كان الحبّ - الصداقة ، وكانت العاطفة تستمرّ طوال الحياة . . . هذا هو الحب الذي أفهمه ، والذي أعجّبُ به . . .

الأمير : الجيلُ الجديد لا يَتَقَنعُ بمثل هذه العلاقات المثالية ! لا يكفيهِ امتلاك الروح . ولا ساطن لنا عاينه ! . . . لكن

ماذا سيجري فيكتور ؟

أنا دميتريفنا : اوه ! لا تكلمني عنه ! أكرّر لك ، إنه سحرٌ . . .
تغيّرَ كاليّاً . أنعم ! أني ذهبتُ إلى بيتهم . . . لفرض ما
رجاني . ذهبتُ إلى هناك فلم أجِدْ أحداً . وتركتُ بطاقتي .
ثم بعثتُ سأل إن كنت أريد أن . أستقبلها . وفي هذا
اليوم بالذات (تنظر إلى ساعتها) . في الساعة الثانية ،
أي في مدى بضع ثوانٍ ، ستكون هنا . وعدتُ فيكتور
بأن أستقبلها . . . أنت تقدّر حالتني النفسية . . . أنا
مشوشة جداً . . . ولذلك رجوتك ، على عادتي ، أن تحضر .
أنا بحاجة إلى مساعدتك .

الأمير : شكراً . . .

أنا دميتريفنا : أنت تعلم جيداً أن مصير فيكتور بأكماله يتوقف على
هذه المقابلة . ينبغي لي أن أرفض الموافقة . . . لكن هل
استطيع ذلك ؟ . . .

الأمير : ألا تعرفينها على الإطلاق ؟ . . .

أنا دميتريفنا : لم أرها قط . . . لكنني أحشاها ! الزوجة الرقيقة القلب
لا تترك زوجها على هذا النحو ، ولا سيّما زوجها البالغ
الطيبة . إنه صديق فيكتور وكان يزورنا كثيراً . وكان
لطيفاً جداً . لكن مهما تكن الأخطاء التي أخطأها نحوها
فلا ينبغي للزوجة أن تهجر زوجها . يجب أن تحمل صايبها
حتى النهاية ، ثم إن مالم أفهمه هو أن يقبل فيكتور ، مع
عواطفه الدينية ، بالزواج من امرأة مطّاقة ، فكم من

مرة ناقش « سبيتزين » مؤخراً أمامي ، وذهبَ إلى أن الطلاق لا يمكن أن يتوافق مع مذهب المسيح الحقيقي ! وهو يقبل به اليوم لنفسه . وإذا كانت قد استطاعت أن تفتنه إلى هذا الحد . . . فأنا أخشاها . . . لكنني دعوتك أظابُ مشورتك ولم أكفَّ عن الكلام . قل لي : ما رأيك ؟ ... ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ... هل كاتمت فيكتور ؟

الأمير : نعم ، تحدثنا . أنا واثقٌ من أنه يحبها . وهو خاضعٌ لهذا الحب . هذا رجلٌ يُسأمُ نفسه ببطء ولكن بأكمالها . وما دخلَ قلبه لا يخرجُ منه ! لن يحبَ امرأةً أخرى ، ودونها لا يستطيع أن يكون سعيداً .

آنا دميتريفنا : تصورُ أن ماريّا كازانتريفا كانت ستتزوج بفرح ! ... يا لها من فتاة فاتنة ! وكم تحبه !

الأمير : هذا كمنٌ ينسى ضيقه . لا فائدة من التفكير في ذلك . الأفضل ، برأيي ، أن تُسألي ، بل أن تساعدني على الزواج منها .

آنا دميتريفنا : الزواج من مطابقة ! ... لكي يلتقي زوج امرأته الأول ؟ إنك تتكاسم على ذلك بهدوء مدهش . هل يمكن لامرأة ، لأم ، أن تقبل مثل هذا الزواج لابنها الوحيد ؟ وأي ابن ؟

الأمير : ما حياتنا ، يا صديقتي المسكينة ! بالطبع ، كان أجابَ للسرور لو تزوج فتاةٌ تعرفينها وتحبينها . . . لكن ، بما أن ذلك مستحيل ... لا ينبغي أن يعطي اسمه لعجربة ... أو لامرأة لا يُعرف أصلها . إن ليزا رحماً نوما لطيفة جداً ،

وأنا أعرفها ، بفضل ابنة أخي « نياي » ؛ هي ودیعة ،
طیبةٌ ، ودود ، فاضلة .

آنا دمیریفنا : فاضلة ! ... زوجةٌ تتركُ زوجها ؟ ...

الأمیر : آه ! تغيرت عليّ ! كيف تُصبحين قاسيةً فجأةً وأنت
الشديدة التسامح ! إن زوجها من هذه الكائنات التي يُقال
عنها : هي عدوةٌ نفسها ؛ وهو عدو امرأته فوق ذلك .
إنه رجل ضعيف ، منحطٌ ، سكيّر . ولقد بذّر ثروته
وثروة امرأته ، مع أن لها ولداً ! كيف تدينين امرأة
هجرت مثل هذا الزوج ! ثم إنه هو الذي هجرها لا هي ...
آنا دمیریفنا : اوه ! أيّ وحل ، أيّ وحل ، ولا بد لي من أن أخبط
فيه !

الأمیر : وأين دينك ؟ ...

آنا دمیریفنا : نعم ، نعم ، المغفرة ! « كما نغفر لمن أساء إلينا » .
لكن هذا أقوى مني ! ...

الأمیر : كيف يمكنها أن تعيش مع مثل هذا الرجل ؟ حتى لو لم
تحب آخر ، عايتها أن تهجره ؛ كان ينبغي أن تفعل ذلك
من أجل ابنها . . . بل إن زوجها ذاته ، وهو رجلٌ
ذكيٌّ وخيرٌ عندما يكون عقائه معه ، قد نصحتها بذلك .

(يدخل فيكتور . ياثم يد أمه ويُحيي الأمیر) .

المشهد - ٢ -

« آنا دمیریفنا ، الأمیر ، فيكتور »

فيكتور : ماما ، جئتُ على عجلٍ ، وليس عندي سوى كاتمة
واحدة أقولها لك . ستأتي الزافيتا اندريفنا بعد هنيهة ،
ولست أطلبُ منك إلا شيئاً واحداً ، أتوسّل إليك :
إذا كنتِ مستمرةً في عدم الموافقة على زواجي . . .
آنا دميريفنا : تقاطعه : من دون شك أنا مستمرةٌ في عدم الموافقة
عليه ! . . .

فيكتور ، متجهماً : أرجوكِ إذن : لا تحدّثيها عن رفضك . . .
لا تقولي شيئاً يتعدّر لإصلاحه .
آنا دميريفنا : أعتقدُ أننا لن نتحدث عن ذلك ! . . . ومن المؤكد
أنني لن أبدأ هذا الموضوع .

فيكتور : ولن تبدأ هي به ؟ أحببتُ فقط أن تتعرّفي عليها .
آنا دميريفنا : هناك شيءٌ لم أفهمه . . . كيف توفّق بين رغبتك
في الزواج من السيدة بروتا سوبا ، وزوجها حيّ ، وبين
آرائك الدينية التي تحمّلك على التأكيد بأن الطلاق
مناقضٌ للإنجيل ؟

فيكتور : ماما ، ما أقسى هذا منك ! أنحن معصومون ؟ . . . ألا
يقع لنا أن نعيدَ عن مبادئنا عندما ندخل في نزاعٍ مع
صعوبات الحياة ؟ لم كلّ هذه القسوة ، يا أمي ؟
آنا دميريفنا : لأنني أحبك ، لأنني أبتغي سعادتك . . .

فيكتور ، يلتفت إلى الأمير : سيرج دميريفيتش !
الأمير : لا شك أنك تبغين سعادته ! . . . لكن ، أنستطيع نحن ،
بشعرنا الشائب ، أن نفهم الشباب ؟ . . . ولا سيما التي
لها أفكارٌ محدّدةٌ عن سعادة ابنها ! كلّ النساء هكذا .

أنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، هذا أمرٌ مفروغ منه . . . أنتما ضدي . . .
افعل ما تشاء ، يا فيكتور ، فإن لك الحق في ذلك . . .
أنت بالغ . . . لكن اعلم أنك ستقتلني .

فيكتور : تغيرت تماماً ! . . . هذا أكثر من قسوة . . .
الأمير لفيكتور : كفى ، يا فيكتور . أمرك أقصى دائماً في أقوالها
منها في أفعالها .

أنا دميتريفنا : سأقول لها ما أفكر فيه وما أحسّه . سأقول لها ذلك
دون أن أجرحها .

الأمير : لا أرتاب في ذلك .

(يدخل الخادم) .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، الخادم »

الأمير : ها هي ذي .

فيكتور : سأنصرف .

الخادم : اليزافيتا اندريفنا بروتا سوف .

فيكتور : سأنصرف ، ماما . . . أتوسل إليك مرة أخرى .

(يخرج ، ينهض الأمير) .

أنا دميتريفنا : أَدْخُلْهَا . . . (للأمير) . لا ، ابق .

الأمير : كنتُ أظن أنكما سترتاحان أكثر لو كنتما على انفراد .

أنا دميتريفنا : لا ، قلت لك لا . أنا أخشاهما ، (تضطرب) . يضايقني

أن أفرد بها . فإذا شعرت بالحاجة إلى الانفراد بها أو مات
إليك . . . هذا رهن بالظروف . سأوميء إليك هكذا .

(تشير إشارة) .

الأمير : سأفهم . . . أنا واثق من أنها ستعجبك ... لكن كوني
عادلةً على الخصوص . . .

آنا دميريفنا : كيف تتحدون جميعاً ضدي !

(تدخل ليزا بإباس المدينة ، وبالقبعة) .

المشهد - ٤ -

« آنا دميريفنا ، الأمير ، ليزا » .

آنا دميريفنا ، ناهضة : أسفتُ كثيراً لأنني لم أجلك في المنزل .
لكنك لطيفة جداً اذ جئت . . .

ليزا : ما كنتُ أتوقعُ ... أنا ممتنة لك أنك رغبت في رؤيتي .

آنا دميريفنا : أتعرفين الأمير ؟

الأمير : طبعاً ، تشرفتُ من قبل بالتعرف إليها . (يتصافحان
ثم يحاسن) . وقد حدثتني ابنة أخي « نيلي » عنها كثيراً .

ليزا : نعم ، كنا مرتبطتين بالصدقة ... (تلقي بنظرة خجالة
صوب آنا دميريفنا) . ومازلنا كذلك . (لآنا دميريفنا)
ما كنتُ أتوقع أن ترغبي في رؤيتي .

آنا دميريفنا : كنت أعرف زوجاك جيداً . كان صديق فيكتور ،
وكان يتردد كثيراً علينا ، قبل سفره إلى تامبور . ففيها
تزوجك ، على ما أعتقد .

ليزا : نعم ، تزوجنا هناك .

آنا : وبعد عودته إلى موسكو ، لم يزرنا قط .

ليزا : اوه ! لم يكن يرى أحداً ، تقريباً . . .

آنا دميتريفنا : حتى إنه لم يعرفني بك .

(صمت مربك) .

الأمير : آخر مرة لقيتك فيها كانت عند آل دينيسوف ؛ كانوا

يمثلون ماهاة ، لطيفة جداً . . . وقمت أنت بدور

من أدوارها .

ليزا : لا ... بلى ! تذكرتُ ، في الواقع . . . (صمت جديد) .

اغفري لي ، يا آنا دميتريفنا إن كان ما سأقوله لك غير

مستحب ، لكنني لا أريد أن أخفي عنك شيئاً ... إنما

جئتُ لأن فيكتور ميخايلوفيتش قال لي . . . لأنه ...

رغبت في رؤيتي . . . لكن يجب أن أقول لك كل شيء ...

(تنتحب) . إن هذا شاقٌ علي ... وأنتِ ، يا سيدتي ،

كريمةُ النفس . . .

الأمير : سأنسحب . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، اتركنا .

الأمير : إلى اللقاء ، سيداتي

(يُحيي ويخرج) .

« آنا دميتريفنا ، ليزا ؛ ثم فيكتور » .

آنا دميتريفنا : اصغي ، يا ليزا . . . لا أعرف اسمك لآخر . . .

ليزا : اندريفنا .

آنا دميتريفنا : سيان ! ليزا ، أنا أرثي لك بصدق ، وأنت قريبة إلى نفسي . لكنني أحب فيكتور ؛ ولست أحب غيره في العالم ! . . . وأعرف نفسه مثلما أعرف نفسي ؛ فهو فخور بنفسه ؛ كان فخوراً بنفسه منذ السابعة ؛ فخور لا باسمه أو بثروته ، بل بنقائه وفضيائه . إنه نقي كالفتاة .

ليزا : أعلم ذلك . . .

آنا دميتريفنا : أنت أول امرأة يحبها ! ولا أكنمك أني أغار من حب ابني . نعم ، أغار منك . لكنني أم ، كما أنك أم ، وإن كان ابنك ما يزال صغيراً جداً ، ولم يحن الوقت بعد لكي تفكر في فيه . كنت مستسامة سافاً ، كنت مستعدة لأن أهبه لامرأة دون أن أغار منها . . . لكن لامرأة نقيّة نقاءه .

ليزا : وأنا ؟ أنا ؟ ... ؟

آنا دميتريفنا : اسمحي لي . . . أنا أعلم . . . الغلطة ليست غلطتك . . . أنت تعسة . أنا أعرفه . فهو مستعد ، في الوقت الحاضر ، لأن يتحمل كل شيء . . . وحتى فيما بعد لن يقول

شيئاً أبداً ، لكنه سيأتكم في نفسه . . . فكبرياؤه الجريحة
ستعذبه ولن يكون سعيداً أبداً .

ليزا : فكّرتُ في هذا من قبل .

آنا دميتريفنا : يا عزيزتي ليزا . . . أنت امرأة ذكية وخيرة . وإذا
كنت تحبّينه ، فأنت تمنين سعادته قبل كل شيء .
وإذن فإن تَرْضِي أن تقيّديه وأن تقوده إلى الندم ،
لأنه سيندم دون أن يقول شيئاً أبداً .

ليزا : أدري أنه لن يقول شيئاً . وقد فكّرتُ في ذلك . وطالما
تساءلتُ عن هذا الموضوع وحدثته فيه . لكن ماذا بوسعي
أن أفعلَ إن كان يقول لي : إنه لا يستطيع العيش
دونني ؟ قالتُ له : « لِنَبْقَ صديقين ، لكن ابن
لنفسك حياةً مستقلةً عن حياتي ، لا ترتبط بي وأنا
لست نقيّة نقاءك » . ولم يُرد أن يُصغي إليّ .

آنا دميتريفنا : نعم ، إنه لا يريد . . . في الوقت الحاضر .

ليزا : أقنعيه ، أنا أقبلُ أن يتركني ... أحبه وأريد سعادته
أكثر من سعادتي . . . لكن ساعديني ، ولا تكترهيني ...
لِنُحِبّه كلثانا ولنسَع إلى أن نجعله سعيداً .

آنا دميتريفنا : نعم ، يابنتي العزيزة ، أنا أحبك ... (تقبلُ ليزا التي
تبكي) . اوه ! لماذا لم يحبك قبل زواجك !

ليزا : هو يؤكد لي أنه أحبّني في ذلك الزمن ، لكنه لم يشأ أن
يحول دون سعادة غيره .

آنا دميتريفنا : اوه ! لكم يحزنني ذلك كاه ! لكن لنتحارب ، وسيساعدنا الله على ايجاد الحل .

فيكتور : يا أمي العزيزة ، سمعتُ كلَّ شيء ! . . . وكنت أوقع ذلك . . . لقد استطاعت أن تستميل قلبك . . . سيسير كل شيء نحو الأفضل .

ليزا : أنا آسفة لأنك سمعت . لو كنت أعلم لما قلت شيئاً . . .
آنا دميتريفنا : لكن لم يتقرر شيءٌ بعد ! كلُّ ما أستطيع قوله ، هو أنني كنتُ سأكون مسرورة لولا هذه الأحداث المحزنة .
(تقبل ليزا) .

فيكتور : على شرط ألا تغيري رأيك بعد الآن .

اللوحة الثانية

« مسكن متواضع : سرير ، طاولة عمل ، أريكة » .

المشهد - ١ -

« فيديا ، ثم ماشا »

« فيديا وحده . يُقرع الباب ويُسمع صوتُ ماشا قائلاً : « لمَ
حَبَسْتَ نفسك ، يا فيدور فاسيافييتش ؟ فيديا ، افتح لي » .
فيديا ، وهو يفتح : شكراً لمجيئك . . . ضجرتُ ، ضجرتُ حتى
الموت .

ماشا : لمَ لم تأت إلينا ؟ وشربت أيضاً ؟ أين وعدك ؟

فيديا : تعلمين أنه لم يبقَ معي مالٌ .

ماشا : اوه ! ما أشقاني بحببي لك !

فيديا : ماشا !

ماشا : ماذا ، ماشا ، ماشا ! لو كنتَ تحبني لطلّقتَ امرأتك منذ
زمن بعيد . . . امرأتك تطالبُ ذلك منك أيضاً . . . ومع
ذلك فأنت لا تتخلى عنها . . . كأنك لا تريد الطلاق ؟ ..

فيديا : لكنك تعلمين جيداً لماذا لا أريدُه .

ماشا : تلك حماقات ! الحقّ مع مَنْ يقول : إنك لا تصّالح
لشيء . . .

فيديا : ماذا أقول لك ؟ أأقول أن كلماتك تؤلمني ! لكنك تعلمين
ذلك أنتِ نفسك .

- ماشاشا : لا شيء يؤلمك .
- فيديا : تعلمين مع ذلك أن ليس في حياتي سوى هذه الفرحة وهي حبك .
- ماشاشا : آه ! نعم ، حبي هو حبي ، لكنني لا أكاد أرى حبك .
- فيديا : لا تتصورني أني سأقسم لك بالأيمان . فما الفائدة ؟ تعلمين جيداً أنني أحبك .
- ماشاشا : فيديا ، لم تعد بني هكذا ؟
- فيديا : من منّا يعذب الآخر ؟
- ماشاشا ، باكية : أنت شرير .
- فيديا ، يدنو منها ويقبلها : مهلاً ، ما بك ؟ دعينا من هذا ، ولننعش بدلاً من التباكي ... الدموع لا تناسبك ، يا حلوتي ماشا ...
- ماشاشا : أتحبني ؟
- فيديا : ومن أحب غيرك ؟
- ماشاشا : أنا وحدي ؟ والآن اقرأ لي ما كتبتّه .
- فيديا : سيضجرك هذا .
- ماشاشا : بما أنك كتبت ذلك أنت ، فلا بد أن يكون جميلاً .
- فيديا : حسناً ! اسمعي . (يقرأ) « في أواخر الخريف اتفقنا صديقي وأنا على أن نلتقي قرب هضبة بورغين » . كانت غابة صغيرة ، قاسية التربة ، مغطاة بالأعشاب الفتية . كان النهار مظلاماً ، دافئاً وهاذاً . والضباب ... » .

(يدخل في هذه اللحظة عجزي عجوز هو ايفان ماكاروفيتش ،
وعجربة عجوز هي ناستازيا ايفانوفنا . وهما والدا ماشا) .

المشهد - ٢ -

ناستازيا ايفانوفنا ، مسارعة إلى ابنتها : آه ! أنت هنا ، أيتها النعجة
الجرباء ! . . . احتراماتي ، يا سيدي . (لابنتها) . في
أية ورطة ورطتنا ، قولي ؟

ايفان ماكاروفيتش ، لفديا : هذا سيء ، يا سيدي . أضعت ابنتنا .
نعم ، ما تفعله سيء وممقوت .

ناستازيا ايفانوفنا : خذي شالك وانسحي . سأعلمك كيف تهزين
من البيت . . . ماذا سأقول للفرقة ؟ تغامرين مع عاشق
لا يملك فلساً ! ومن الذي يستطيع حماه على الدفع !

ماشا : لست مغامرة . أحب فيدور فاسيلييفيتش وكفى . لم أترك
الفرقة ، وسأغني كما كنت أغني من قبل ، لكن ...

ايفان ماكاروفيتش : اخربي وإلا اقتاع شعرك . من الذي
علمك هذه الأمثلة الرديئة ؟ لا أبوك ، ولا أمك ، ولا
عمتك . (لفديا) . ما تفعله سيء ، يا سيدي . كنا
نحبك . وإرضاء لخاطرك كم مرة غطينا بلا مقابل .
شفقنا عليك . وهذا ما تفعله ، أنت !

ناستازيا ايفانوفنا : أضعت ابنتنا الوحيدة ، ابنتنا الجوهرة ، فرحة
عينينا ! ألقيت بها على الزبل ! أنت لا تعرف الله !

لفديا : لا ، يا ناستازيا ايفانوفنا ، أنت تتهميني ظالماً . لقد

عاماتُ ابنتك كما تُعاملُ الأختُ واحترمتُ شرفها .
فلا تُسيئِ الظنَّ . لكني أحبُّها ، ولا حيلةَ لي في ذلك .

ايفان ماكاروفيتش : لمَ لم تحبِّها عندما كنتَ تملكُ المالَ ؟ . . .
كان يجب أن تعطي الفرقة عشرة آلاف روبل وتحصل على
ماشيا بكل شرف . لكنك تحطفها سرّاً ، اليومَ وأنت لم
تعد تملكُ فلساً واحداً ، عيبٌ عليك ، يا فيدور فاسيايفيتش ،
عيبٌ عليك !

ماشيا : هو لم يخطفني ، وجئتُ وحدي ، وسوف أعود لو
أخذتاني معكما . أحبُّه وكفى ! سيُحطِّم حبي أقفاكم .
لا أريد . . .

فاستازيا : هيا ، يا صغيرتي ماشيا ، لا تركبي رأساكِ . . . لقد
أسأتِ التصرف ، تعالي . . .

ايفان ماكاروفيتش : كفى كلاماً . امشي (يأخذ ابنته من يدها) .
وداعاً ، يا سيدي .

(يخرج الأب والأم وماشيا)

المشهد — ٣ —

« فيديا ، الأمير ابريسكوف » .

الأمير ، داخلاً : اعذرني ، كنتُ شاهداً غير متعمّدٍ لمشهد مؤلم . . .
فيديا : مَنْ الذي يُشرفني . . . (يَعْرِفُه) آه ! الأمير سيرج
دميترييفيتش .

(يحبِّيه) .

الأمير : ... شاهداً غير متعمد لمشهد مؤلم . كنتُ أود ألا أسمع ؛ لكنّ بما أنني سمعتُ ، رأيت من واجبي أن أقول لك ذلك . أدخلتُ إلى هذا المكان ، وكان لا بد لي من انتظار خروج هؤلاء الأشخاص ؛ عبثاً ضربتُ على الباب ، فقد كانت الضربات تُضيق في ضوضاء الأصوات . . .

فيديا : أرجوك ، اجلس . . . أشكرك لأنك قلتَ لي ذلك ، وهذا يُتيح لي أن أشرح لك هذا المشهد . ولا أهمية لرأيك بي . لكنني أحب أن أقول لك أن اللوم الموجه إلى الفتاة ، إلى المغنيّة العجربة لومٌ غير عادل ، إنها نقيّة كالحمّامة ، وعلاقاتنا ودّيّة لا غير ؛ وإذا كانت هذه العلاقات مطبوعة بشيءٍ من الشاعرية ، فإن شرف الفتاة لم يندس من جراء ذلك . هذا ما كنت أحرص على قوله لك . والآن ماذا تريد ؟ فيم أستطيع أن أكون نافعاً لك ؟

الأمير : أولاً .

فيديا : عفواً ، يا أمير ، فوضعي الاجتماعي باغ الآن حداً لا تكفي فيه علاقاتنا القديمة والمتقطعة لأن توهّاني لزيارتك . ولا بد أن تكون هناك قضية . فما هي ؟

الأمير : حزرت ، في الواقع . فهناك قضية . إلا أنني أرجوك أن تعتقد أن وضعك الحالي لا يغير عواطفني تجاهك في شيء .

فيديا : أنا واثق من ذلك .

الأمير : هذه هي القضية : لقد رجاني ابن صديقتي القديمة آنا
دمتريفنا كارينين ، كما رجنتني هي نفسها أن أسألك
مباشرةً عن علاقاتك ... اسمح لي أن أحدثك بصراحة ...
عن علاقاتك بزوجتك ، اليزافيتا اندريفنا بروتا سوف ؟

فيديا : علاقاتي بزوجتي ، أو على الأصح بالتى كانت زوجتي ،
قد قُطِعَتْ كائياً .

الأمير : هذا ما كنتُ أظنّه ، ولذلك قُباتُ هذه المهمة الدقيقة .

فيديا : قُطِعَتْ علاقاتنا ، وأنا أسارع لأقول : إنها قُطِعَتْ
بسبب غلطتي ، لا غاظتها ... أو بسبب أخطائي التي لا
تُحصى نحوها . أما هي فقد ظلت تملك المرأة التي لا تأخذ
عليها .

الأمير : إذن كلّفني فيكتور كارينين وأمه خاصة أن أسألك ما
نيتُك .

فيديا ، محتدّاً : نيتي؟ لانيّة لي . أعدتُ لإمرأتي حرّيتها الكاملة ،
وأكثر من ذلك ، فإن أضياعها أبداً . يمكنها أن تطمئن .
أعلم أنها تحب فيكتور كارينين ذلك أحسن لها . أنا
أجده مُعلاًّ جداً ، لكنه فتى طيب ، وشريف ، وأعتقد
أنها ستكون سعيدة معه ، كما يُقال . ليباركهما الله !
هذا كل ما عندي .

الأمير : نعم ، ولكنّا . . .

فيديا ، مقاطعاً : لا تظنّ بي أدنى شعور بالغيرة . قلت عن فيكتور :
إنه مملّ وأنا أسحب كلمتي . هو لطيف وشريف وفاضل ،
على عكسي أنا تقريباً . لقد أحبّ ليزامند الطفولة ، ولعالمها

ظالت تحبّه حين تزوجتني . الحب الذي لانتبيّنه هو أعمق الحب . اعتقد أنها احبّته ؛ لكنها لم تعرّف لنفسها بهذا الحب ، كما تفعل المرأةُ الشريفةُ . على أن ذلك كان يُأتي ظالمه على حياتنا . لكن ، لم أنصّاك بهذا الحديث ؟

الأمير : أتسمّ كلامك ، أرجوك . صدّقني أنني أن كنتُ جئتُ إليكَ فذلك رغبةٌ مني في أن أفهم فهماً عميقاً علاقاتك بزوجتك . إني أفهمك ؛ وأرى ؛ في الواقع ، أن ذلك الظل ، كما قلتَ بوضوح ، أمكن أن يوجد فعلاً .

فيديا : نعم ، لقد وُجد . ولعلي من أجل ذلك لم تكن الحياة الداخلية مع ليزا لتكفيّني . ففتشتُ في مكان آخر ، وانسقتُ وراء أهوائي . لكنّ يبدو أنني أحاول تبرير ساوكي ... لا رغبةَ لي في ذلك ، ثم إني لا أستطيع . لقد كنتُ زوجاً سيئاً ... أقول : كنتُ ، لأنني ، لا أعتبر نفسي ، منذ زمن بعيد زوجاً لها . وأنا أعدّها حرةً تماماً . هذا ردّي على مهمّتك .

الأمير : لكنك تعرف عائلة فيكتور ، وتعرفه هو نفسه . لقد ظلت علاقاته باليزافيتا اندريفنا وما تزال علاقات الاحترام الشديد . وكان لا يسعى إلا أن يكون نافعا لها في الأوقات العصيبة .

فيديا : نعم ، أنا بنفسني قدّنتُهما إلى التقارب . لكن ما العمل ! كان لا بد أن تكون الأمور هكذا .

الأمير : أنت تعرف الآراء الارثوذكسية الصارمة التي يجاهر بها هو وأسرته . لست أشاركهم آراءهم ، إذ أنني أكثر تسامحاً في أفكارى ، لكنني أحترم تلك الآراء وأتفهّمها ، وأعلم أنه يرى هو وأمه أن لا حياة ممكنة مع امرأة خارج الزواج الديني .

فيديا : نعم ، أعلمُ كم هو غداً ... (يستدرك) كم هو متشدد بهذا الصدد . ماذا يازمهم ؟ الطلاق ؟ أعانتُ منذ زمن بعيد أنني أوافق عليه . أما أن أتحمّل الخطأ قابلاً بكل أكاذيب الإجراءات (١) ، فذلك قاس جداً .

الأمير : أفهمك وأشاراك رأيك . لكن ما العمل ؟ أظن أنه من الممكن تسوية القضية على هذا النحو ... بيد أن الحق معك ؛ أنا من رأيك . هذا فظيع .

فيديا ، يشدّ على يده : شكراً ، يا أميري العزيز . لقد اعتبرتك دائماً رجلاً شريفاً وخييراً . قل لي كيف ينبغي أن أتصرف ؟ ماذا ينبغي أن أفعل . ضع نفسك مكاني . لست أحاول أن أظهر خيراً مما أنا عليه . أنا بائس . لكن هناك أشياء لا يمكنني أن أفعلها من كل قلبي . لا أستطيع أن أكذب .

الأمير : أنا الذي لا يفهمك . إن لك قدراتك وذكاءك ورقة

(١) أكاذيب الإجراءات : تقبل الكنيسة الارثوذكسية الطلاق في حالة الزنى . فلكي يتم الطلاق كان لا بد إذن من التظاهر بالجرح المشهود الذي تتحقق منه الشرطة .

عواطفك . فكيف يمكنك أن تستسلم هكذا للإغراءات ،
وكيف يمكنك أن تنسى كل ما تتطلبه من نفسك ؟
كيف وصلت إلى ما وصلت إليه ؟ كيف دمّرت
حياتك .

فيديا ، متغالباً على انفعاله : ها قد مضت عشر سنوات وأنا أحيأ حياة
الفجور ، وهذه هي المرة الأولى التي يعطيف فيها عليّ
رجلٌ مثلك . فلم ألقِ حتى الآن سوى رفاقي من الماجنين
ومن النساء الذين كانوا يرثون لي . . . لكن رجلاً عاقلاً
وخيراً مثلك ... شكراً ! كيف وصلت إلى الضياع ؟
هناك الخمر ، في البداية . لا لأنني أجد لذة في الشرب .
بل قد راودني دائماً الإحساسُ بأن كل ما يجري حولي
غير ما يجب أن يكون فأخجل . وهكذا ، تراني أكلّمك
الآن ! وأنا خَجِلٌ . أما أن يكون المرء مارشالاً للنبلأ أو
مديراً لمصرف ، فذلك مخجلٌ جداً ، مخجلٌ جداً ...
بعد أن نشرب يزول الخجل ... ثم هناك الموسيقى ، لا
الأوبرا أو بيتهوفن ، بل موسيقا العُجْر ، فهي تسكب في
النفس الكثير من الحياة والطاقة . ثم هناك العيون السود
الجميلة ، والابتسامة ... لكن كلما خَلَسَ ذلك لُبُّنا
ازدنا إحساساً بالخجل .

الأمير : والعمل ؟

فيديا : حاولتُ ؛ كان رديئاً دائماً ، وكنت مستاءً دائماً . لكن
ما جدوى الكلام عليّ ؟ أشكرك .

الأمير : ماذا يجب أن أقول لهم إذن ؟

فيديا : قل لهم : إني سأفعلُ كل ما يريدانه . يريدان أن يتزوجا ،
وَألا يحول شيءٌ دون زواجهما ؟

الأمير : بالتأكيد .

فيديا : سأفعل ما يريدانه ؛ قل لهما : إنني سأفعل ذلك بالتأكيد .

الأمير : متى ؟

فيديا : انتظر . لنقل في ظرف خمسة عشر يوماً . هذا كثير ؟

الأمير ، ناهضاً : إذن أستطيع أن أخبرهم بذلك ؟

فيديا : نعم ، تستطيع . وداعاً يا أمير . أشكرك مرةً أخرى .

(يخرج الأميرُ ، يجلس فيديا ، ويصمتُ طويلاً ، ثم

يقول وهو يبتسم) : حسنٌ ، حسنٌ جداً . . . هذا

ما يازم ، هذا ما يازم ، هذا ما يازم .

ستار

الفصل الرابع

اللوحة الأولى

« حجرة صغيرة خاصة في مطعم » .

المشهد - ١ -

« خادم المطعم ، فيديا ، ايفان بيتروفيتش . يُدخل الخادم فيديا ،
وخلّفه ايفان بيتروفيتش الكسندروف » .

الخادم : تفضّل بالدخول ؟ هنا لن يُزعجك أحد . سأحمل إليك
الورق .

ايفان بيتروفيتش : بروتا سوف ... أسمح لي بالدخول ؟

فيديا ، بوقار : ادخل إذا شئت ، لكنني مشغول ... بل ادخل .

ايفان بيتروفيتش : تريد أن تردّ على طابهما ؟ سأقول لك كيف :
لن ألف وأدور ، فأنا أقول صراحة ما أفكر فيه وأتصرّف
دون تردد .

فيديا ، للخادم : زجاجة شمبانيا ! ... (يخرج الخادم . يضع فيديا على
الطاولة مسدساً يُخرجه من جيبه) انتظر قليلاً .

ايفان بيتروفيتش : ماذا ! تريد أن تقتل نفسك ؟ حسن ، هذا ما
يحقّ لك أن تفعله . إني أفهمك . يريدان أن يُذلاك

وتريد أن تُريهما مَنْ أَنْتَ . تَقْتُلُ نفسك برصاصة ،
وتقتلهما بعظمة نفسك . أنا أفهمك ... أفهمُ كل شيء ...
أنا عبقرى !

فيديا : طيب ، طيب ؛ لكن ... (يدخل الخادم مع زجاجة
الشمبانيا والورق والخبر . يغطي فيديا المسدس بمنشفته) .
افتحْ ! لنشربْ ! (يشربان ، فيديا يكتب) . اسكتْ
لحظة .

ايفان بيتروفيتش : أشربُ نخب ... رحلتك العظمى ... أنا فوق
ذلك كله . لن أوقفك . الحياةُ والموتُ سيّان عندي .
أموتُ في الحياة وأحيا في الموت . تريدُ أن تموت لكي
يُبَكَّتَ الضميرُ هذين : امرأتك وصاحبها . وأنا سأقتلُ
نفسي لكي يترك العالم ماذا يفقد . لا أريد أن أتردد أو
أن أفكر . آخذُ المسدس (يمسك بالمسدس) . واحد ،
اثنان وينتهي كل شيء . لكنّ ساعتي لم تأت بعدُ ،
(يضع المسدس على الطاولة) . على كل حال ، ليس
لي أن أعلمهم . فليكتفوا أنفسهم عناء الفهم ... آه !
أنتم الآخرون ...

فيديا ، يكتب : اسكتْ لحظة .

ايفان بيتروفيتش : أيها البائسون الذين ترزحون وتكدّون ولا
تفهمون شيئاً ، لا تفهمون شيئاً ، على الإطلاق ! لستُ
أكلّمك ، وإنما أعبرُ عن أفكاري فقط . ماذا ينبغي
للإنسانية أن تفعل ، على الإجمال . لا يُطأَبُ منها شيءٌ

كبير : كلُّ ما يُطابُّ منها أن تكرّم عباقرتها . في حين
أنها عذبتهم واضطهدتهم وسحقتهم دائماً . اوه ! أنا لن
أكون لعبة بين أيديكم ، أنتم الآخرون ؛ أستطيع أن
أكشف قناعكم ... أيها المراؤون !

فيديا ، ينتهي من الكتابة ، ويشرب ويقرأ : انصرف ، أرجوك .
ايفان بيتروفيتش : أنصَرِفُ ؟ ... طيب ، وداعاً ... لن أوقفك .
سأفعل مثلك . لكن لم يَسْنِ الأوان بعد . أريد أن أقول فقط ...
فيديا : كفى ، تقول لي فيما بعد ... أما الآن فاسمع ما يجب فعله
يا صديقي . أسمح باعطاء هذا للمعلم (يعطيه نقوداً)
واطلب لي رسالة وسفطاً على اسمي .

ايفان بيتروفيتش : طيب ... لكن عِدْتِي بأن تنتظرنى ... فما
عليّ أن أقوله لك عظيم الخطورة ... لن يُخبرك به أحد
لاني هذه الحياة ولا في العالم الآخر ، على الأقل قبل أن
أذهب أنا إليه . هل أعطيه كل هذه النقود ؟

فيديا : أعطِه ماله . (يخرج ايفان بيتروفيتش ، يتنفس فيديا
الصعداء ، ويُغلق الباب خلفه ، ويتناول المسدس ،
ويرفعه ، ويضعه على صدغه ، ويَجْفَل ، ويرخيهِ
برفق وهو يتأوه) . لا . لا أستطيع ، لا أستطيع !
(يُقَرع الباب) . مَنْ هذا ؟

المشهد - ٢ -

« فيديا ، ماشا »

ماشا ، خلف الباب : أنا .

فيديا : مَنْ أَنْتِ ؟ آه ! ماشا .

(يفتح الباب)

ماشا ، داخلة : بحثُ عنكِ في غرفتك ، وعند بوبوف ، وعند أفريموف ، وأخيراً حضرتُ أناكِ هنا . (ترى المسدس) .
هذا هو الجنون . ما أحملك ... يا لغباؤكِ ! أحقاً
أنتِ ... ؟

فيديا : لم أقوَ على ذلك .

ماشا : أنا إذن ، لا حسابَ لي ! أيها الجاحد ! ألم تشفقْ عليّ ؟
يا لها من خطيئة ، فيدور فاسيايفيتش ، يا لها من خطيئة !
... هذا جزاء حبّتي ...

فيديا : أردت أن أهبهما الحرية ، وعدتهما بذلك ، لكنني لا
أستطيع أن أكذب .

ماشا : وأنا ؟

فيديا : مالكِ ، أنتِ ؟ تُصبحين حرةً أيضاً . أحسنُ لكِ أن
تتألمي معي ؟

ماشا : طبعاً ، أحسن . لا أستطيع الحياةَ بدونكِ .

فيديا : هل الحياةُ معي حياةٌ . ستبكين في أول الأمر ، ثم
تَحيين حياتكِ .

ماشا : آه ! لا ، لن أبكيكِ ! لا ردّك الله إن لم تشفق علي .

(تبكي)

فيديا : ماشا ، يا صغيرتي ، أردتُ أن أفعل ما هو أفضل .

دasha : الأفضل عندك .

فيديا ، مبتسماً : كيف ؟ الأفضل عندي ، بما أنني أردت أن أقتل نفسي ؟

ماشا : بالتأكيد . لكن ماذا يازمك ؟ قل لي .

فيديا : كثيرٌ من الأشياء .

ماشا : لكن ماذا ؟ ماذا ؟

فيديا : يازمني أولاً أن أفي بوعدي ، وهذا وحده كثير .
أستطيع أن أكذب وأقبل بكل تلك القذارات اللازمة
لإتمام الطلاق ؟

ماشا : لا شك أن ذلك مقرفٌ ! أنا أيضاً ...

فيديا : وبعد ذلك يجب أن أهَبَ امرأتي وكارينين الحرية . هما
طيبتان ، فاسمِ أعدبُهما ؟

ماشا : لو كانت امرأتك طيبة حقاً لما هجرتك .

فيديا : لم تهجرتني هي ، أنا هجرتها .

ماشا : آه ! جيد ! كلُ العيوب فيك ، أما هي فهي ملاك ...
وبعد ذلك ؟

فيديا : بعد ذلك أنك لطيفةٌ وأناك ولدٌ عزيزٌ ، وأنا أحبُّكِ ،
فاذا عشتُ كنتُ سيئاً لشقائقك .

ماشا : هذا لا يخصك . سأسعى إلى شقائي إن كان ذلك يُعجبني .

فيديا ، متنهلاً : وهناك ، على الخصوص حياتي . أليس واضحاً
أنني ضائعٌ ، لا أصالح لشيء ، عبء على الآخرين وعلى
نفسي ، كما قال أبوك . لا ، أنا لا أصالح لشيء !

ماشيا : ما هذه الحماقات ! أنا لن أتركك أبداً . تعاقبتُ بك
وكفى ! أما تلك الحياة الرديئة التي تعيشها .. الشرب
والتدخين ... أنت حي ! اتركهما - الأمر بسيط جداً .

فيديا : الكلام سهل . . .

ماشيا : اتركهما .

فيديا : عندما أنظر إليك يبدو لي أنني أستطيع أن أفعل ذلك .

ماشيا : ستفعل ذلك ، ستفعل كل شيء . (تشاهد الرسالة) ما هذا؟
كتبتَ إليهما ؟ ماذا قلتَ لهما ؟

فيديا : الذي قاتلتهما . (يأخذ الرسالة ويهم بمزيقها) . لا فائدة
منها الآن .

ماشيا ، تنتزع الرسالة منه : كتبتَ أنك ستقتل نفسك ؟ نعم ؟ لم
تتكلمْ عن المسدس ؟ قاتَ فقط إنك ستقتل نفسك ؟

فيديا : نعم ، قلتَ إنني سأختفي .

ماشيا : هات ، هات ، هات ! هل قرأتَ روايه « ما العمل (١) » .

فيديا : نعم ، أظنّ !

(١) ما العمل : عنوان رواية كتبها الاشتراكي تشيرنيشيفسكي في سنة ١٨٦٤ ، وكانت
مشهورة في زمانها .

ماشيا : الرواية مُمّاة ، لكن فيها شيئاً حسناً . فالبطل ،
ما اسمه ؟ راحميتوف ، يتظاهر بأنه غرق . أتعرف السباحة ؟
فيديا : لا .

ماشيا : أعطني ملابسك ، ومحفظتك .

فيديا : لكن لماذا ؟

ماشيا : انتظر ، انتظر . لنذهب إلى الغرفة ، وهناك تُغيّر ثيابك .

فيديا : لكن هذه كذبة !

ماشيا : لا قيمة لذلك ! لقد سبحت ، وظالت ثيابك على الشاطئ ،
وفي الجيب المحفظة والرسالة .

فيديا : وبعد ذلك ؟

ماشيا : بعد ذلك ؟ سنترك المدينة وسنبداً حياةً سعيدة .

(يدخل ايفان بيتروفيتش) .

المشهد - ٣ -

« فيديا ، ماشا ، ايفان بيتروفيتش » .

ايفان بيتروفيتش ، يشاهد المسدس على الطاولة : عجباً ! عجباً !
والمسدس ؟ ... سأأخذه .

ماشيا : خُذْهُ ، خُذْهُ ! سننصرف !

اللوحة الثانية

في منزل ليزا

المشهد - ١ -

« كارينين ، ليزا ، المرضع » .

كارينين : وعدَ بذلك وعداً صريحاً ، وسيفي بوعده ، أنا واثق من ذلك .

ليزا : أنا خجالة من الاعتراف ، لكن يجب أن أعترف بأنني منذ أن أنشئتُ بحبه للعجربة أحسُّ بأنني حرةٌ تماماً . لا تتصوّر أن هذا من الغيرة ... لكن معرفة ذلك تعني ، بالنسبة إلي ، الحرية . كيف أقول لكم . . .

كارينين : « لكم » أيضاً .

ليزا ، مبتسمة : لك ! لا تقاطعني ، دعني أقول لك ما أحسّ به . ما كان يعدّني هو فكرةُ حبِّ رجلين معاً ، أي أن أكون امرأةً لا أخلاقيةً .

كارينين : أنت ، امرأة لا أخلاقية ! . . .

ليزا : لكن منذ أن علمتُ أنه يحيا مع امرأة أخرى - وأنه مِن ثمَّ لن يحتاج إليّ - غدوتُ حرةً . وأستطيع أن أقول دون كذب : إنني أحبُّك . كل شيء واضح الآن في نفسي ، ولا يبقيني سوى وضعي ، سوى ذلك الطلاق . فهذا الانتظار قاسٍ جداً !

كارينين : اوه ! لن يطول ذلك كثيراً الآن . . . فاضافةً إلى وعده ، رجوتُ أمين سر المجمع الديني أن يمرّ عليه ومعه طاب الطلاق ، وألا يعود قبل أن يحصل على توقيعه . . . الحقيقة أنني لو لم أكن أعرف فيديا معرفة حسنة لظننتُ أنه يتباطأ عن عمله .

ليزا : هو ! اوه ! لا ، هذا هو ضعفه واستقامته في الوقت نفسه . إنه لا يريد أن يقول الأكاذيب . . . لكنك أخطأت حين أرسلتَ إليه النقود . . .

كارينين : لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت ؛ فقد يكون ذلك سبباً للتأخير .

ليزا : ومع ذلك ، ففيما فعلتَ شيءٌ جارح .

كارينين : لا ينبغي أن يكون دقيقاً إلى هذا الحد .

ليزا : كم أصبحنا أنانيّين !

كارينين : نعم ، أعترفُ بذلك ، لكن الغاظة غاظتك . . . فبعد هذا الانتظار ! هذا اليأس ! أحسّ الآن أنني سعيد إلى حد بعيد ! والسعادة تجلب الأنانية . الغاظة غاظتك !

ليزا : لا تظن أنك وحدك سعيد ، فأنا سعيدة أيضاً . السعادة تملأ نفسي ! إنني أعومُ في السعادة . . . فميشا شفي . . . وأماك تُضمر الود لي . . . وأنا أملكُ حبّك . . . وقبل كل شيء . . . أنا أحبك .

كارينين : نعم ، أنت تحبيني ؟ بلا ندم ، ولا رجعة ؟

ليزا : تغير كل شيء في منذ أن أحببتك ، لأن ماضي انتهى
بالنسبة إليك ، كما انتهى تماماً بالنسبة إليّ .

المشهد - ٢ -

« تدخل الموضع ومعها الصبي الذي يذهب إلى أمه . تأخذه وتضعه
على ركبتيها » .

كارينين : يا إلهي ! ما أشقانا جميعاً !

ليزا : لماذا ؟ ...

(تقبل الصبي) .

كارينين : لماذا ؟ دونك السبب : عندما تزوجت وعامت ذلك بعد
عودتي من الخارج ، وأدركت أنني فقدتك ، شقيتُ
بذلك كثيراً ، حتى لقد كان فرحي عظيماً عندما عامتُ
أنك مازلتِ تتذكريني على الأقل ، وكان هذا كافياً لي .
وعندما أصبحنا صديقين فيما بعد ، وكنت رفيقةً بي ،
وأحسستُ أن في صداقتنا شرارةً صغيرة أكثر من
الصداقة ... كنتُ سعيداً تقريباً . الخوف وحده من أن
أكون ليثماً تجاه فيديا كان يعذبني . لكنني كنتُ أشعر ،
في الوقت نفسه ، شعوراً أكيداً بأنني لا يمكن أن أقيم مع
زوجة صديقي علاقات غير علاقات الصداقة ؛ ولا سيما
أنني كنتُ أعرفك ، أنت ... على الإجمال لم يكن ذلك
يُقَاتلني ، وكنتُ مسروراً . وعندما بدأ فيديا يسبب لك
الألم ، وأحسستُ أنني سندك لك وأناك بدأتِ تخشين

صداقتي ، شعرتُ بالسعادة التامة ووُلِدَ فيَّ أملٌ مُبْنُهُمْ .
وعندما أصبح فيديا لا يُطَاق ، بعد ذلك ، وعندما عزمتِ
على تَرْكِهِ ، وعندما كاشفتُكَ لأول مرة بكل شيء
فتركنتني ، والدموعُ في عينيك ، دون أن تقولي لا ،
غمرتني السعادة . ولو أني سُئِلْتُ في تلك اللحظة ، ما الذي
ترغبُ فيه ، لأجبتُ : لا شيء . ثم جاءَ إمكانُ ربط
حياتي بحياتك . فقد أحبتك أُمي ، وبدأتِ رغباتي تبشّر
بالتحقيق ، وقالتِ : إنكِ أحببتيني دائماً وما تزالين ...
ثم قالتِ لي ، ما قاتته قبل هنيهة ، أن فيديا لم يعد موجوداً
إليكِ وأنتِ لا تحبين غيري ... ما الذي أبتغيه أكثر من
ذلك ؟ كلا ، إنني أتعذب الآن من ماضيك ، أود لو
أنه لم يوجد وألا يذكرني به شيء .

ليزا ، لائمةٌ : فيكتور !

كارينين : ساعميني ، يا ليزا ، إن قاتُ لكِ ذلك فاكلي لا تظلي آية
فكرة تخصّصك مخبأةً في نفسي . إنني أكلّمك هكذا عن
عمد لأُرياك كم أنا سيءٌ ، وأعلم أن لا مزيد على هذا
السوء ، وأنني ينبغي أن أجاهدَ ، أجاهد نفسي ، لأتغلب
عابها . أنا الآن مغلوب .

ليزا : هذا ما ينبغي فعلاه ؛ وأنا أيضاً بذلتُ وسعي ، وكل ما
كنتُ ترغبُ فيه قد تحقّق في قلبي خارج إرادتي ؛ اختفى
منه كلُّ شيء ما عداك .

كارينين : كل شيء ؟

ليزا : كل شيء ، كل شيء ... وإلا لما قاتُ لكِ ذلك .

المشهد - ٣ -

« كارينين ، ليزا ، الخادم » .

الخادم : السيد فوسنيسنسكي .

كارينين : إنه يحمل جواب فيديا .

ليزا ، للخادم : أدخلاه .

كارينين ، ناهضاً وذاهباً إلى الباب : وأخيراً ، ها هي ذي الرسالة !

ليزا : معطية الطفل للمرضعة التي تنصرف : هل سيتقرر حقاً كل شيء ؟

(تقبل فيكتور . يدخل فوسنيسنسكي) .

المشهد - ٤ -

كارينين : ماوراءك ؟

فوسنيسنسكي : فيدور فاسيايفيتش لم يكن في غرفته .

كارينين : لم يكن في غرفته ؟ ولم يوقع الطاب ؟

فوسنيسنسكي : لا ، لم يوقعه ، لكنه ترك رسالة لك ولأليزافينا

اندرينفا (يخرج الرسالة من جيبه) . ذهبت إلى غرفته

فقبل لي : إنه في المطعم ، وذهبت إلى المطعم ، فرجاني

فيدور فاسيايفيتش أن أعود بعد ساعة ليُعدّ الجواب .

عُدّت وها هو الجواب .

كارينين : ما يزال يؤجّل ؟ أعذاراً أخرى ! ليس هذا حسناً ، في

الحقيقة ! كم سقط !

ليزا : لكن اقرأ ! ماذا كتب ؟

(يفتح كارينين الرسالة) .

فوسيسنسكي : لم تعودوا بحاجة إليّ ؟

كارينين : لا ، إلى اللقاء . أشكرك .

المشهد - ٥ -

ليزا : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

كارينين : هذا فظيع !

ليزا ، تحاول أن تنتزع الرسالة منه : اقرأ !

كارينين ، يقرأ : « ليزا وفيكتور . أخاطبكما كايكما . لا أريد أن أكذب بقولي لكما : عزيزي وحبيبي . فاستُ أستطيع التغلب على الشعور بالمرارة واللوم - اللوم لنفسي ، وهو لوم مؤلم مع ذلك عندما أفكر فيكما ، في حبكما ، وفي سعادتكما . إني أعرف كل شيء ، وأعلم جيداً ، وأنا الزوج ، أنني كنت أحول بينكما وبين السعادة ، بقوة الأشياء . أنا الذي كنتُ الدخيل المتطفل . على أنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإحساس بالبرودة والمرارة لئاءكما . وأنا ، نظرياً ، أحبكما كايكما ، وخاصة ليزا ، صغيرتي ليزا ، لكني ، في الواقع ، شديد اللامبالاة . وأعلم أنني مخطئ . لكن لا حياة لي في ذلك . »

ليزا : ماذا يريد أن يقول ؟ إلى أين يُريد أن يصل ؟

كارينين ، يتابع القراءة : « لكن ، لينأت إلى لب الموضوع . إن

هذا الازدواج الداخلي أُجبرني على أن أحقق رغبةكما بطريقة أخرى غير التي اقترحتها عليّ . إن الكذب والتمثيل الغبي ، برشوة مستخدمي المجمع الديني ، كل هذه الندالة تثير اشمزازي . ومهما أكن تعساً ، فأنا تعسٌ على نحوٍ آخر ، أما هذه الفضيحة الشائنة فاني لا أستطيع أن أشارك فيها ، لا أستطيع حقاً . والحلّ الآخر الذي توصّلت إليه هو الأبسط . تريدان أن تتزوجا لتغدوا سعيدين ، وأنا أحول بينكما وبين الزواج ، إذن يجب أن أزول . . .

ليزا ، ممسكة بيد كارينين : فيكتور !

كارينين ، يقرأ : « يجب أن أزول ، وها أنا ذا أزول . فعندما تصابكما هذه الرسالة أكون قد قضيتُ . — حاشية : أسفتُ كثيراً لأنكما أرساتما لي المال من أجل نفقات الطلاق ، كان ذلك جارحاً وغير متوقع من قبلكما . لكني . . . ارتكبت كثيراً من الأخطاء ، فمن المسموح لكما أن ترتكبا هذا الخطأ . ستُعاد إليكما نقودكما . والحل الذي اخترته أسرع وأرخص ، وهو أيضاً أبسط وأوثق . لا أطالب منكما إلا شيئاً واحداً : لا تحقدا علي ولا تُسيئا الظنّ بي . وهذا الشيء أيضاً : أعرف ساعاتياً يُدعى « ايفغينييف » ، هل يمكنكما أن تمداً إليه يدّ العون . هو ضعيف لكنه رجل مستقيم . الوداع . فيديا » .

ليزا : قَتَلَ نفسه !

كارينين ، « قارعاً الجرس وراكضاً إلى غرفة الانتظار : أرجعوا
السيد فوسنيسنسكي !

ليزا : كنتُ أعلمُ ذلك ، كنتُ أعلمُ ذلك ! فيديا ، يا عزيزي
فيديا !

كارينين : ليزا !

ليزا : غير صحيح ، غير صحيح ، أني لم أكنُ أحبّه وأنني
لا أحبّه ، كنتُ أحبّه وما أزالُ أحبّه ! وأنا التي قتلتُه !
(يدخل فوسنيسنسكي) .

كارينين : وأين فيدور فاسيليفيتش ؟ ماذا قيلَ لك ؟

فوسنيسنسكي : قيل لي إنه خرج صباحاً ولم يعدْ .

كارينين : يجب أن تستعلم على الفور . أتركاكِ ، يا ليزا .

ليزا : سامحني ! وأنا لا أعرفُ الكذبَ أيضاً ... اذهبْ بسرعة
واسعَ لمعرفة ما حدث .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« صالة مطعم مريب . طاولة وحولها زُبُنٌ يشربون الشاي وماء الحياة . في المقدمة ، طاولة يجلس إليها فيديا ، خائر القوى ، رث الثياب . وبقربه يجلس بيتوشكوف ، وهو رجل يقظ ووديع ، شعره طويل ، حالم الهيئة . كلاهما مثل "قايلاً" .

المشهد - ١ -

« فيديا ، بيتوشكوف ؛ ثم آرتميف » .

بيتوشكوف : فهمتُ ، فهمتُ ! ... ها هنا الحب الحقيقي . وهي ؟
فيديا : لو ظهرت هذه العواطف عند فتاة من عالمنا ، فتاة تضحتي بكل شيء من أجل الرجل الذي تحبه ! ...
لكنها ظهرت عند غجرية تربتْ على التفكير في الربح وحده حب مجرد من المنفعة ! إنها تعطي كل شيء ولا تطلب شيئاً هذا التناقض هو المدهش ! . . .

بيتوشكوف : نعم ، هذا ما يُسمّى في التصوير نسبة الأضواء والظلال : فأكبري نحصل على الأحمر القاني ، ينبغي أن نضع اللون الأخضر حوله . لكن ليس هذا هو الموضوع ... فهمتُ .

فيليا : يبدو لي أن هذا هو العمل الصالح الوحيد الذي عماته ...
العمل الذي وضعتُ فيه روحي ؛ لم أستغل حبّها .
أتعلم لماذا ؟

بيتوشكوف : لماذا ؟ بدافع الشفقة ؟

فيليا : اوه ! لا ، لم أكن أحسُّ بالشفقة نحوها ، بل بالإعجاب
دائماً . وعندما كانت تغني ، كما تغني الآن على الأرجح ،
كنت مفتوناً بها . لم أشأ أن أجبرها إلى السقوط لأن حبي لها
كان حقيقياً وقوياً ! وتلك ذكرى عذبة الآن ، ذكرى
عذبة جداً .

(يشرب)

بيتوشكوف : اوه ! فهمت ! ... كان حباً مثالياً ! ...

فيليا : اصغر إلى ما سأقوله لك ... وقعت لي في حياتي أهواء .
عشقتُ امرأةً جميلة ، ذات مرة ، عشقاً شديداً ، وعشقاً
حيوانياً ... ضربتُ لي موعداً فلم أذهب إليه لأنني لم أشأ
أن أتصرف بنفالة مع زوجها . والمدُّهش الآن ، أنني
عندما أفكر في ذلك قاصداً السرور لأنني تصرفتُ بأمانة ،
أشعرُ بالندم ، كما أندم على الخطيئة ... أما مع ماشا
فالامر على عكس ذلك . . . أنا سعيد ، وفرحٌ لأنني لم
أدنس عاطفتي . قد أسقط سقوطاً أكبر إلى الحضيض ،
وقد أبيع نفسي ، وقد يغطيني القمل والجرب ، لكن هذه
الجوهرة ستأتمتع أبداً ، إن شعاع الشمس فيَّ .

بيتوشكوف : وماذا تفعل هي الآن ؟

فيديا : لا أدري ولا أريد حتى أن أعرفه ! كل ذلك ينتمي إلى حياة أخرى لا أريد أن أقرنها بحياتي الحالية .

(تَسْمَعُ ، في صدر المسرح ، على طاولة ، صرخات امرأة .
يأتي صاحب المطعم مع شرطي يقتادها : يجاس فيديا
وبيتوشكوف وينظران ويستمعان وهما ساكتان) .

بيتوشكوف ، بعد أن عاد الهدوء : اوه ! حياتك مذهشة !

فيديا : لا ، إنها بسيطة ! ... فأمانا جميعاً ، في وسطنا ، في الوسط الذي وُلدتُ فيه ، ثلاث طرقٍ فقط . الطريق الأولي أن يصبح المرءُ موظفاً ، وأن يربح المال وأن يزيد من ديانة الوسط الذي يحيا فيه ؛ وكنت أعاف ذلك ! ولعلي لم أكن قادراً على المضي في هذه الطريق ؛ لكنني كنتُ أعاف ذلك قبل كل شيء . الطريق الثانية هي الطريق التي نحارب فيها تلك الديانة ؛ ولا بدّ من أجل ذلك أن يكون المرءُ بطلاً ، ولستُ ببطلٍ . بقيت الطريق الثالثة وهي : الشربُ والتهتّكُ والغناء ؛ وهذه هي الطريق التي اخترتها وأنتَ ترى إلى أين قادّني ! ...

(يشرب) .

بيتوشكوف : والزواج ؟ لو كان لي امرأة صالحة لكنتُ سعيداً . .
لقد دمّرتُ امرأتي حياتي .

فيديا : الزواج ! كانت زوجتي مثاليةً . وما تزال حيّةً . لكنّ ماذا أقول لك . أتعرف العنب الصغير الذي يوضع في شراب التفاح ليغدو فوّاراً ... كان غائباً ، لم يكن في حياتنا فوراً ...

كنت بحاجة إلى النسيان ؛ ثم بدأت بارتكاب التذلات .
أنت تعلم أننا نحب الآخرين بمقدار إحساننا إليهم ، وأننا
نكرهم بمقدار إساءتنا إليهم . وأنا قد أسأت إليها !
أما هي فيبدو لي أنها كانت تحبني .

بيتوشكوف : لماذا يبدو لك ؟

فيديا : أقول هذا لأنه لم يكن فيها شيء " بهز روجي كما هو
الحال مع ماشا . وشيء " آخر : هو أنها كانت حاملاً
وكانت تغذي ابنها ، وكنت أخرج من البيت وأعود
ثملاً . وبقينا أن حبي كان يتناقص شيئاً فشيئاً من أجل
ذلك . (بنشوة) . نعم ، الأمر كذلك ، وأنا أراه بوضوح .
وإذا كنت أحب ماشا فلأني أحسنت إليها ولم أسيء ! ...
الأمر كذلك ، ولذلك أحبها . أما الأخرى ، فقد عذبتها ،
لا لأنني لا أحبها ... بل ، لأنني لا أحبها . كنت أغار ،
صحيح ، لكن الغيرة سرعان ما زالت .

المشهد - ٢ -

« فيديا بيتوشكوف ؛ ارتيميف يدنو ؛ شاربه مصبوغ ، عقدة
تزيينية ؛ ثيابه قديمة ومرقعة » .

ارتيميف : طابت شهيتكما ! (يحيتي فيديا) . هل تعرفت إلى
الفنان ، الرسّام ؟

فيديا ، ببرودة : نعم ، تعرفت إليه .

ارتيميف ، لبيتوشكوف : وهل انتهيت من رسم الصورة ؟ ...

بيتوشكوف: لا ، ذلك لم يتم .

ارتيميف : ألم أضايقكما ؟

(يظل فيديا وبيتوشكوف صامتين) .

بيتوشكوف: كان فيدور فاسيايفيتش يقصُّ عليَّ حياته .

ارتيميف : أسرار ؟ . . . ينبغي ألاَّ أضايقكما . تابعنا ، فاستُ

بحاجة إليكما . ختير ان !

(يذهب إلى طاولة مجاورة ويطلب جعة . وهو يصغي ، طوال

الوقت ، إلى الحديث بين فيديا وبيتوشكوف ، مصيخاً بأذنه إليهما) .

فيديا : لستُ أحبُّ هذا الرجل

بيتوشكوف: جَرَحَنَاهُ .

فيديا : سيان عندي ! ذلك أقوى مني ، لا أستطيع الكلام بحضور

إنسان مثل هذا ؛ أما معاك فالأمر مختلفٌ . ماذا كنتُ

أقول ؟

بيتوشكوف: كنتَ تقول لي : إنك كنتَ تغار . فكيف انفصلتَ

عن زوجتك .

فيديا : آه ! (متفكراً) . قصةٌ غريبة . امرأتِي تزوّجت .

بيتوشكوف: هل تمّ الطلاقُ بينكما ؟

فيديا : لا ! (يبتسم) . إنها أرملتي .

بيتوشكوف: آوه ! وكيف ذاك ؟

فيديا : صحيح ، أرملتي ؛ أنا غير موجود .

بيتوشكوف: لكن هذا مستحيل .

فيديا : بلى ، أنا جنة . (يميل ارتيميف إليهما ويصغي بانتباه أكبر) . أستطيع أن أقصّ عليك أنت قصتي . على كل حال ، مضى زمنٌ بعيد على ذلك ، وأنت لا تعرف كنتي الحقيقة فاسمع ما جرى لي : عندما أحنقتُ امرأتي ، وعندما بددتُ كل ما كنتُ أملك وصرْتُ شخصاً لا يُطاق ، جاء إلى زوجتي حامٍ يحميها . لا تتصور شيئاً من الدناءة في ذلك . لا ، كان صديقاً لي ، كان رجلاً ممتازاً ، مناقضاً لي من كل الوجوه . وكما أن في من السوء أكثر مما في من الجودة ، كان هو رجلاً مستقيماً ، حازماً ، منظماً ؛ كانت كل الفضائل فيه . كان يعرف زوجتي ويحبها منذ الطفولة ، وعندما تزوجتني رضيَ بنصيبه ... لكن عندما صرتُ شقياً فيما بعد ، وحماتُها ما لا يطاق من الألم ... صار يكثر من تردده على البيت ؛ أنا نفسي كنتُ أجذبه إليه . وأخذتُ زوجتي تحبُّ صديقها القديم ؛ في هذه اللحظة ، سقطتُ في الحضيض ، وأنا الذي تركتُ زوجتي ... ثم جاءت ماشا ، وأنا نفسي الذي اقترح عليهما الزواج ؛ لم يَرْضيا ، وازددتُ سوءاً وصرْتُ لا أطاق ، وانتهى الأمرُ بـ ...

بيتوشكوف: كما ينتهي دائماً .

فيديا : لا ، أنا على يقين من ذلك . أعرف ذلك فعلاً ، لقد بقيا نقيين . فهو رجلٌ متدينٌ يعتبرُ الزواج بدون مباركة

الكنيسة خطيئة . إذن رغبا في الزواج وطلبا موافقتي .
 كان ينبغي لي أن أتحمل مسؤولية الخطأ وأن أمرّ بكل تلك
 الأكاذيب ، فلم أستطع . أتصدق أن قتل نفسي كان
 أسهل عليّ من الكذب ! وكدت أقدمُ على ذلك لولا أن
 صديقا عطوفاً قال لي : وما جلوي ذلك ؟ حينذاك رتبنا
 الأمور . أرسلتُ رسالة وداع ، وفي اليوم التالي وُجدتُ ،
 قرب النهر ، ثيابي ومحفظتي ورسائي ... وبما أنني لا
 أحسنُ السباحة ...

بيتوشكوف: والجنة ؟ فيما أنه لم يُعثرَ عليها ؟

فيديا : تبسّروا أنهم عثروا عليها . لقد عثروا بعد أسبوع على جسم
 ما . . . ورجوا زوجتي أن تأتي لتفحصه ... كان الجسم
 مشوهاً ... فالقت عليه نظرة : « أهذا هو ؟ ... نعم
 هذا هو » . وظلّ كل شيء هنا . وقد تزوجا وهما
 يعيشان الآن سعيدين جداً . أما أنا ، فكما تراني ، أحيا
 وأشرب . البارحة بالذات ، مررتُ بالقرب من منزلهما .
 كانت النوفد مضيئةً ... ومررتُ على الستائر ظلّ امرأة ...
 ذلك قاسٍ أحياناً ... وأحياناً أخرى تكون الأمور مقبولة ...
 لكن أفسى ما في الأمر أن أخلو من النقود .

(يشرب) .

اريميف ، يذنب : عفواً ... سمعتُ قصتك ... وهي قصةٌ مثيرةٌ
 جداً ، في الواقع ، ونافعةٌ على الخصوص ... قلت قبل

قليل أن أقسى ما في الأمر أن يخلو المرء من النقود .
لكنك أنت ، في وضعك الحالي ، لا ينبغي أن تخلو من
المال . لأنك جثة ... ما رأيك ؟

فيديا : اسمع ! أنا لم أحدثك أنت ! ... ولا حاجة بي إلى
نصائحك .

ارتيمييف : لكنني حريصٌ على أن أقدم لك هذه النصائح . أنت
جثة ، لكن بما أنك حيّ فما وضع السيدة زوجتك والسيد
الآخر اللذين يعيشان سعيدين ؟ إنها متروجة بأكثر من
زوج ، وأقل ما يصيبهما أن يُنفيا إلى سيبيريا . لماذا
إذن تخاو من المال ؟

فيديا : أرجوك أن تدعني وشأني .

ارتيمييف : اكتب إليهما رسالةً فقط ، أو بالأحرى دعني أكتب
إليهما ... أعطني العنوان ... ولن تنساني بعد ذلك .

فيديا : أقول لك مرةً أخرى ، انصرف ، فأنا لم أقل لك شيئاً .

ارتيمييف : لا ، لقد قلت ذلك بصوت مرتفع ؛ هذا شاهد . لقد
سمعتك الخادمُ تقول : إنك جثة .

الخادم : لم أسمع شيئاً .

فيديا : يا نذل

ارتيمييف : أنا ، نذل ؟ . يا شرطي ! المحضر ! ...

(ينهض فيديا ويهم بالانصراف . يوقفه ارتيمييف . يصل الشرطي .)

اللوحة الثانية

« في الريف ؛ سطح مغطى بالبلاب » .

المشهد - ١ -

آنا دميتريفنا ، ليزا (حامل) ، ميسا ، المريض .

ليزا : وصل القطارُ . وسيصلُ بعد هينهة .

ميسا : مَنْ الذي سيأتي ؟

ليزا : بابا .

ميسا : بابا سيأتي .

ليزا : غريب كم يحبه . . . تماماً كأبيه .

آنا دميتريفنا : أحسن . وهل يتذكّر أباه الحقيقي ؟

ليزا ، متنهدة : لم أقل له الحقيقة بعد . فتارة أرى أنني لا ينبغي أن

أخبره بذلك ، وتارة أخرى أظن أنني ينبغي أن أقول له

كل شيء . ما رأيك ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : أعتقد ، يا ليزا ، أن المسألة مسألة عاطفة . اصغي إلى

قلبك ، وسيقولُ لك كيف ومتى تتكلمين . غريب كم

يُهدىء الموت ! جاء وقتٌ بدا لي فيه فيديا الذي كنت

أعرفه منذ الصغر ، كريباً . أما الآن ، فأنا أتذكّره كما

أتذكر شاباً فاتناً ، صديقاً لفيكاتور ، مشوبّ العاطفة ،

ضحى بحياته في سبيل من يُحب ، وإن عمل ضد القانون

والدين . ومهما يُقَل ، فإن عماله نبيل ! أرجو ألا ينسى

فيكتور أن يأتيني بالصوف . لقد نفذ ما عندي منه .

(تحريك) .

ليزا : ها هو ذا يصل (يُسْمَع صوت العجلات والأجراس ،
تنهض وتقترب من حافة السطح) . مَنْ معه ؟ الملح قبعة
امرأة في العربة ! ... آه ! ماما ! مضى دهرٌ ولم أركِ .
(تتجّه إلى الباب . يدخل كارينين وأنا بافلوفنا) .

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، ثم كارينين وأنا بافلوفنا » .

آنا بافلوفنا ، مقبلةً ليزا وأنا دميتريفا : لقيتني فيكتور وجاء بي
معه :

آنا دميتريفا : أحسنَ صنعاً .

آنا بافلوفنا : رأيتُ فيكتور في الشارع ، فقامتُ في نفسي : هذه مناسبة
لزيارتهم ، هذه الزيارة التي طالما أجتأتها » . وها أنا قد
جئتُ . وإذا لم تصرفوني فسأبقى حتى قطار المساء .

كارينين ، مقبلاً زوجته وأمه وميشا : اوه ! ما أعظم سعادتي !
هنتوني . لا حاجة بي إلى الذهاب إلى المدينة غداً .

ليزا : ما أحسن هذا ... يومان ! هذا لا يحدث كثيراً ! سنقوم
برحلة صغيرة إلى الدير ، أتريد ؟

آنا بافلوفنا ، تنظر إلى الطفل : ما أشبهه بأبيه ! وما أقواه ! بشرط
ألا يرث عن أبيه غير القاب ! ...

آنا دميتريفا : لا ضعفه ! ...

ليزا : كل شيء كل شيء ! فيكتور من رأيي أيضاً . لو أن أباه
لقي فقط التوجيه الحسن منذ الطفولة .

آنا بافلوفنا : لا أفهم ما تقولينه . لكنني كلما أستطيع التفكير فيه دون أن أبكي .

ليزا : ونحن كذلك . كم عَظُمَ في ذاكرتنا !

آنا بافلوفنا : لا شك في ذلك .

ليزا : كيف بدا ذلك كله ، في لحظةٍ من اللحظات ، مستعصياً على الحل ، وكيف حُلَّ ذلك كله فجأةً .

آنا دميتريفنا : هل حَمَلَتِ صَوْفاً معك ، يا فيكتور ؟

كارينين : طبعاً ، حماتُ كل شيء (يأخذ الكيس ويُضْرِغُه) .

هو ذا الصوف ، وماء الكولونيا ، والرسائل . وهذه

رسالةٌ من المحكمة لك (يمد إليها الرسالة) . حسناً !

سأقودك إلى غرفتك ، يا آنا بافلوفنا . ويجب أن أنظّف

نفسي قبل العشاء . ليزا ، أليست الغرفة التي تحت ، في

الزاوية ، هي التي ينبغي أن نعطيها آنا بافلوفنا ؟ (ليزا

تتناول الورقة وتقرأ ، وهي ممتعة ، مرتجفة اليدين) .

ليزا ، ما بك ؟ ما هذه الورقة ؟

ليزا : آوه ! ياإلهي ! هو حي ! متى سألتخص منه ؟ ما معنى

هذا ، فيكتور ؟

(تنتحب) .

فيكتور ، يأخذ الورقة ويتصفحها : هذا فظيع !

آنا دميتريفنا : ماذا ؟ قل لي .

فيكتور : هذا فظيع . هو حي . وهي متزوجةٌ من اثنين . وأنا

مجرم . هذا أمر من قاضي التحقيق يُنلر ليزا بالمثل بين
يديه .

آنا دميتريفنا : يا له من رجل رهيب ! لمَ فَعَلَ ذلك ؟

فيكتور : كل شيء كذبٌ ... كذبٌ ...

ليزا : اوه ! كم أكرهه ! لم أعد أعام ماذا أقول .

(تخرجُ باكية . يتبعها كارينين) .

آنا بافلوفنا : لكنْ كيف ظلَّ حيًّا ؟

آنا دميتريفنا : كنت أعام جيداً ، منذ أن اختلط فيكتور بهؤلاء الناس ،

أنهم سيجرّونه إلى الوحل . وقد حدث ما توقّعتُه .

كل شيء كذب ، كذب .

ستار

الفصل السادس

اللوحة الأولى

مكتب قاضي التحقيق

المشهد - ١ -

« القاضي ، ميلنيكوف ، أمين السر » :

« القاضي يجاس إلى طاولته ويتحدث هو وميلنيكوف . أمين السر يجاس إلى جانبه مستغرقاً في أوراقه » .

القاضي : لكنني لم أقل لها قط شيئاً من هذا القبيل . هي التي اخترعت ذلك ، وهي التي تُنحني عليّ باللائمة !

ميلنيكوف : هي لا تاومك على شيء . وإنما هي حزينة .

القاضي : هيا ، سآتي للعشاء . والآن عندي قضية مثيرة للاهتمام ، وعليّ أن أحقق فيها . (لأمين السر) أدخائهما

أمين السر : الاثنين معاً ؟

القاضي : يلقي بسيجارته : لا ، السيدة كارنين وحدها ، أو على الأصح ، السيدة بروتا سوف ، باسم زوجها الأول .

ميلنيكوف ، وهو منصرف : عجباً ، أهي السيدة كارنين ؟

القاضي : آه ! هذه قضية قنرة ... ما تزال في بدايتها ، لكنها تبدو سيئة . والتحقيق فيها كريحه . هيا .

« القاضي ، تدخل ليزا في ثوب أسود ، وعلى وجهها نقاب » .

القاضي : تفضلي بالجلوس . (يشير إلى كرسي) . صدقي أنني آسف كثيراً لاضطراري إلى استجوابك ، لكنه واجبي . لا تضطربي واعلمي أن لك الحق المطلق ألا تُجيبني عن أسئلتني . ومع ذلك فانا مقتنع بأن من الخير لك وللآخرين جميعاً أن تقولي الحقيقة ببساطة . هذا أفضل دائماً وأيسر .

ليزا : ليس عندي ما أخبئته .

القاضي : حسن . (ينظر إلى أوراقه) . كتبتُ من قبل اسمك وصفتك ودينك . انظري إن كان ذلك صحيحاً ؟

ليزا ، تقرأ الورقة ؛ نعم .

القاضي : أنت متهمة بأنك تزوجت رجلاً آخر ، مع أن زوجك حي ، وأناك تعلمين ذلك .

ليزا : ما كنتُ أعلم أن زوجي حي .

القاضي : أنت متهمة أنك حرّضت بالمال زوجك على التظاهر بالانتحار من أجل التخاصم منه .

ليزا : كل هذا غير صحيح .

القاضي : اسمحي لي إذن أن أطرح عليك بعض الأسئلة . هل أرسلت في شهر تموز من العام الماضي ألفاً ومائتي روبل لزوجك ؟

ليزا : هذا المال ملكه لأنه جاء من بيع أغراضه . أرسلته إليه عندما افترقنا . وكنت أنتظر الطلاق إذ ذاك .

القاضي : لتقبل بذلك . أرسل هذا المال في ١٧ ، أي قبل اختفائه بيومين .

ليزا : من الممكن أن يكون ذلك في ١٧ ؛ لست أذكر .

القاضي : لماذا سحبت طاباك من المجمع الديني ورفضت خدمات حماميك ، في تلك اللحظة ، وفي آن واحد ؟

ليزا : لا أدري . . .

القاضي : طيب ، عندما دعيت الشرطة إلى رؤية الجثة ، كيف جرى أن عرفت أنها جثة زوجك .

ليزا : كنت مضطربة اضطراباً شديداً حتى إنني لم أكد أرى ... ثم إنني كنت مقتنعة بأنه هو ، وعندما سُئلت أجبت أنه يبدو لي ذلك .

القاضي : نعم . . . لم تنظري إليه جيداً بسبب انفعالك ، وهو أمرٌ سهل فهمه ، على كل حال . جيد . لكن أتريدين أن تقول لي لماذا ظلمت ترسلين في كل شهر مبالغاً من المال إلى ساراتوف ، وهي بالضبط المدينة التي كان يعيش فيها زوجك ؟

ليزا : زوجي هو الذي كان يرسل هذا المال ، ولا أستطيع أن أعين لك الجهة التي ينهب إليها ؛ ليس هذا سرّاً من أسراري . لكن هذا المال لم يكن مُرسلاً إلى فيدور ،

فاسيليفيتش . لأننا كنا واثقين من أنه ميت . أستطيع أن
أؤكد لك ذلك .

القاضي : جيد . اعلمي ، يا سيدتي ، أننا وإن كنا خدّام القانون ،
فنحن بشرٌ مع ذلك ، وصِدَّقِي أنني أفهم جيداً وضعك
وأشاركك مصاباك . كنت مرتبطة برجلٍ يُبدّد ثروته ،
ويخدعك ، ويحرق الشقاء على . . .

ليزا : كنتُ أحبه .

القاضي : نعم ، لكن من الطبيعي مع ذلك أن تكوني قد أردتِ
التخلص منه مختارةً هذه الوسيلة البسيطة جداً ، دون أن
يخطر لك أنها تقودك إلى ما يُعتبرُ جريمةً : إلى الزواج
بائنين . . أنا أفهم ذلك ، وأنا مقتنعٌ بأن هيئة التحكيم
تفهم أيضاً . . . ولذلك أنصحك أن تعترفي بكل شيء .

ليزا : ليس لديّ ما أعرفُ به . . . ولم أكذب قط . (تشرع
في البكاء) . ألم تعدّ بحاجة إليّ ؟

القاضي : أطلبُ إليك أن تَبْقِي لحظةً أخرى . آوه ! لن أضايقك
بأسئلتني . تفضلي واقريّ شهادتك ووقعي عليها . وانظري
هل حرّرتِ أجوبتك تحريراً صحيحاً . . . اجاسي هنا . . .
(لأمين السر) . أدخل السيد كارينين .

(يدخل كارينين وقوراً ، رسمياً) .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، كارينين » .

القاضي : تفضل بالجاوس ، أرجوك .

كارينين ، واقفاً : ماذا تريد مني ؟

القاضي : أنا مُضطرٌّ إلى استجوابك .

كارينين : بأية صفة ؟

القاضي ، مبتسماً : أنا بصفتي قاضي التحقيق ؛ أما أنت فيجب أن
أخذ شهادتك بصفتك متهماً .

كارينين : متهماً بماذا ؟

القاضي : بعقد الزواج مع امرأة متزوجة . . . على كل حال ،
اسمح لي أن أطرح عليك الأسئلة بترتيبها ، اجاس .

كارينين : شكرآ .

القاضي : اسمك ؟

كارينين : فيكتور كارينين .

القاضي : صفتك ؟

كارينين : حاجب في البلاط الامبراطوري . مستشار دولة حالي .
ثمانية وثلاثون عاماً .

القاضي : دينك ؟

كارينين : اورثوذكسي . لم أكن متهماً أو ظنياً قط . وبعد ذلك ؟

القاضي : أكنت تعلم أن فيدور فاسيايفيتش كان حياً عندما عقدت
الزواج مع امرأتك ؟

كارينين : لا ، لم أكن أعلم . كنا مقتنعين نحن الاثنين بأنه غرق .

القاضي : لمن كنت ترسل المال كل شهر إلى « ساراتوف » ، بعد
موت بروتاسوف المزعوم ؟

كارينين : لا أرغبُ في الجواب عن هذا السؤال .

القاضي : جيد . ما الغاية من إرسال ألف ومائتي روبل إلى السيد بروتاسوف في ١٧ تموز ، قبل تمثيلية موته بالضبط ؟

كارينين : هذا المال سأتحتني إياه زوجتي .

القاضي : السيدة بروتاسوف ؟

كارينين : سأتحتني إياه زوجتي ليرُسلَ إلى زوجها . كانت تعتبر هذا المال مأكلاً له وترى من غير العدل أن تحتفظ به بعد أن قطعت كل علاقاتها بزوجها .

القاضي : سؤالُ أيضاً . لماذا أوقفت مساعيك للحصول على الطلاق ؟

كارينين : لأن فيدور فاسيليفيتش تكفل بذلك كما كتب لي .

القاضي : هل احتفظت بهذه الرسالة ؟

كارينين : لا ، أضعتها .

القاضي : من الغريب أن كل ما يمكن أن يُقنع القضاء بصحة شهادتكما ضائع أو غير موجود .

كارينين : ماذا يلزمك أيضاً ؟

القاضي : يلزمني أن أقوم بواجبي ، وأنت يجب أن تُبريء نفسك .

لقد نصحتُ السيدة بروتاسوف قبل قليل بما أنصحك به الآن ، أي ألا تخفي ما هو واضح بالنسبة إلى الجميع ، وأن تروي كيف جرت الأمور ؛ أحثك على ذلك ، ولا سيما أن السيد بروتاسوف هو في وضع اعترف فيه

بكل شيء وأذه سيكرّر الحقيقة أمام القضاة . أنصحك
إذن . . .

كارينين : وأنا أنصحك أن تظلّ ضمن حدود وظيفتك . أما
نصائحك فأنا في غنى عنها . أنستطيع الذهاب ؟
(يقترب من ليزا ويمسك ببلعائها) .

القاضي : أنا آسف لاضطراري إلى احتجازكما (كارينين يلتفت
بدهشة) . اوه ! لا في حالة توقيف ، لا ... ومع أن هذا
التدبير يُسهّل البحث عن الحقيقة إلا أنني لا أريدُ أن
أُلجأ إليه . أرغب فقط أن أستجوب ، بحضوركما ، السيد
بروتاسوف وأقاباكما به ، لكي يسهل عليكما إقناعه
بكذبه . اجلسا ، أرجوكما . (لأمين السر) . ادعُ السيد
بروتاسوف .

(يدخل فيدور ، وسخاً ، خائر القوى تماماً) .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، وفيديا »

فيديا ، ملتفتاً إلى ليزا وكارينين : اليزافيتا اندريفنا ... فيكتور
ليست الغلطة غلطتي ... أردتُ أن أحسن صنعاً ... وإذا
كنتُ أسوء إليكما ... فسأعاني ... سأعاني ...
(ينحني كثيراً أمامهما) .

القاضي : أرجوك أن تجيب عن أسئلاتي .

فيديا : أسأل .

القاضي : اسمك ؟

فيديا : لكنك تعرف اسمي .

القاضي : أرجوك أن تجيب .

فيديا : فيدور بروتاسوف .

القاضي : صفتك ، دينك ، سنك ؟

فيديا ، بعد صمت : ألا تستحي من سؤالني عن هذه الحماقات ؟
أسألني عن شيء نافع لا عن هذه البلاهات .

القاضي : أرجوك أن تكون أكثر تحفظاً في عباراتك وأن تجيب عن أسئلتني .

فيديا : إذا كنت لا تحب أن تعلم ذلك ، فهذا هو الجواب :
الصفة ، مُجاز ، العمر ، أربعون عاماً ، الدين ، ارتوذكسي
... ثم ماذا ؟ ...

القاضي : هل كان السيد كارينين وزوجتك يعلمان أنك حي عندما
اختفيت ، بعد أن تركت ثيابك على حافة النهر ؟

فيديا : لا ، بالتأكيد ... كنت أنوي ، في الواقع ، أن أقتل
نفسي ، لكن بعد ذلك ... على كل حال ، ما الفائدة
من حكاية ذلك كله ... المهم أنهما لم يكونا يعلمان أنني
حي .

القاضي : لم قلت عكس ذلك لضابط الشرطة ؟

فيديا : أي ضابط شرطة ؟ ... آه ! عندما جاء إلى الملاجئ الليلي ؟
... كنت سكران وكنت أكذب ... لا أذكر ما قلت ...

كل ذلك ... كان هزلاً ... وأنا الآن لستُ سكران ،
وأنا أقول الحقيقة . لا ... أقسم لك أنهما لم يكونا يعلمان شيئاً
كانا يظنّانني ميتاً وكنتُ مسروراً بذلك . كان الأمر سيظل مجهولاً لولا هذا الذئب آرتيمييف الذي وشى بي ...
وإذا كان ثمة من مجرم فهو أنا ، أنا وحدي .

القاضي

: أفهمُ أنك تريد أن تظهر بمظهر الكريم ، لكن القانون يتطلب الحقيقة ... لم أرسلوا إليك المال ؟ (يسكت فيديا) . أكنت تتأقّى المال بواسطة إيغفينييف في ساراتوف ؟ (يسكت فيديا) . لم لا تجيب ؟ سنضع في المحضر أن الظنين لم يجب عن هذه الأسئلة . وهذا قد يضرُّ بك وبها . ماذا قررت إذن ؟

فيديا ، بعد صمت : كيف لا تستحي ، يا سيدي القاضي ... لماذا تتدخل في حياة الآخرين ... أنت مسرور لأنك في السلطة ، وتستغل ذلك لتعذب ، جسدياً ونفسياً ، أناساً هم أفضل منك ألف مرة وأجدر بالاحترام .

القاضي : أرجوك ...

فيديا : لا فائدة من الرجاء ، سأقول لك ما أفكر فيه . (لأمين السر) . وأنت ، اكتب . فلأول مرة سيعوي محضرٌ كلاماً معقولاً . (يرفع صوته) . كان في العالم ثلاثة أشخاص أنا ، هو ، هي . كانت علاقتهما معقدة ، كانت صراعاً بين الخير والشر ، صراعاً أخلاقياً لا يمكنك أن تكون لنفسك فكرة عنه . وقد انتهى هذا الصراع

بوضع حلّ كلّ شيء ، وكان برداً وسلاماً علينا جميعاً .
 فقد أصبحا سعيدين ، يحب كل منهما الآخر ، وقد
 نسياني . وأصبحت أنا ، في سقوطي ، سعيداً لأنني أحسنتُ
 صنعاً ، ولأنني ، أنا ، ذلك الشقي ، قد اختفيت لكي لا
 أضايق اللذين يفيضان حياةً ويعيشان حياةً شريفة ؛
 وبالاختصار ، كنا جميعاً نحيّا . وإذا بشقيّ يصل ، تصاب
 يطاب مني أن أشارك في السمسرة ؛ فأطرده ... حينذاك
 توجه إليّك ، أنت المدافع عن العدل ، وحامي الأخلاق .
 وأنت الذي يقبض بعض الفأوس عن كلّ من أعمالك
 القذرة ، ترتدي بزّتك وتحدّانا ، وأنت خليّ القلب ،
 تتحدّانا نحن الذين لا تستحق أن تفكّ سيور أحديتهم ،
 نحن الذين لا نقبّاك في مداخل بيوتنا ! . . . لكنك في
 الوضع الذي يُتيح لك إبداعنا ، وأنت مسرور

القاضي : سامر بطردك .

فيديا : لست أخشى أحداً ، لأنني لست سوى جثة . وليس بوسعك
 أن تفعل شيئاً بي . فلا وضع أسوأ من وضعي . مرّ
 بطردي إذا شئت .

كارينين : أنستطيع أن نذهب ؟

القاضي : في الحال ، بعد توقيع المحضر .

فيديا : كم كنت مستكون مضحكاً لو لم تكن بغيضاً !

القاضي : إني أوقدك ... ليُفتند .

فيديا ، الكارينين وليزا : سامحاني .

كارينين ، يتقدم ويشدّ على يده : لا شك أن الأمور كما ذكرت .
(تخرج ليزا . ينحني فيديا أمامها بخشوع) .

اللوحة الثانية

« رواق في قصر العدل . في الصدر ، بابٌ مزججٌ ، يقف الحاجب بقربه . إلى اليمين ، بابٌ آخر يمر به الأظنّاء . يدنو إيفان بيتروفيتش ، بثياب رثة ، من الباب الذي إلى اليمين . يريد أن يمرّ » .

« الحاجب ، إيفان بيتروفيتش ، ثم المحامي ، الأمير ابريسكوف ، بيتوشكوف ، فيديا ، بيتروشين ، ليزا ، ماشا ، الجمهور » .

الحاجب : إلى أين تذهب ؟ الدخول ممنوع .

إيفان بيتروفيتش : ولمَ ذاك ؟ الجاساتُ عامةٌ بحسب القانون .
(يُسمَعُ التصفيق) .

الحاجب : ممنوع والسلام ... لا يُسمَحُ بالدخول .

إيفان بيتروفيتش : قايل الأدب ! ألا تعرف مع من تتكلم ؟
(يدخل محام شاب ، بثوب الجاسة) .

المحامي ، لايفان بيتروفيتش : أنتَ معنيٌّ بالقضية ؟

إيفان بيتروفيتش : لا ! أنا من الجمهور . لكن هذا الحارس اللفظ لا يدعني أدخل .

المحامي : ليس هذا مدخل الجمهور ... انتظر لحظةً ، فسوف تُرْفَعُ الجاسة .

(يبتعد فيصادف الأمير ابريسكوف) .

ايفان بيتروفيتش : أعلمُ ذلك . لكن يمكن أن يدعني أدخل .
الأمير : أتستطيع أن تقول لي : إلى أية نقطة وصات القضية ؟
المحامي : إلى مرافعات المحامين . هذا بيتروشين الذي يرافع .
(يُسَمِّعُ التصفيق مرة أخرى) .

الأمير : وكيف يتصرف الأظنّاء ؟
المحامي ، بكثير من الوقار . ولا سيما كارينين واليزافيتا اندريفنا .
يُحَسُّ المرءُ أنهما ليسا متهمين ، وإنما هما اللذان يحكمان على
المجتمع . الجميع أحسّوا بذلك . وهذا هو موضوع مرافعة
بيتروشين .

الأمير : وبروتاسوف ؟
المحامي : هو في أقصى التهيج . إنه يرتجف طوال الوقت . لكن هذا
مفهوم مع الحياة التي عاشها . وقد قاطع النائب العام
والمحامين عدة مرات . وهو في حالة من العصبية الغريبة .

الأمير : وما النتيجة ، في رأيك ؟
المحامي : من الصعب التنبؤ . فهيئة التحكيم خاضعةً متنوّعة . على
كل حال سيُسْتَبْعَدُ سبقُ التصميم ، ومع ذلك ...
(يخرج سيد ، يتقدّم ابريسكوف نحو الباب) . أتريد أن
تدخل ؟

الأمير : نعم ، أود ذلك .
المحامي : أنتَ الأمير ابريسكوف ، اليس كذلك ؟
الأمير : نعم .

المحامي ، للحاجب : دعه يمر (للأمير) في الجانب الأيسر ستجد
كرسيًا خاليًا .

(يُفْتَح الباب ، وبينما يدخل الأمير ، يُسْمَع المحامي وهو يرافع)
ايفان بيتروفيتش : هؤلاء ارستقراطيون ! لكنني أنا أرستقراطي
بالفكر ، وهذا أعلى .

المحامي : عفواً . . .

(يخرج مسرعاً) .

بيتوشكوف ، داخلاً ! آه ! صباح الخير ! أهذا أنت ، ايفان ،
بيتروفيتش ؟ أين وصات القضية ؟

الحاجب : قتلًا من الضوضاء — لستما هنا عند بائع الخمر .

(يُسْمَع التصفيقُ أيضاً . وتُفْتَح الأبوابُ فيخرج المحامون
وجمهور السيدات والسادة) .

سيادة : ما أجمل ما قال . أثر فينا حتى أبكنا .

ضابط : هذا أحسن من رواية . لكن ما لا أفهمه هو كيف استطاعت
أن تُحِبّه . . . هذا الحقير !

(يُفْتَح باب آخر ، ويخرج منه الأظناء . ليزا وكارينين أولاً
اللذان يجتازان الرواق . ثم فيديا وحده) .

السيادة : اسكت ، ها هو ذا ! انظر إليه كم هو مضطرب !

(تخرج السيدة مع الضابط) .

فيديا ، يقترب من ايفان بيتروفيتش ، هل جئت به ؟

ايفان بيتروفيتش : ها هو ذا !

(يعطيه شيئاً) .

فيديا ، يضع الشيء في جيبه ويهمّ بالخروج . يشاهد المحامي : هذا الغبي ، التافه ، المضجر ، الأباه !

بيتروشين ، محام ، ضخم ، بثياب صارخة الألوان ، حرّك ، يتقدّم نحو فيديا : يا صديقي ، امورنا تسير على ما يُرام . على شرط ألا تُفسد كل شيء بكلماتك الأخيرة .

فيديا : ان أتكلم على الإطلاق . ماذا تريد أن أقول ؟ لا أريد أن أتكلم .

بيتروشين : بلى . لا بدّ من ذلك . مهلاً ، لا تتعاق . قضيتنا رابحة تقريباً الآن . قلّ لهم فقط ما قلّنته لي ، أنا ؛ وإذا حكموا عليك فلأنك لم ترتكب الانتحار ، وهو عمل تصفه القوانين المدنية والكنسية بأنه جرم .

فيديا : ان أقول شيئاً .

بيتروشين : لماذا ؟

فيديا : لأنني لا أريد . ان أتكلم . قلّ لي فقط ما أسوأ ما يمكن أن يقع .

بيتروشين : قالت لك ذلك من قبل : الحدّ الأقصى هو الزمّي إلى سيبيريا .

فيديا : مَنْ الذي سيُنْفِي ؟

بيتروشين : أنت وزوجتك .

فيديا : والحدّ الأدنى ؟

بيتروشين : التوبة التي تتقرضها الكنيسة ، وبالطبع ، حلّ الزواج الثاني .

فيديا : إذن سيقيدونني بها مرة أخرى ، أو على الأصح ، سيقيدونها بي ؟

بيتروشين : ما الحيلة ؟ لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك . لكن ، اهلاً ، وقل ، على الخصوص ، ما اتفقتا عليه ، لا أكثر . هبّا ، تعال . (في هذه اللحظة يلاحظ أن الناس يحيطون بهما ، ويستمعون إليهما) . أنا متعب ، سأستريح لحظة . استرخ أنت أيضاً أثناء رفع الجلسة . المهم ألا تخاف .

فيديا : لا يمكن أن يكون هناك حل إذن غير هذين ؟

بيتروشين ، مبتعداً : لا حل آخر .

الحاجب : امضوا ، امضوا ، يا سادة ! لا تتزحموا الرواق !

فيديا : على الفور ... (يُخرج مسدساً ويطلق رصاصة على قلبه . يُهرع الجميع) . لا أهمية لذلك . كل شيء يسير إلى الأفضل ... لتدع ليذا ! ...

(يُهرع الجمهور من الأبواب جميعاً ، كما يُهرع القضاة ، والأطباء ، والشهود ، ليذا في المقدمة ، وخلفها ترى ماشا ، ويُرى كارينين وايفان بيتروفيتش والأمير ابريسوف) .

ليذا : ماذا فعلت ، يا فيديا ! لماذا ؟

فيديا : ساعحيني لأنني لم أستطع . . . أن أحررك . . . ليس

هذا من أجلكِ . . . هذا أفضلُ لي أيضاً ... بما أني كنت
جاهزاً . . .

ليزا : ستَحيا ! ...

(ينحني طبيب ويتنصت لقاب فيديا) .

فيديا : لا حاجة بي إلى الطبيب لأعرف حالتي ... وداعاً ، فيكتور
. . . وصلتُ ماشا بعد فوات الأوان ! (يبكي) . ما
أعظم راحتي ! ... ما أعظم راحتي ...

(يموت)

النور ينطع في اظلام
دراما في خمسة فصول
١٩٠٠ - ١٩٠٢

الشخصيات

نيكولا ايفانوفتش سارنتريف .

ماري ايفانوفنا سارنتريف ، زوجته .

لوبا

ميسي

كاتيا

ستيوبا

فانيا

ولداه .

بطرس سيمينوفتش كوخوفتريف .

آلين ايفانوفنا كوخوفتريف ، زوجته ، أخت ماري ايفانوفنا .

ليز : ابنته .

الأميرة تشيريمشانوف .

بوريس : ابنها .

تانيا : ابنتها

الكسندر ميخايلوفتش ستاركوفسكي .

فاسيلي نيكانوروفتش ، كاهن شاب .

الاب جيراسيم .

ميروفان ايرميليتش ، مرب .

الكسندر بيتروفتش ، متشرد .

ايفان زيا بريف ، فلاح .

ضباط ، أطباء .

طلّاب ، سيدات

خدم ، فلاحون ، الخ .

الفصل الأول

« يمثل المسرحُ مصطبةً مغطاةً في منزل ريفيٍّ جميل . أمام المصطبة حديقة ، وماعبٌ لكرة المضرب ، ومجموعة من الكرات الخشبية » .

المشهد - ١ -

« الأولاد يلاعبون بالكرات الخشبية مع معلمتهم . على المصطبة : ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، وهي جميلةٌ ، أنيقة ، في نحو الأربعين ؛ وأختها ، آلين ايفانوفنا كوخوفتزيف ، عمرها خمسةٌ وأربعون عاماً ، وهي قوية ، حازمةٌ المظهر ، حمقاء ؛ وزوجها بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف في ثياب صيفية ، وهو ضخم ، منتفخ الوجه ، يضع على عينيه نظارة بلا ساعدين . وهم جالسون من حول طاولة يُقدّم عليها شايُ السماور والقهوة ، يتناولون القهوة . بطرس سيمينوفتش يدخن » .

آلين ايفانوفنا : لو كنت غريبةً عني بدلاً من أن تكوني أختي ، ولو كان نيكولا أحدَ أصدقائنا بدلاً من أن يكون زوجك ، لوجدتُ ذلك كله طريفاً جداً ، وساحراً جداً . ولعلي كنتُ سأقول مثلاً قال . كنتُ سأستلطف ذلك كثيراً . لكنني عندما أرى زوجك يرتكب حماقات ، حماقات

حقيقية ، فلا أستطيع أن أمتنع عن أقول لك رأيي .
وسأقول ذلك أيضاً لزوجك . سأصارع العزيز نيكولا
ايفانوفتش برأي الناس فيه . لست أخشى أحداً .

ماري ايفانوفنا: هذا لا يغطيني إطلاقاً . وأنا أرى ذلك بنفسي . لكنني
لا أعتقد أن ذلك خطير جداً .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أنت لا تعتقدين ذلك ، لكنني أقول لك : إن لم
تقاومي ، فسوف تضطرين إلى التسول . وعلى هذا المنوال ...

بطرس سيميونوفتش : لا تبالغي ! مع ثروتهم !

آلين ايفانوفنا : أجل ، إلى التسول . لا تقاطعني . لا ريب أن كل
ما يصنعه الرجال مُحكمُ الصنعة دائماً ، في نظرك .

بطرس سيميونوفتش : لا أدري ، قلت ...

آلين ايفانوفنا : أنت لا تلدي أبداً ما تقول ، لأنكم إذا ابتدأتم ،
أنتم الرجال ، بحماقاتكم ، فلن تجلوا ما يدعو إلى الانتهاء
منها . كل ما أقوله هو أنني لو كنت مكانك لما سمحتُ
بذلك ، لأخضعتُ هذه النزوات للنظام . ما معنى
هذا ؟ رجل متزوج ، ورب أسرة لا يعمل شيئاً ، ويتخلى
عن كل شيء ، ويوزع كل شيء ، ويتكاسل ذات
اليمين وذات الشمال . أنا أعرف كيف سينتهي ذلك .
نحن نعرف بعضاً من هذه الأشياء .

بطرس سيميونوفتش ، لماري ايفانوفنا : اشرحي لي ، يا ماري ، ما هذا
الاتجاه الجديد ؟ أنا أفهم جيداً التحررين ، والمجالس

الإقليمية ، والدستور ، والمدارس ، وصلات المطالعة ،
وكل ما يتبع ذلك . والاشتراكيون ، والإضرابات ،
وأيام الساعات الثمان ، أفهم كل ذلك أيضاً . لكن ما معنى
هذا ؟ اشرحيه لي .

ماري ايفانوفنا : لقد حدثك عن ذلك هو نفسه أمس .

بطرس سيمينوفتش : أعترف لك بأنني لم أفهم شيئاً مما قال . الإنجيل ،
والموعظة على الجبل ، بدون كنائس . كيف يفعل الناس
إذن ليصلّوا ولغير ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : هذا بالضبط أهم شيء : إنه يَهْدِم كل شيء ولا
يُحِلّ شيئاً محله .

بطرس سيمينوفتش : وكيف بدأ ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : بدأ ذلك في السنة الماضية ، منذ موت أخته . لقد
اغتم اغتماً شديداً ، وأخذ يتحدث بلا انقطاع عن
الموت ، ثم مَرَضَ ، كما تعلم . وحينئذ تغير كايّاً . بعد
الحمى التيفية .

آلين ايفانوفنا : إلا أنه زارنا في موسكو ، في الربيع الماضي . كان
لطيفاً جداً ، وكان يحب معنا بالورق . كان لطيفاً جداً
ككل الناس .

ماري ايفانوفنا : نعم ، لكنه كان مختلفاً كل الاختلاف .

بطرس سيمينوفتش : كيف ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : لم بعد يكثر بأهله أبداً ، واستولت عليه فكرة

ثابتة : الإنجيل . كان يقضي أياماً كاملاً يقرأ ، ولم يكن
ينام الليل ، وكان ينهض ليقرأ وليسجل الملاحظات ،
وليكتب الاستشهادات ؛ ثم أخذ يزور الأساقفة والنسك
ويستشيرهم في قضايا الدين .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! أكان يعترف ويتناول ؟

ماري ايفانوفنا : قبل ذلك ، منذ فترة زواجه ، أي منذ خمس وعشرين
سنة ، لم يكن يقوم بالشعائر الدينية . أما في الوقت الحاضر ،
فقد أخذ مرةً يتناول ويعترف في الدير ، ثم ما لبث أن
قرّر أنه لا فائدة من ذلك ، ولا فائدة من التردد على
الكنائس .

آلين ايفانوفنا : لقد قتُ ذلك ، قلتُ إنه ليس منطقياً مع ذاته . منذ
شهر كان يثابر على الصلوات والصوم ، وفجأة انقطع عن
ذلك كله .

ماري ايفانوفنا : نعم ، لكن حاولي أن تكلّميهِ .

آلين ايفانوفنا : حاولتُ ذلك وسأحاوله مرةً أخرى .

بطرس سيمينوفتش : نعم ، لكن ذلك كله ليس كبير الأهمية .

آلين ايفانوفنا : لا ريب أن ذلك لا أهمية له عندك ، لأن الرجال
لا دين لهم .

بطرس سيمينوفتش : دعيني اتكلّم . قصدتُ أن الموضوع ليس هذا .

إذا أنكر الكنيسة فما علاقة الإنجيل بذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لكنه يزعم أننا يجب أن نعيش بحسب الإنجيل ، بحسب
الموعظة على الجبل ، وأنها يجب أن نُعطي كلَّ ما نملك .

بطرس سيمينوفتش: كيف نعيش حينئذ ، إذا أُعطينا كلَّ شيء .

آلن ايفانوفنا : حسناً! وأين رأى في الموعظة على الجبل أن من الضروري
مصافحة الخدم ؟ جاءَ في الإنجيل : « طوبى للحمائم »
ولم يردَّ ذكرُ المصافحة .

ماري ايفانوفنا: لا شك أنه يندفع وراء ذلك ، كما كان يندفع دائماً ؛
اندفع زمناً وراء الموسيقى ، ثم وراء المدارس ؛ لكن هذه
الفكرة لا تُريحني .

بطرس سيمينوفتش: وماذا ذهب يفعل في المدينة ؟

ماري ايفانوفنا: لم يقل لي ، لكنني أعلم أنه ذهب بصدد سرقة الخشب .
سرق لنا الفلاحون خشباً .

بطرس سيمينوفتش: أكان ذلك في حرجة الصنوبر ؟

ماري ايفانوفنا: نعم حُكِّموا بالسجن وبالتعويضات عن الأضرار .
لكنه قال لي إن القضية صارت في الاستئناف ، وأنا واثقة
أنه ذهب بسبب ذلك .

آلن ايفانوفنا : يريد أن يُعفيهم من التعويضات ، وسيأتون غداً
لقطع أشجار البستان .

ماري ايفانوفنا: بدؤوا يفاوضون ذلك . كسروا لنا كلَّ أشجار التفاح
وداسوا القمح ، في الحقول . وهو يَغْتَفر لهم كل شيء .

بطرس سيمينوفتش: هذا مدهش .

آلين ايفانوفنا : بسبب هذا بالذات قاتُ إن من المستحيل تركه على هواه
فاذا لم يُنظَّم ذلك ضاعت الثروة كلها . واعتقد أن
واجبك كأم يقضي بأن تتخذي تدابيرك .

ماري ايفانوفنا: وماذا أستطيع أن أفعل ؟

آلين ايفانوفنا : كيف ؟ تستطيعين أن توقفيه ، أن تفهميه أن من
المستحيل أن يتصرف هكذا . لك أولاد . وهذه قدوة
سيئة لهم .

ماري ايفانوفنا: لا شك أن ذلك مؤلم لي ، لكنني أصبر وأمل أن يمرّ
ذلك كما كانت الحال في المرات السابقة .

آلين ايفانوفنا : طبعاً ، لكنّ « كنّ مع نفسك ليكون الله معك » .
يجب أن يُحسّن أنه ليس وحده ، وأنّ من المستحيل
أن يعيش هكذا .

ماري ايفانوفنا: وأسوأ شيء أنه لم يعد يهتم بالأولاد . أنا وحدي
معنيّة بتنظيم كل شيء . إلا أن لي رضيعاً من جهة ،
والكبار من جهة ثانية ، ثم الصبي والصبيّة اللذين يجب
مراقبتهم . أنا وحدي ، لكل شيء . كان ، فيما مضى ،
أبا حنوناً ، حريصاً على مصالح أولاده . أما الآن فقد
استوى عنده كل شيء . أمس بالذات قاتُ له : إن
فانيا لا يعمل وأنه سيُرسبُ حتماً في امتحانه ؛ فأجابني
إذّه سيكون من الأفضل أن يترك فانيا المعهد كلياً .

بطرس سيمينوفتش: لكن أين يذهب حينئذ .

ماري ايفانوفنا: لا يذهب إلى مكان . هذا هو أرهب شيء ، ذلك أن

كل شيء يسير سيراً سيئاً ، لكنه لا يقول ما الذي يجب فعله .

بطرس سيمينوفتش : هذا غريب .

آلين ايفانوفنا : ما الغريب في ذلك . هذه تماماً طريقتك المعتادة في أن تنتقد كل شيء وألا تعمل شيئاً بنفسك .

ماري ايفانوفنا : انسى ستيوبا حراسته منذ قليل ، وعليه أن يختار مهنته ، لكن الأب لا ينصحه بشيء . كان يريد أن يدخل في مكاتب الوزير ، لكن نيكولا ايفانوفتش قال له : إنه لا يجب أن يفعل ذلك ؛ كان يريد أن يدخل في فرسان الحرس ، فلم يوافق نيكولا ايفانوفتش على ذلك أيضاً . فسأله حينئذ : وماذا ينبغي أن أفعل ؟ فقال له نيكولا ايفانوفتش : لماذا لا تذهب لتحرث ؛ هذا أفضل من العمل في المكاتب . ماذا ينبغي أن يفعل ؟ جاء إليّ وسألني رأبي ، وأنا مكرهة أن اتخذ قراراً . لكنه هو السيد .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! يجب أن تقولي له ذلك كاه بصراحة .

ماري ايفانوفنا : آه نعم . لا بدّ من ذلك ، وسأكاتبه .

آلين ايفانوفنا : قولي له بكل بساطة : إنك لا تستطيعين أن تعيشي هكذا ، وأنت تقومين بواجباتك ، وأن عاياه أن يقوم بواجباته ؛ وإلا فسينقل إليك كل شيء .

ماري ايفانوفنا : آه ! ما أشق ذلك كاه !

آلين ايفانوفنا : سأقول له أنا ذلك ، إذا شئت . سأصارحه برأي الناس فيه .

« الأشخاص أنفسهم وكاهن شاب يدخل متخوفاً ومضطرباً ،
ممسكاً بيده كتاباً ؛ يصافح كلاً من الحاضرين .
الكاهن : جئتُ أزور نيكولا ايفانوفتش ، تقريباً . أعدتُ إليه
كتاباً .

ماري ايفانوفنا : ذهب إلى المدينة . وسيعود بعد قليل .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الكتاب الذي أخذته ؟

الكاهن : هو ، تقريباً ، كتاب « رينان » : حياة يسوع (١) .

بطرس سيمينوفتش : عجباً ! أهذا ما تقرؤه ؟

آلين ايفانوفنا ، بادية الاحتقار : نيكولا ايفانوفتش هو الذي أعارك
هذا الكتاب ! حسناً ! أأنت متفق مع نيكولا ايفانوفتش
ومع السيد رينان ؟

الكاهن ، يشعل سيجارة ، منفعلاً : نيكولا ايفانوفتش نصّحني
بقراءته . ولا شك أني غير متفق معه . ولو كنت متفقاً
معه تقريباً ، لما أصبحت ، كما يُقال ، خادماً للكنيسة .

آلين ايفانوفنا : لكنك إن كنت خادماً أميناً للكنيسة ، كما يقال ،
فماذا لم تُقنع نيكولا ايفانوفتش ؟

الكاهن : لكلٍ رأيه الذي كونه حول هذه الموضوعات ، تقريباً ،

(١) كتاب رينان : كان لأعمال رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢) تأثير كبير في تولستوي
وفي مفهومه عن المسيح .

ونيكولا ايفانوفتش مُحقّق في كثير من الأشياء ، لكنّ
يمكن القول : إنه على خطأ فيما يخصّ الكنيسة .

آلين ايفانوفنا ، باحتقار : في أيّ الأشياء هو مُحقّق ؟ أمين العدل أن
يوزّع أمواله على الغرباء ، بحسب الموعظة على الجبل ،
ويُأجىء أسرته إلى التسوّل ؟ .

الكاهن : الكنيسة تقدّس الأسرة ، إن أمكن القول ، وآباء الكنيسة
باركوا الأسرة ، إن أمكن القول ؛ لكن الكمال الأسمى
يقتضي ، تقريباً ، التخلّي عن الخيرات الأرضية .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا صالحٌ بالنسبة إلى القديسين ، لكنني أعتقد
أن البشر البسطاء يجب أن يتصرّفوا ببساطة ، كما يابق بكل
مسيحي صالح .

الكاهن : لا يعرف أحدٌ ما الذي قدّر له .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! لا شك أنك متزوج ؟

الكاهن : أجل .

آلين ايفانوفنا : ألك أولاد ؟

الكاهن : لي اثنان .

آلين ايفانوفنا : لماذا إذن لا تتخلّى عن الخيرات الأرضيّة ؟ وها أنت
تدخن السيجارات .

الكاهن : ذلك بسبب ضعفي ، يمكن القول ، بسبب حقارتي .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أرى ذلك ؛ فبدلاً من أن تَرُدّ نيكولا ايفانوفتش

إلى الصواب أراك تَسْنِدُهُ ... هذا ليس حسناً ، أقول
لك ذلك بصراحة .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، المرضع » .

المرضع ، داخلَةٌ : ألم تسمعي بعدُ بكاءَ نيكولا الصغير ! هو عطشان .
ماري ايفانوفنا : أنا ذاهبة إليه ، أنا ذاهبة إليه .
(تنهض وتخرج) .

آلين ايفانوفنا : كم أرثي لأختي ! أراها تتألم . ليس شيئاً سهلاً أن
تُدِير بيتاً . سبعة أولاد أحدهم مازال يرضع ، ثم هناك
فوق ذلك كل هذه الابتكارات . يبدو لي حقاً أن الأمور
تسير سيراً سيئاً هنا . (مشيرةً إلى رأسها ...) صَرَعَةٌ .
أحب أن أسألك : ما هذا الدين الجديد الذي وَجَدْتُموه ؟

الكاهن : لا أفهمُ ، تقريباً ...

آلين ايفانوفنا : كُفَّ عن مخادعتي . أنت تفهم جيداً ما أسألك
عنه ...

الكاهن : لكن اسمحي لي ...

آلين ايفانوفنا : سألتك ماذا يمكن أن يكون هذا الدين الذي بموجبه
يتبغي أن نشدَّ على أيدي الفلاحين ، وأن نسمح لهم بقطع
الأخشاب ، وأن نوزع عايهم المال لشراء ماء الحياة ،
بينما نهجر أسرتنا ؟

الكاهن : لا أعلم شيئاً من ذلك ...

آلين ايفانوفنا : هو يقول : إن هذه هي المسيحية ؛ أنت كاهن ،
ارثوذكسي ، يجب أن تعلم وأن تقول ما تعلم : إن كانت
المسيحية تأمر بتسهيل السرقة .

الكاهن : لكنني أنا . . .

آلين ايفانوفنا : إذن ما الفائدة من كونك كاهناً ، ومن كونك
تُرَبِّي شعراً طويلاً وتلبس جبّة ؟

الكاهن : لكن لا أحد يسألنا عن ذلك .

آلين ايفانوفنا : كيف لا يسألك أحد عن ذلك ؟ أنا أسألك عن ذلك .
أمس كرّر عليّ أنه قد جاء في الإنجيل : « أعطِ مَنْ
يسأل » . بأيّ معنى يجب أن نفهم ذلك ؟

الكاهن : أعتقد ، بالمعنى الأبسط .

آلين ايفانوفنا : وأنا أعتقد أنه ليس بالمعنى الأبسط ، لكن كما
عاشونا : أي إن كل واحد يحصل على ما قدره
الله له .

الكاهن : لا شك ، إلا أن ...

آلين ايفانوفنا : من الواضح أنك أنت أيضاً من رأيه ، كما قيل لي .
هذا سيء ، أقول لك ذلك بصراحة . لو كان الذي اتفق
معه بالرأي معالجة مدرسة أو فتى من الفتيان لقبانا ، أما
أنت ، في وضعك ، فيجب أن تفكر في المسؤولية التي
تضطلع بها .

الكاهن : إني أبذل وسعي في ذلك .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الدين الذي يَسْنَعُه من الذهاب إلى الكنيسة
ومن الاعتراف بالأسرار المقدسة ؟ أما أنتَ فبدلاً من
أن تردّه إلى الصواب نراك تقرأ « رينان » وتفسّر الإنجيل
على طريقته .

الكاهن ، مضطرباً : لا يمكنني الإجابة . أنا منذهل ، تقريباً ...
وسأسكت .

آلين ايفانوفنا : آه ! لو كنتُ رئيسَ الأساقفة ، لعلمتُك كيف
تقرأ رينان وتدخلن السيجارات !

بطرس سيمينوفتش : كفيّ عن ذلك ، بجاه السماء ! بأيّ حقّ ؟
آلين ايفانوفنا : أرجوكَ ، لا تُبَدِّ ملاحظاتكَ عليّ . أنا واثقة من
أن الأب لا يَحْقُقه عليّ . ها أنا قد قلتُ كلَّ شيء . ولو
سكتَ على ضغينةٍ لكان ذلك أسوأ . أليس كذلك ؟

الكاهن : سامحيني إذا لم أحسن التعبير . سامحيني .

(صمت شاق ، لوبا وليز تدخلان) .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، ثم لوبا وليز . لوبا ، عشرون عاماً ، فتاة
قوية وجميلة ، ابنة ماري ايفانوفنا . ليز أكبر سناً منها ، ابنة آلين
ايفانوفنا . كلتاهما تضع على رأسها منديلاً ، وتحمل سلةً لجمع الفطور .
وقد جاءتا لتسلّما ، لوبا على خالتها وزوج خالتها ، ليز على أبيها
وأُمها والكاهن .

لوبا : وأين أُمي ؟

آلين ايفانوفنا : ذهبتُ لتُرضع الصغير .

بطرس سيمينوفتش : اذهبا واحملا أكبر كمية ممكنة . بنتٌ صغيرةٌ جاءت اليوم بفطور رائعة . ولولا أن الطقس حار لذهبتُ معكما .

لينز : تعال معنا ، بابا .

آلين ايفانوفنا : اذهبُ معهما ، فأنت تسمن كثيراً .

بطرس سيمينوفتش : قُبْتُ ، انتظراني حتى آتي بالسيجارات .
(يخرج) .

آلين ايفانوفنا : وأين بقيّة الجماعة ؟

لوبا : ستيوبا ذهب إلى المحطّة ، على الدراجة . دميتري ، الكسييفتش ذهب إلى المدينة مع بابا ، الصغار ياعبون بالكرات الخشبية ، وفانيا هنا على درج المدخل ياهو مع الكلاب .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل اتّخذ ستيوباً قراراً ما ؟

لوبا : نعم ، حمل بنفسه طابيه ليتطوّع (١) . كان أمس وقحاً مع بابا ، بشكل مثير .

آلين ايفانوفنا : لكنه يتألم أيضاً . للصبر حلود . على الشباب أن يعملوا ،

(١) ليتطوع : بحسب قانون ١٨٧٤ كان الشباب الذين حصلوا على البكالوريا لا يقضون سوى سنة واحدة في الخدمة العسكرية كمتطوعين ، في فوج يختارونه ؛ وبعد ذلك يستطيعون أن يتقدموا إلى امتحان الضابط .

لوبا : بابا لم يقل له هكذا ، قال له . . .

آلين ايفانوفنا : مهما يكن ! إنما ستيوبا ما يزال في بداية حياته ،
ومِنْ كل ما شرع به لاشيء يناسب . اكن ها هوذا .

المشهد - ٥ -

« الأشخاص أنفسهم ، ثم ستيوبا الذي يصل على الدراجة ، ثم
فانيا ، ثم نيكولا ايفانوفتش » .

آلين ايفانوفنا : عندما نذكر الشمس نرى أشعتها . ذكرناك قبل
قائل . قالت لوبا إنك أسأت الردّ على أبيك .

ستيوبا : لا ، إطلاقاً . لم يكن بيننا شيءٌ خاص . قال لي رابه ؛
وأنا ، قات له رأيي . وليست غلطتي إن لم يتفق رأينا .
اكن لوبا لا تفهم شيئاً وتُفحم نفسها في الحكم على
كل شيء .

آلين ايفانوفنا : حدثاً ! وماذا قرّرت ؟

ستيوبا : لا أعلم ماذا قرّر بابا ؛ أخشى ألا يعرف ما يقرّره . أما أنا
فقد عزمْتُ على أن أتطوّع في فرسان الحرس . كل ذلك
بسيط جداً . أنهيتُ دراستي ويجب أن أؤدي فترةَ خدمتي
العسكرية . ولكنني استثقل أداءها في الجيش النظامي مع
الضباط السكاري والأفظاظ ؛ لهذا تطوّعت في الحرس
الذي لي فيه أصدقاء .

آلين ايفانوفنا : نعم ! ولكن لماذا لم يُردّ أبوك ذلك ؟

ستيوبا : بابا ! ماذا بوسعي أن أقول عنه ! إنه الآن تحت تأثير فكرته

الثابتة ؛ وهو لا يرى إلا ما يريد أن يراه . قال إن الخدمة العسكرية هي أحقر خدمة ومن ثم لا يجب أن تؤدّى . لذلك لا يعطيني مالا .

ليز : لا ، ستيوبا ، لم يقل كذلك . كنت حاضرة . قال : إذا كنا لا نستطيع أن نتجنب الخدمة فاستؤدّها ككل الناس ، وأنا إذا تطوعنا فمعنى ذلك أننا وجهنا أنفسنا للخدمة .

ستيوبا : لكنني أنا الذي سيؤدي الخدمة العسكرية ، لا هو . ولقد خدمَ هو مع ذلك .

ليز : نعم ، لكنه قال : ليست المسألة أنه لا يريد أن يعطي مالا ، بل إنه لا يريد أن يُشارك في شيء مناقض لقناعاته .

ستيوبا : القضية ليست قضية قناعات هنا ؛ يجب تأدية الخدمة ، وهذا كل شيء .

ليز : لا أقول إلا ما سمعته .

ستيوبا : أعلم أنك توافقين بابا في كل شيء . أتعلمين ، يا خالتي ، أن ليز على اتفاق دائماً مع بابا .

ليز : مع ما هو صحيح . . .

آلين ايفانوفنا : أعلم جيداً أن ليز توافق على جميع الحماقات . تُحسن أين توجد الحماقات . تشمّها من بعيد .

« يدخل فانيا في قميص أحمر ، يمارع ومعه كلابه ، وهو يحمل برقيّة في يده . »

فانيا ، للوبا : احزري مَن الذي جاء ؟

لوبا : ليس هناك ما نحزره . هات البرقية .

(تحاول أن تأخذها ، فيقاوم) .

فانيا : لن أعطيك إياها ولن أقول لك مِمَّن هي . هي من شخص يجعلك تحمرين خجلاً .

لوبا : هذا حمق . مِمَّن البرقية ؟

فانيا : ها هي تحمر . احمررت . خالة آلين ، ألم تحمر ؟

لوبا : كُفَّ عن حماقاتك ! مِمَّن هي ؟ خالة آلين ، مِمَّن هي ؟

آلين ايفانوفنا : من آل تشيريمشانوف .

لوبا : آه ! آه !

فانيا : انظروا ، آه ! لماذا تحمرين ؟

لوبا : أرني البرقية ، يا خالتي . (تقرأ) سنصل في قطار البريد ، نحن الثلاثة تشيريمشانوف « . ستأتي إذن الأميرة مع بوريس وتانيا . حسناً ! أنا مسرورة جداً .

فانيا : لا شك أنك مسرورة . انظر ، ستيوبا ، كم احمررت .

ستيوبا : كُفَّ ، لا تضايقها بعد ، أنت تفعل الشيء نفسه دائماً .

فانيا : آه ! نعم ، ذلك لأنك تريد أن تغازل تانيا . وسيتحمم عليكما أن تقترعا ، لأنه لا يمكن تزويج الأخت بزوج وتزويج أخيها بأخت الزوج .

ستيوبا : كفى كلاماً . دعنا وشأننا . كم مرة قلت لك ذلك .

ليز : إن وصلوا بقطار البريد فيجب أن يكونوا هنا في هذه اللحظة .

لوبا : صحيح . لينبثق إذن .

(يدخل بطرس سيمينوفتش حاملاً سيجاراته) .

لوبا : عمّ بطرس ، لن نذهب إلى جنّتي الفطور .
بطرس سيمينوفتش : ولمّ ذاك ؟

لوبا : سيصل آل تشيريمشانوف في هذه اللحظة . الأفضل أن
نأعب بكرة المضرب لعبة الثأر . ستيوبا ، أتقبل ؟
ستيوبا : قاتّ .

لوبا : أنا وفانيا ضدكما أنت وليز . موافق ؟ سأتي بالكرات
وسأدعو الأولاد .

(تخرج) .

بطرس سيمينوفتش : وها أنا أبقى .

الكاهن الذي بهمّ بالخروج : تهانيّ .

آلين ايفانوفنا : لا ، انتظرْ ، يا أبي . أحبّ أن أتحدّث معاك . ثمّ
إن نيكولا ايفانوفتش سيكون هنا بعد قليل .

الكاهن ، يعود إلى الجاوس ويُسّعل سيجارة : ربما تأخّر .

آلين ايفانوفنا : ها قد وصاتْ عربةٌ . لا بدّ أنه هو .

بطرس سيمينوفتش : ومن هذه تشيريمشانوف ؟ أهى التي من آل
غوليتزين ؟

آلين ايفانوفنا : أجل ، إنها تشيريمشانوف الفاتنة التي عاشت في روما مع عمتها .

بطرس سيمينوفتش : كم سأكون سعيداً برؤيتها . لم أرها منذ روما حيث كانت تغني غناءً ثنائياً معي . كانت تغني غناء لطيفاً جداً . لها ولدان ، أليس كذلك ؟

آلين ايفانوفنا : نعم ، وهما يرافقانها كلاهما .

بطرس سيمينوفتش : لم أكن أعلم أنها على صلة حميمة مع آل سارنتريف .
آلين ايفانوفنا : ليسوا على صلة حميمة ، لكنهم قضوا السنة الماضية معاً في الخارج ، ويبدو لي أن الأميرة تفكر في تزويج لوبا بابنها . هي داهية .

بطرس سيمينوفتش : لكن آل تشيريمشانوف كانوا أغنياء هم أنفسهم .
آلين ايفانوفنا : كانوا أغنياء . الأمير مازال حياً . لكنه أضاع كل شيء وعكف على الشراب . فقدمت التماساً للامبراطور ، وأنقذت بعض الفضلات من ثروتها وهجرت زوجها . لكنها ربت ولديها تربية رائعة . يجب أن ننصفها من هذا الجانب . والبنت موسيقية ممتازة ، والولد الذي أنهى دروسه في الجامعة فتى رائع . على أي أظن أن ماشا غير مسرورة . فليس هذا الوقت مناسباً لاستقبال الناس آه ! ها هو نيكولا !

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : طاب يومكم ، آلين ، بطرس سيمينوفتش .
آه ! (للكاهن) فاسيلي نيكانوروفتش .

(يشدّ على يده) .

آلين ايفانوفنا : ما يزال هناك قهوة . أتريد شيئاً منها . بردت قليلاً
لكننا نستطيع تسخينها .

(تدق الجرس) .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، شكرآ . تغدّيت . أين ماشا ؟

آلين ايفانوفنا : تُرضع الصغير .

نيكولا ايفانوفتش : وهل هي بحال جيدة ؟

آلين ايفانوفتش : أجل ! حسناً ! هل انتهيت من أعمالك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أنتهيت منها ، نعم . إن بقي عندك شايّ أو
قهوة ، فأعطيني شيئاً منهما . (للكاهن) . هل جئت بالكتاب ،
هل قرأته ؟ فكّرت فيك طوال الطريق .

(يدخل خادم . يُحيّي . يشدّ نيكولا ايفانوفتش على يده .

تهزّ آلين ايفانوفنا كتفيها وتبادلُ زوجها النظرات) .

آلين ايفانوفنا : أضف شيئاً من النار إلى السماور ، من فضلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا لزوم لذلك ، آلين . ولا أشتهي ذلك . وإذا
ما أردت شيئاً من الشاي أو القهوة تناولته كما هو .

ميسي ، تشاهد أباهما ، تترك الكرات الخشبيّة راکضة وتتعاق
بعنق أبيها : بابا ، تعال معي .

نيكولا ايفانوفتش ، يداعبها : بعد قليل ، دعيني أنهي طعامي .
ادهبي والعبي . سآتي .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وهل حكمتُ المحكمة على الفلاحين ؟
(نيكولا ايفانوفتش يجاس إلى الطاولة ، يشرب شايه ويأكل بشرهة ،
دون أن يجيب) .

آلين ايفانوفنا : هل حُكِمَ عليهم ؟
نيكولا ايفانوفتش : نعم ، حُكِمَ عليهم . ثم إنهم اعترفوا . (للكاهن)
ظننتُ أنك لن تقتنع برينان إلا بصعوبة .

آلين ايفانوفنا : لكنك لم تكن مسروراً من الحكم ؟
نيكولا ايفانوفتش ، متكدراً : طبعاً ، لم أكن مسروراً . (للكاهن) .
المسألة عندك ليست في ألوهية المسيح ولا في تاريخ المسيحية ،
بل في الكنيسة .

آلين ايفانوفنا : كيف يكون ذلك ؟ هم اعترفوا وأنت تكذبهم . لم
يسرقوا وإنما أخذوا .

نيكولا ايفانوفتش ، وقد بدأ يتكلم مع الكاهن ، يستدير وهو بادي
الحزم نحو آلين ايفانوفنا : آلين ، يا عزيزتي ، لا تعذبيني
بوخز دبابيسك وبتلميحاتك .

آلين ايفانوفنا : لا ، على الإطلاق . . .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنتِ ترغبين حقاً أن تعامي لماذا لا أريد أن
ألاحق الفلاحين الذين قطعوا الأخشاب التي كانوا يحتاجون
إليها . . .

آلين ايفانوفنا : أظن أنهم قد يحتاجون إلى هذا السماور أيضاً .
نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إذا أردتِ أن أقول لك لماذا لا أقبل بأن

يُسْجَنَ هؤلاء الناسُ الذين قطعوا عشر سنديانات في
غابة تُعْتَبَرُ ملكاً لي . . .

آلين ايفانوفنا : كل الناس يَعتَبِرونها كذلك .

بطرس سيمينوفتش : ها قد عادت المخاصمات من جديد . أَفْضَلُ أَنْ
أذهب إلى الحديقة ، مع الكلاب .

(ينزل عن المصطبة) .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى لو اعتبرنا هذا الغاب ملكاً لي ، وذلك مالا
أقبل به ، فان عندنا تسع مئة هكتار من الغابات ؛ وفي
كل هكتار نحو خمس مئة شجرة ، فيكون المجموع إذن
أربع مئة وخمسين ألف شجرة (على ما يبدو لي) .
وقد قطعوا عشراً ، أي بنسبة واحد إلى خمسة وأربعين
ألفاً ؛ فهل يستحق هذا ، هل يجوز أن ننتزع رجلاً من
عائلته لهذا السبب ونرمي به في السجن ؟

ستيوبا : بلا ريب ، لكن إذا لم يُعاقَبوا بقسوة من أجل هذا الجزء
الضئيل فان بقية الأجزاء ستُقطع أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : كل ما قلتُه فانما أقوله للخالة وحدها ، لكن
ليس لي ، في الواقع ، أي حقّ على هذه الغابة . الأرض
ملكٌ للناس جميعاً ، أي انها لا تجوز أن تكون ملكاً لأحد .
ونحن لم نقمُ بأي عمل في هذه الأرض .

ستيوبا : لا ، لكنك وقّرت ، اشتغلت .

نيكولا ايفانوفتش : بأية طريقة حصلتُ على هذه التوفيرات ؟ ولستُ

أنا الذي يحرس الغابة . . . على كل حال ، إذا لم يشعر
الإنسان بالخجل لأنه قتلَ إنساناً آخر ، فمن المتعذر أن
نُثبت له أنه أساء التصرف .

ستيوبا : لا أحد يقتل .

نيكولا ايفانوفتش : سيان إن لم يشعر بالخجل من استغلال عمل
الآخرين دون أن يعمل هو نفسه ؛ إن الاقتصاد السياسي
الذي تدرسه في الجامعة لا يصاح إلا لتبرير الوضع الذي
نحن فيه .

ستيوبا : على العكس ، العلم يهدم كل الآراء المُسبقة .

نيكولا ايفانوفتش : على كل حال ، هذا قليلُ الأهمية ، بالنسبة
إليّ . ما يهمني هو أن أعلم أنني لو كنتُ مكانَ « ايفيم »
لفعلتُ مثله تماماً ، وأنني لو فعلتُ ذلك لاغتمتُ حين
أدخل السجن . — كما أريد أن أعاملُ الآخرين ،
بالطريقة نفسها التي أرغب أن يعاملوني بها . — لا أستطيع
أن أدينهم ، وأنا أبذل وسعي لكي أجنبهم الإدانة .

بطرس سيمينوفتش : إذا كان الأمر كذلك ، فمن المستحيل أن يملك
الناسُ شيئاً .

آلين ايفانوفنا : ستكون السرقةُ حينئذٍ أربحَ من العمل .

ستيوبا ، في الوقت نفسه : أنت لا تجيب أبداً عن الحجج التي تُواجه
بها . قلتُ إن مَنْ وقّر شيئاً فله الحق في أن يستفيد ممّا وقّر .

نيكولا ايفانوفتش ، مبتسماً : لا أعلمُ على مَنْ أُرَدّ . (لبطرس
سيمينوفتش) . لا يجب أن نملك شيئاً أيضاً .

آلبن ايفانوفنا : لكن إذا لم يجز أن نملك شيئاً ، وإذا تعيّن ألاّ نملك ثوباً ولا قطعة خبز ، وإذا كان يجب أن نعطي كلّ شيء ، فمن المستحيل أن نعيش .

نيكولا ايفانوفتش : ولا ينبغي أن نحيا كما نحيا .

ستيوبا : أيّ يجب أن نموت . من البديهي إذن أن هذا التعاليم لا يصلح للحياة .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا يصلح لا للحياة . نعم ، يجب أن نعطي كلّ شيء ، لا الغابات وحدها التي لا نستفيد منها ولم نرها ، بل يجب أن نعطي ثيابنا وخبزنا .

آلبن ايفانوفنا : وخبز أولادنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم وخبز أولادنا ؛ لا الخبز وحده ، وإنما يجب أن نعطي أنفسنا . ها هنا تكمن تعاليم المسيح . يجب أن نبذل جهدنا كله لنعطي أنفسنا .

ستيوبا : معنى ذلك : الموت .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، إن متّ من أجل قريبك ، فهذا حسن جداً لك وللآخرين . لكن المسألة أن الإنسان ليس روحاً فحسب وإنما هو روح وجسد . الجسدُ يجبرُك على أن تعيش لنفسك ، وروح النور تدفعك إلى أن تحيا لله ، وللآخرين ؛ وكلما اقتربنا من الحياة لله ، كان ذلك أفضل . وهكذا إذن ، كلما سعينا إلى أن نحيا لله ، كان ذلك أحسن ، في حين أن الحياة الحيوانية تتدبّر أمرها دائماً .

ستيوبا : إذن ، إن كان حسناً أن نعيش هكذا ، فيجب أن نعطي كل شيء ونموت .

نيكولا ايفانوفتش : سيكون ذلك رائعاً . اجهدُ في أن تفعل ذلك ، انت والآخرون ، وسُيفي الناس أنفسهم في أحسن الحالات من جراء ذلك .

آلين ايفانوفنا : لا ، هذا كله غير واضح . هذا ممتد جداً . هذا واه .

نيكولا ايفانوفتش : وما العمل ؟ من المستحيل شرح ذلك بالألفاظ . على كل حال ، كفانا نقاشاً .

ستيوبا : بالفعل ، كفانا نقاشاً ، فم أزدد فهماً .
(يخرج) .

نيكولا ايفانوفتش ، للكهان : وبعدُ ، فما الانطباع الذي أحدثته الكتابُ فيك .

الكهان ، مضطرباً : كيف أصفُ لك ذلك ؟ الجانب التاريخي قد عولج معالجةً واسعة ، لكنْ تَنَقَّصُ الدقَّة ، والقناعةُ التامةُ ، لأن المصادر غير كافية ، أليس كذلك ؟ فلسنا نستطيع أن نبرهن تاريخياً أن المسيح من جوهر الهي أم لا ؛ أليس هناك سوى برهان لا جدال فيه . . .

(أثناء هذا الحوار تبتعد النساءُ أولاً ، ثم يتبعد ستيوبا ، ثم بطرس ايفانوفتش ، ويبقى الكهان وحده مع نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : أي الكنيسة ؟

الكاهن : طبعاً ، الكنيسة ، شهادة القديسين المُعْتَرَف بهم ، أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، سيكون رائعاً لو وُجِدت شهادةٌ لا يمتدّ إليها الخطأُ ، شهادة تستطيع أن تؤمن بها ، وسيكون من المرغوب فيه أن توجد هذه الشهادة . لكن رغبتنا لا تستتبع أن هذه الشهادة موجودة .

الكاهن : أنا ، أظن أن هذا هو ، بالتحديد ، الذي يبرهن على تلك الشهادة . فالرب لا يمكن أن يُعرّض شريعته للتشويه ، ولسوء التفسير ، وكان لا بد أن يجعل الكنيسة حارسةً لحقائقه ، حتى لا تُشوّه حقائقه .

نيكولا ايفانوفتش : هذا حسن . لكنّ كان عليك في البدء أن تبرهن على حقائقها ، أما الآن فعليك أن تبرهن على صحة حارسة الحقائق

الكاهن : هنا ، لا بدّ من الإيمان ، أليس كذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : الإيمان ! لا بدّ من الإيمان ، من المستحيل الاستغناء عن الإيمان ، لكن لا ينبغي أن تؤمن بما يقوله لنا الآخرون لكن بما تتوصل أنت إلى الإيمان به عن طريق سير فكرك وعقلك . . . الإيمان بالله ، في الحياة الحقيقية الأبدية .

الكاهن : العقل قد يخذل ؛ ولكلّ عقله .

نيكولا ايفانوفتش ، بحماسة : هذا تجديفٌ فظيع . إن الله أعطانا هذا السلاح المقدّس الوحيد لاكتشاف الحقيقة ، وهو وحده القادر على أن يجمع بيننا . فاذا لم تؤمن به ! . . .

الكاهن : كيف تؤمن بهما وبينهما خلاف أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الخلاف ؟ أن اثنين في اثنين تساوي أربعة ،
أننا لا ينبغي أن نفعل بالآخرين مالا نرغب فيه لأنفسنا ،
أن لكل شيء سبباً ، الخ ؟ كل ذلك حقائق نعرف بها
لأنها متفقّةٌ كلها مع عقائنا . أمّا أن يكون الله قد ظهر
لموسى على جبل سيناء ، أو أن يكون بوذا قد طار على
شعاع الشمس ، وأن يكون المسيح قد صعد إلى السماء ،
في هذه الأشياء وفي مثيلاتها لسنا متفقين .

الكاهن : لا لسنا على خلاف ، فنحن جميعاً الذين هم في الحقيقة ؛
نحن جميعاً متحدون في إيمان واحد بالله ، المسيح .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى في هذه النقطة لسنا مجتمعين ، بل نحن مفترقون ؛
ثمّ لماذا تؤمن باك أكثر مما تؤمن بالكاهن البوذي ؟ ما لم
يكن السبب الوحيد أنني ولدت في ديانتك ؟

(تقوم مشادةٌ مرة أخرى بين لاعبي كرة المضرب :)

— الكرة خارج الملعب .

— لا ، ليست خارج الملعب .

فانيا : أنا رأيته !

(أثناء الحديث ، يُحضّر خادِم الطاولة والشاي ، والقهوة ، مرة أخرى) .

نيكولا ايفانوفتش : أنت تقول إن الكنيسة ستمنح الوحدة . على
العكس إن أفضع شقاقٍ يأتي دائماً من الكنيسة . « كم
من مرة » أردت أن أجمعكم كما تجمع الدجاجةُ فراخها » .

الكاهن : كان ذلك قبل المسيح ، لكن المسيح جَمَعَ .

نيكولا ايفانوفتش : المسيح جَمَعَ ، في الواقع ، لكننا فرّقنا ، لأننا فهمناه بالمقاب . لقد هدمَ عدة كنائس .

الكاهن : لكن كيف تفهم : « قل للكنيسة » ؟

نيكولا ايفانوفتش : ليست المسألة مسألة كلام . فالكلام ليس شيئاً ولا يقول شيئاً عن الكنيسة ، وإنما المسألة مسألة روح العقيدة . إن عقيدة المسيح شاملة وتحتوي على جميع المعتقدات ؛ وهي لا تقبل بشيء استثنائي ، لا قيامة المسيح ولا ألوهيته ، ولا الأسرار المقدسة ، ولا ما يفرق .

الكاهن : أليس ذلك هو طريقتك في تفسير التعليم الديني ، لكن التعاليم الديني قائمٌ كائناً على ألوهيته وقيامته .

نيكولا ايفانوفتش : بهذا عينه كانت الكنائس مرعبةً . إنها تفرق لأنها تؤكد أنها تملك الحقيقة الكاملة ، التي لا جدال فيها ، والتي لا يمتد إليها الخطأ . وقد بدأ ذلك مع مجمع الرسل الأول . ومنذ هذه الفترة بدأ التأكيد على امتلاك الحقيقة الكاملة التي لا حقيقة غيرها . لأنني إذا قلت : الله موجود ، وهو بداية الكون ، فسوف يتفق الناس جميعاً معي ، وهذا الاعتراف بالله سيجمعنا ؛ لكنني إذا قلت : الله — براهمنا موجود ، أو الإله اليهودي ، أو الثالث ، فمثل هذه الألوهية ستفرّقنا . إن الناس يريدون أن يتّحدوا ، وهم من أجل ذلك تصوّروا سُبُلَ الاتحاد ؛ لكنهم يأنفون من السبيل الأكيدة للوصول إلى تلك الوحدة ؛ وهي

الطموح إلى الحقيقة . وذلك تماماً كما لو كنا في بناء كبير جداً يسقط فيه النورُ من الأعلى إلى الوسط ، والناسُ متكئون في الزوايا بدلاً من أن يذهبوا إلى النور . بينما لو ذهبوا إلى النور ، دون أن يفكروا في ذلك ، لا تحدثوا جميعاً .

الكاهن : ما العمل إذن لقيادة الشعب ، دون أن نملك حقيقة محدّدة ؟

نيكولا أيفانوفتش : هذا بالضبط ما هو فظيع . كلُّ منا يجب أن يتخاض روحه ، وأن يُحقّق بذاته عمل الرب ، ونحن منهمكون في تخليص الناس وتعليمهم . وماذا نعلمهم ؟ من الفظاعة أن نفكّر في أننا نعلم الآن في أواخر القرن التاسع عشر أن الله خالق العالم في ستة أيام ، وأنه عمل الطوفان بعد ذلك ، وأنه وضع في السفينة كل الحيوانات ، وكل الحماقات الأخرى ، وكل سخافات العهد القديم ؛ وبعد ذلك أن المسيح أمر أن يرشّ الجميع بالماء وأن يؤمن الجميع بترّاهات الشفاعة ، التي لا خلاص دونها ؛ وأنه ، بعد ذلك ، طار إلى السماء وجلس في السماء غير الموجودة ، على يمين الأب . لقد تعودنا ذلك ، لكن ذلك فظيع . إن الطفل النقي القلب ، الميال إلى الخير يسأل ما الكون وما قوانينه . وبدلاً من أن نكشف له تعاليم المحبة والحقيقة التي انتقلت إلينا ، نأخذ في حشّو رأسه بعناية ، بالبللاطات والفظاعات المرعبة ، وننسبها إلى الله . لكن هذا فظيع ! إنها لجريرة ذكراء ، أذكر الجرائم ! وتصور أننا نحن ، أنكم أنتم الذين يرتكبون ذلك مع كنيستكم . سامحني .

الكاهن : لا ريب أننا إذا نظرنا إلى تعاليم المسيح بهذه الطريقة ،
عقلانياً ، أليس كذلك ، فالأمر كما ذكرت .
نيكولا ايفانوفتش : انظر إليها كما تشاء ، فالأمر واحد .
(صمت . الكاهن يستأذن . تدخل آلين ايفانوفنا) .

المشهد - ٦ -

« نيكولا ايفانوفتش ، ثم آلين ايفانوفنا ، ثم ماري ايفانوفنا » .
آلين ايفانوفنا ، للكاهن : إلى اللقاء ، يا أبي ، سيَقَابُ لك رأساك ،
فلا تُصنعُ إليه .
الكاهن : لا ، يجب أن نفحص الكتاب المقدس . الأمر أعظم من
أن نُهمل ذلك .
(يخرج)

آلين ايفانوفنا : الحقيقة ، يا نيكولا ، أذاك لا تَرَحُّمُهُ . فبالرغم من أنه
كاهن ، إلا أنه لا يمكن أن تكون قناعاته راسخة ، إنه
لم يثبت بعد . .

نيكولا ايفانوفتش : يجب إذن أن ندعّه يثبت ، يتبادد في الكذب .
كلا ، وما الغاية من ذلك ؟ نعم ، إنه رجل طيب ، رجل
صادق .

آلين ايفانوفنا : لكن ماذا سيفعل إن آمن باك ؟
نيكولا ايفانوفتش : لا حاجة به إلى الإيمان بي ، لكنه إن رأى الحقيقة ،
فسيكون ذلك حسناً له وللجميع .

آلين ايفانوفنا : نعم سيكون ذلك حسناً لو أن الجميع آمنوا بك ، لكن
العكس تماماً هو ما يقع . فلا أحد يؤمن بك ، وامرأتك
قبل غيرها . ولا يمكنها أن تؤمن بك .

نيكولا ايفانوفتش : ومن قال لك ذلك ؟ . .

آلين ايفانوفنا : اشرح ذلك لماشا . فهي لم تفهم قط ، ولن تفهم أبداً ،
ولن يفهم أحدٌ في العالم أنه يجب على المرء أن يُعنى
بالآخرين ويُهمل أولاده . اشرح ذلك لماشا .

نيكولا ايفانوفتش : ستفهم ماشا بالتأكيد . اغفري لي ، يا آلين ، لكن
لو لم تكن هناك مؤثرات خارجية ، ولو لم تكن ماشا
مهيأةً للخضوع لها ، لفهمتني ولمشت معي .

آلين ايفانوفنا : لكي تَنْهَبَ أولادها لمصاحبة اينيم السكير وشركائه .
أنتَ غاضبٌ عليّ ، لكن اغفري لي ، فلا أستطيع الامتناع
عن القول . . .

نيكولا ايفانوفتش : لستُ غاضباً . على العكس ، أنا مسرورٌ جداً
لأنك كَلِمْتَنِي بصراحة ، وَأَتَحَتَ لي بذلك الفرصة
للتعبير عن طريقتي في التفكير . وعندما عدتُ اليوم إلى
هنا فكرتُ فيها ، وسأقول لها ذلك ، في الحال ، وسترين
أنها ستفق معي ، لأنها خيرةٌ وذكية .

آلين ايفانوفنا : اسمح لي أن أشك في ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لستُ أشك ، لأن ذلك ليس ابتكاراً من عند
نفسي ، هذا ما نعرفه جميعاً ، ما أعلنه المسيح لنا .

آلين ايفانوفنا : نعم ، برأيك ، أن المسيح أعلن لنا هذا الشيء ،
وبرأيي أنه أعلن شيئاً آخر .

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن أن يكون ما أعلنه شيئاً آخر . انتظري ولا
تناقشي ، اصغي إليّ .

آلين ايفانوفنا : هيا ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أليس صحيحاً أننا قد نموت بين لحظة وأخرى
ونختفي في العدم ، أو نمتزج بالله الذي يطالب أن نحيا
بحسب مشيئته ؟

آلين ايفانوفنا : وبعد ؟

نيكولا ايفانوفتش : وبعد فما الذي أستطيع أن أفعله في حياتي غير
ما يطالبه القاضي الأعلى في نفسي ، ضميري والله ، إن
ضميري والله يطلبان أن اعتبر الناس متساوين ، وأن أحبهم
جميعاً وأن أخدمهم جميعاً .

آلين ايفانوفنا : وأولادك أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، وأولادي أيضاً ، لكن على أن أفعل كل
ما يأمرني به ضميري . المهم هو أن أفهم أن حياتي
ليست مأمكاً لي ، كما أن حياتك ليست مأمكاً لك ، وإنما
هي مأمك لله الذي أرسلنا والذي يطلب منا أن نصنع
مشيئته . ومشيئته . . .

آلين ايفانوفنا : هل ستقنع ماشا بذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : بكل تأكيد .

آلين ايفانوفنا : وهل ستكفّ عن تربية الأولاد كما يجب أن تفعل ،
وهل ستركهم ؟ أبداً ، لا .

نيكولا ايفانوفتش : لن تفهم هي فقط ، بل أنت أيضاً ستفهمين
أنّ ليس هناك شيء آخر نفعاًه .

آلين ايفانوفنا : أبداً ، لا .

(تدخل ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : وبعدُ ، يا ماشا ، ألم أوقظك هذا الصباح ؟

ماري ايفانوفنا : لا ، لم أكن أنام . وهل أنت مسرور من سفرتك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجل ، جدّ مسرور .

ماري ايفانوفنا : لماذا تتناوله بارداً ؟ بالمناسبة ، يجب إعداد الشاي
لزوآرنا . هل عامت ؟ ستصل السيدةُ تشير بمشانوف مع
ابنها وابنتها .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إن كان ذلك يسرّك فأنا سعيد .

ماري ايفانوفنا : نعم ، وأنا أحبّها كثيراً هي وولداها . لكن اختيار
الوقت لم يكن مناسباً جداً .

آلين ايفانوفنا ، ناهضة : تستطيع أن تتحدّث معها وأنا سأتفرّج على
اللعب .

(تذهب . صمتٌ ، يبدأ بعده نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا

الحديث) .

ماري ايفانوفنا : الوقت غير مناسب ، لأننا بحاجة إلى الحديث .

نيكولا ايفانوفتش : قاتْ لآلين قبل قليل . . .

ماري ايفانوفنا : ماذا قلت ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، تكأني ، أنت .

ماري ايفانوفنا : لكنني أحببتُ أن أكاآمك بشأن ستيوبا . يجب أن نقرّر شيئاً . فالمسكين طال انتظاره ليعلم ماذا سيفعل . جاء ليطلب مشورتي ، لكنني لا أستطيع أن اتخذ قراراً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس هناك ما نقرره . يستطيع أن يقرّر هو نفسه .

ماري ايفانوفنا : لكناك تعلم أنه يريد التطوع في الحرس الامبراطوري ، ولا بد لذلك من شهادة منك ، ثم إن عايله أن يُنفق على نفسه وأنت لا تريد أن تعطيه شيئاً .

(تضطرب) .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، بجاد الله ، لا تضطربي ، لكن اصغي إليّ . ليست المسألة أنني أعطي شيئاً أو لا أعطي . أنا أعتبر أن التطوع للخدمة العسكرية برضاه التام عملٌ أباه ، وأحمق ، لا يمكن أن يكون سوى فعل رجل متوحش ، إن لم يفهم فظاعة هذا الفعل ؛ أو سوى ندالةٍ إن فعلَ ذلك لغاية محسوبة .

ماري ايفانوفنا : كل شيء الآن حمقٌ وتوحشٌ عندك . لكنه بحاجةٍ إلى أن يعيش . ولقد عشتَ أنت .

نيكولا ايفانوفتش ، متحمساً : عشتُ عندما لم أكن أفهم ، عندما لم يكن أحدٌ قد قال لي شيئاً ؛ لكن المسألة مسألته لا مسألتي .

ماري ايفانوفنا : كيف ؟ بل مسألتك لأنك لا تعطيه مالا .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أعطي ما لا يخصني .

ماري ايفانوفنا : كيف ، ما لا يخصك ؟

نيكولا ايفانوفتش : كدّ الآخرين لا يخصني . والمال الذي سأعطيه إياه ، لا بدّ أن آخذه من الآخرين . ليس لي الحق في ذلك ، وليس بوسعي أن أفعله . وما دمتُ أنا أديرُ أملاكِي ، فاستُ أستطيع أن أديرها إلا كما يأمرني ضميري . لا أستطيع أن أعطي كدّ الفلاحين الذي يشتغلون بكل قواهم للإنتاج على تهتك خيالة الحرس . خذني أملاكِي فلا أعود مسؤولاً بعد ذلك .

ماري ايفانوفنا : أنت تعلم جيداً أنني لا أريد ذلك ، وأنني لا أستطيع ذلك . فعليّ أن أربي أولادي وأطعمهم وأن أضعهم . وذلك قاسٍ .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، يا عزيزتي ، ليس هذا هو الموضوع . فعندما بدأت الكلام أردتُ أنا نفسي أن أتحدث معك بقاب مفتوح . فالأمور لا يمكن أن تستمرّ على هذا المنوال ، نحن نعيش معاً من غير أن نتفاهم . وكأننا نتعمد تعمداً عدم التفاهم ، في بعض الأحيان .

ماري ايفانوفنا : أودّ لو أفهم ، لكنني لا أفهمك . لا أفهم ما الذي جرى لك .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! حاولي أن تفهمي . الوقت غير مناسب ، لكن الله أعلم متى يحين الوقت . حاولي ، لا أن تفهميني فحسب ، بل أن تفهمي نفسك أيضاً ، أن تفهمي الحياة . لاننا لا ينبغي أن نعيش هكذا دون أن نعرف لماذا .

ماري ايفانوفنا: لقد عشنا هكذا ، وعشنا عيشةً حسنةً . (تلاحظ حركة تنم على الاغتيال) : طيّب ، طيب ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أنا عشتُ هكذا ، هكذا ، أي دون أن أفكر في التساؤل : لماذا كنتُ أعيش ، ثم آن الأوان ، وشعرتُ بالفضاعة . فاعلمي أننا نعيش من نتاج عمل الآخرين، نشتغل الآخرين لمصلحتنا ، ونضعُ أولاداً في العالم ونربيهم ليفعلوا كما نفعل . وعندما تأتي الشيخوخةُ ويأتي الموت سأتساءل لماذا عشتُ ؟ لأكثرَ الطفيليين مثلي ؟ ثم إن هذه الحياة ليست بهيجةً . وهي محتملة مادامت طاقةُ الحياة تتدفق منا ، كما هي الحال عند فانيا .

ماري ايفانوفنا: لكنّ جميع الناس يعيشون هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : وجميع الناس بائسون .

ماري ايفانوفنا: لا ، أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : أنا من جهني رأيتُ أنني كنتُ في غاية البؤس . وأنتي سبب بؤسك وبؤس الأولاد ، وتساءلتُ : أمن الممكن أن يكون الله قد خلقنا من أجل ذلك ؟ وما ان فكرت في ذلك حتى شعرتُ أن لا ؛ وتساءلتُ حينئذٍ مرة أخرى : لمَ خلقنا الله إذن ؟

(يدخل خادم . تنصرف ماري ايفانوفنا عن زوجها وتخطب

الخادم) .

ماري ايفانوفنا: مات قشدةً مغايةً .

نيكولا ايفانوفتش : رأيتُ الجوابَ في الإنجيل ؛ وهو أننا لا ينبغي

أن نعيش لأنفسنا . غدا ذلك باديهاً تماماً عندما فكرتُ
في مثل الكرامين . أتعرفين هذا المثل ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرفه . الفعّاة . . .

نيكولا ايفانوفتش : أظهر لي هذا المثلُ ، بشكل أوضح من أي
شيء آخر ، فيم كان يكمنُ خطئي . كنتُ أظنُّ مثل
هؤلاء الكرامين أن البستان ماكي ، وأن حياتي لي ، وكان
ذلك شنيعاً ؛ لكن ما ان فهمت أن حياتي ليست مأكلاً لي ،
وأنني أرسلتُ إلى العالم لأتمم عمل الله . . .

ماري ايفانوفنا: لكننا نعلم ذلك كته .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنّا نعرفه فلا يجوز أن نظل نحيا كما نحيا ،
إذ أن حياتنا بأكمائها لا تقوم على عدم إتمام مشيئته ، بل
على عكس ذلك ، على مخالفتها باستمرار .

ماري ايفانوفنا: في أي شيء نخالف مشيئته إذا كنّا نعيش دون أن
نُسيء إلى أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش ، كيف « دون أن نُسيء إلى أحد ؟ بهذه الطريقة
عينها كان الكرامون يفهمون الحياة . لأننا . . .

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرف هذا المثل . حسناً ! لقد أعطى لكل واحد
حصّةً مساوية لغيره .

نيكولا ايفانوفتش ، بعد صمت : لا ، ليس الأمرُ كذلك لكن اسمعي
هذا الشيء ، ماشا . فكّري أننا لا نعيش إلا مرة واحدة ،
وأننا نستطيع أن نعيش حياتنا بقداسة أو نَفْقدها .

ماري ايفانوفنا: ليس بوسعي أن أفكر . فأنا أقضي الليالي مستهدة ،
أرضع الصبي ، وأدير شؤون المنزل ، وبدلاً من أن
تساعدني ، تقول لي أشياء لا أفهمها .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا !

ماري ايفانوفنا: وفوق ذلك هذه الزيارات .

نيكولا ايفانوفتش : سننتهي بالاتفاق . (يقبأها) . أليس كذلك ؟

ماري ايفانوفنا: أجل . لكن ، كن كما كنت قديماً .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، لكن اصغي .

(تسمع أصوات الجلاجل ومركبة تدنو) .

ماري ايفانوفنا: لا وقت لدي ، الآن . سأذهب لملاقاتهم .

(تغيب خلف ركن المنزل . يتبعها ستيوبا ولوبا . تبدو آلين

ايفانوفنا وزوجها وليز على المصطبة ، نيكولا ايفانوفتش

يمشي ذهاباً وإياباً ، غارقاً في أفكاره) .

فانيا ، قافرا من فوق المقعد : لم أترك اللعب ، سننتهي . لوبا ! ماذا !

لوبا ، جادة المظهر : أرجوك أن تكف عن مزاحك .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل أقنعتها ؟

نيكولا ايفانوفتش : آلين ، كل ما يجري بيننا بالغ الأهمية ، والمنزح

في الوقت الحاضر ليس في مكانه . لست أنا الذي يحاول

أن يقنع ، بل الحياة ، بل الحقيقة ، بل الله . هذا الذي

يمكنه أن يقنع ، وإذن فمن المستحيل ألا تقنع ، غداً

إن لم يكن اليوم ، وأن لم يكن غداً ، فسيكون ... شيء

رهيب أن الناس لا يماكون إلا القليل من الوقت . ومن
جاء ؟

بطرس سيمينوفتش : آل تشيريمشانوف . كاتيش تشيريمشانوف التي لم
أرها منذ ثمانية عشر عاماً . آخر مرة التقينا فيها غشينا معاً
لحناً ثنائياً : « سيشدّ كل منا على يد الآخر » (١) .
(يغني)

آلين ايفانوفنا ، لزوجها : أرجوك ألا تقاطعني ولا يذهب بك التصوير
أنني سأختلف مع نيكولا . أقول لك الحقيقة . (لنيكولا
ايفانوفتش) . لست أمزح على الإطلاق ؛ لكن يبدو
لي غريباً أن تنوي إقناع ماشا في اللحظة نفسها التي
عزمت فيها على الحديث معك .

نيكولا ايفانوفتش : طيب ، طيب . هاهم أولاء . قولي لماشا ،
أرجوك ، إنني سأكون في غرفتي .
(يخرج) .

ستار

(١) على يد الآخر : لحن ثنائي مشهور في اوبرا دون جوان لموزار .

الفصل الثاني

« في الريف ، بعد ثمانية أيام . تمثل خشبة المسرح صالة كبيرة ،
المائدة مُعدّة . سماور ، شاي وقهوة . على مقربة من الجدار بيانو
وأدراج للموسيقا .

المشهد - ١ -

« ماري ايفانوفنا ، الأميرة وبطرس سيمينوفتش على الطاولة » .

بطرس سيمينوفتش : آه نعم ! يا أميرة . يبدو أنك منذ زمن قريب
كنت تغنين روزين (١) ، بينما أنا ... أنا عاجز الآن
عن أن أغني حتى لحن دون بازيلاو (١) .

الأميرة : ابناي يستطيعان أن يغنّيا الآن ، لكننا في زمن آخر .

بطرس سيمينوفتش : نعم ، في زمن وضعي . لكن الأميرة ، بنتك ،
تعزف بجِد ، عزفاً حسناً جداً . أما يزالون جميعاً نائمين ؟

ماري ايفانوفنا : أجل* ، ذهبوا أمس مساء في نزهة على الجياد ، في
ضوء القمر . وعادوا في وقت متأخر جداً . كنتُ أُرْضعُ
الصغير ، وسمعتهم يدخلون .

بطرس سيمينوفتش : ومتى ستعودُ زوجتي الكريمة ؟ هل أرسلاتِ
المركبةَ لتأتي بها ؟

(١) روزين ودون بازيلو : شخصيتان في حلاق اشيلية ، اوبرا روسيني .

ماري ايفانوفنا: اوه ! نعم ، ذهبتُ مبكرة . ولن تلبث طويلاً حتى تعود .

الأميرة : أمن الممكن أن آلين ايفانوفنا ذهبتُ فقط لتعود بالأب جيراسيم ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، هذه الفكرة خطرتُ لها أمس وذهبتُ إليه على الفور .

الأميرة : أية طاقة ! أنا معجبة بها .

بطرس سيمينوفتش: اوه ! أما الطاقة فليست هي التي تنقصنا . (يأخذ سيجاراً) . على كل حال ، سأذهب لأدخن ولأترزّه مع الكلاب ريثما ينهض الشباب من نومهم .

(يخرج) .

الأميرة : لعلّي مخطئة ، يا عزيزتي ماري ايفانوفنا ، لكن يبلو لي أنك مهمومة بذلك كاه أكثر من اللازم . وأنا أفهم ذلك . إنه سمو روعي عظيم . لكن ماذا يضريك . لو أعطى الفقراء ؟ إننا نفكر أكثر مما ينبغي بأنفسنا .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لو أن الأمر بقي هنا ؛ لكنك لا تعرفينه ، ولا تعلمين كل شيء . ليست المسألة مسألة إعانة الفقراء ، بل إنها انقلاب تام ، هدم كل شيء

الأميرة : لا أريد أن أتدخل في حياتك العائلية ، لكن لو سمحت ... ماري ايفانوفنا: كلا ، إنني اعتبرك من العائلة ، ولا سيما الآن .

الأميرة : كنتُ سأُنصَحُك أن تقولي باخلاص وبصدق ما ترغبين فيه وأن تتفاهمي معه . . . إلى بعض الحدود . . .

ماري ايفانوفنا ، بصوت متفعل : لا حدودَ هنا . إنه يريد أن يعطي كل شيء . يريدني الآن ، في سني ، أن أغدو طاهية وغاسلة .

الأميرة : هذا لا يُصدق ! هذا مذهش !

ماري ايفانوفنا ، مخرجة رسالةً : نحن وحدنا ، وأنا سعيدة أن أكشف لك عن نفسي . لقد كتبَ إلي رسالةً . سأقرأها عليك .

الأميرة : كيف ، تعيشان تحت سقف واحد ويكتبُ إليك رسائل ؟ غريب .

ماري ايفانوفنا : لا ، أنا أفهم هذا . إنه يفعل ما دام يتكلّم . وأنا قلقة . في هذه الآونة الأخيرة ، على صحته .

الأميرة : وماذا كتبَ إليك ؟

ماري ايفانوفنا : اسمعي ! (تقرأ) . « تلوميني لأنني أفسدت نظام حياتنا القديمة ، وأنني لا أعطي شيئاً مقابل ذلك ، وأنني لا أقول ما الذي أستطيع أن أفعله لتنظيم حياة عائلتي .

عندما نتكلم نفقد رباطة جأشنا ، ولذلك أكتبُ إليك . لقد ذكرتُ لكِ مرات السبب الذي من أجله لا أستطيع أن أعيش كما عشتُ . أما إقناعك بأننا يجب ألاّ نعيش على هذا المنوال بل يجب أن نحيا حياةً مسيحيةً ، فذلك

يستحيل عليّ في رسالة . أنتِ بين اثنتين : إما أن تؤمني بالحقيقة وبالحرية وتمشي معي ؛ وإما أن تؤمني بي وتكلمي علي من غير تبصّر لتتعبيني » . (تقف عن القراءة) لا أستطيع أن أفعل هذا ولا ذاك . هذا ما عدا إنني سأعيش تماماً وفق إرادته . إنني أشفق على الأولاد ولا أستطيع أن اتكل عليه . (تقرأ) « وهذه هي خطّتي (١) : سنُعطي جميع أراضينا للفلاحين ، وسنحتفظ بخمسين هكتاراً وببستان الفاكهة كله ، وأيضاً بالمرج . وسنبذل وسنمنا لكي نزرعه بأنفسنا ، لكننا لن نجبر أنفسنا ولن نجبر أولادنا . وما سنحتفظ به سيغلّ علينا نحو خمس مئة روبل .

الأميرة : العيش بخمس مئة روبل ، مع سبعة أولاد ، أمرٌ مستحيل كلياً .

ماري ايفانوفنا : وانظري ، إنه يعرض فوق ذلك خطةً كاملة : أن نهبج بيتنا لنقيم فيه مدرسةً ، وأن نعيش نحن في كوخ البستاني ، في غرفتين . . .

الأميرة : بدأت أظن أيضاً أن هذا شيءٌ مرّضي . وبماذا أجبت ؟
ماري ايفانوفنا : قالتُ إن هذا متعذّر عليّ ؛ وأنني لو كنتُ وحدي

(١) وهذه هي خطّتي : من المفيد أن نذكر أن أحد أتباع تولستوي ، الأمير الشاب دميتري خيلكوف ، قد وزع في سنة ١٨٨٦ كل أملاكه على الفلاحين المجاورين ، ولم يحتفظ لنفسه إلا بحصة كحصة أحد الفلاحين ، وهي سبعة هكتارات ، لكي يفلحها بنفسه .

لتبعته حيثما ذهب ، لكن لا مع الأولاد . تصوري :
إنني أَرْضع نيكولا الصغير . قلتُ له : لا يمكن أن
تحطم هكذا كل شيء . أمِن أجل هذا تزوجت ؟ وقد صرتُ
ضعيفة ، وتقدمتُ في السن . وليس بالسهل أن تضعَ
المرأة تسعة أولاد وترضعهم .

الأميرة : لكنني لم أكن أتصور إطلاقاً أن الأمور بلغت هذا الحد .

ماري ايفانوفنا : بقيت الأمور بيننا هنا ، ولستُ أتصور ما الذي
سينتجُ عن ذلك . لقد امتنع أمس أن يتسلم المزارعة من
فلاحي دميتروفكا وأراد أن يعطيهم الأرض .

الأميرة : يبدو لي أنك لا ينبغي أن تقبلي بذلك . نحن جميعاً مضطربون
أن ندافع عن أبنائنا . إذا كان لا يستطيع أن يملك الأرض
فليُنقلها إليك .

ماري ايفانوفنا : لكني لا أريد ذلك !

الأميرة : أنت مضطربة أن تفعلي ذلك من أجل أولادك . فليُسجل
الأموال باسمك .

ماري ايفانوفنا : قالت له أختي ذلك ، فأجاب أنه لا يملك الحق في
ذلك ؛ وأن الأرض لمن يفلحها ، وأنه مُكرَّهٌ على نقلها
إلى الفلاحين .

الأميرة : أرى الآن أن الأمور أعظم خطراً مما كنتُ أظن .

ماري ايفانوفنا : والكاهن يشاطره آراءه .

الأميرة : نعم ، لاحظتُ ذلك أمس .

ماري ايفانوفنا : من أجل ذلك ذهبتُ أختي إلى موسكو . أرادت أن

تستشير كاتباً عدلاً ، وأن تأتي ، على الخصوص ، بالأب

جيراسيم ، لكي ينصحه .

الأميرة : أعتقد مع ذلك أن المسيحية ليست في أن يدمر المرء عائلته .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لن يقبل الاستماع إلى الأب جيراسيم . فهو

قوي الإرادة ، كما تعلمين ، وإذا تكلم فأنا لا أحسن

الردّ عليه . القطيع في الأمر هو أنه يبدو لي مُحَقَّقاً .

الأميرة : ذلك لأنا نحبّينه .

ماري ايفانوفنا: لا أعلم لماذا ، لكن ذلك رهيب ، رهيب . كل شيء

باق بلا حلّ . هذه هي المسيحية !

مربية الولد ، داخلة: من فضلك ، يا سيدي ، الطفل بطلبك ،

لقد استيقظ .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية في الحال . أنا قلقة وهذا يُمرّضه . أنا آتية ،

أنا آتية .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً من باب آخر ، ممسكاً بورقة . لا ، هذا

مستحيل !

ماري ايفانوفنا: وما ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : انظري . من أجل صنوبرة حقيرة نخضنا ،

سيذهب بطرس إلى السجن .

ماري ايفانوفنا : وكيف ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجل ! قطعها ، واشتكي عايتها إلى قاضي الصلح

الذي حكم عايتها بالسجن لمدة شهر . وامرأته تتوسّل .

ماري ايفانوفنا: ألا يمكن أن تفعل شيئاً

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن الآن ؛ وليس هناك سوى شيء واحد ،
ألا يبقى لدينا أخشاب ، ولن يبقى لدي . اكن ما
العمل ؟ سأذهب إليه وسأرى إن أمكنت مساعدته ...
لنصلح ما فعلناه نحن أنفسنا .

(تدخل لوبا ومعها بوريس) .

لوبا : طاب يومك ، بابا . (تقبله) . أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : جئت من القرية وسأعود إليها . ففيها يساق
بائسٌ جائع إلى السجن ، لأنه ...

لوبا : بطرس ، بدون شك ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هو بطرس .

(يخرج)

لوبا ، جالسة قرب السماور : شاي أم قهوة .

بوريس : سيان .

لوبا : نجد الشيء نفسه دائماً . لا أتوقع نهاية لذلك كله .

بوريس : لست أفهم هذا . أعلم أن الشعب فقيرٌ وجاهلٌ ، وأن من
الواجب مساعدته ، لكننا لا نساعده بتشجيع اللصوص .

لوبا : كيف نساعده إذن ؟

بوريس : بنشاطنا كاملاً . نستطيع أن نكرس معارفنا كلها لخدمته ،
لكن لا يجب أن نعطي حياتنا .

لوبا : لكن بابا يزعم أن هذا بالضبط هو ما يلزمه .

بوريس : لست أفهم المساعدة هكذا ؛ يمكن أن نخدم الشعب دون أن نفقدهم حياتنا . وهكذا أريد أن أنظم حياتي . لو أفلت فقط . . .

لوبا : أريد ما تريده ، ولست أخشى شيئاً .

بوريس : لكن هذه الأقراط وهذه الزينة ؟

لوبا : الأقراط نستطيع أن نبيعها ، أما الزينة فيمكن أن تكون مختلفة ، دون أن تكون مع ذلك بشعة .

بوريس : أنا أتمنى أن تحدث معه مرة أخرى . أتظنين أنني لن أكون فضولياً لو ذهبتُ إلى القرية لألقاه .

لوبا : أبداً لا . أظن أنه قد أخذ يحبك وأنه كان يخاطبك على الأغلب ، أمس .

بوريس : حسناً ! سأذهب إليه .

لوبا : إذهب ، وأنا سأوقظُ ليز وتانيا .

(يفترقان)

المشهد - ٢ -

« شارع . ايغان زيابريف ، ممدد على الأرض قرب كوخه ، وهو مغطى بمعطف من جلد الخروف » .

ايغان : ميلاني !

(تخرج بنتٌ صغيرةٌ من الكوخ . حاملة رضيعاً على ذراعيها .
والرضيع يبكي) .

هاتي ماءً : للشرب !

(تدخل ميلاني الكوخ ، يُسمعُ صراخ الرضيع . تَحْمِلُ الماءَ) .
لماذا تضررين الصغير حتى يصرخ ؟ سأقول ذلك لأمتك .

ميلاني : قل ذلك لأمي ، إنه يبكي لأنه جائع .

ايفان ، يشرب : كان يمكنك أن تطلبي حليباً من آل ديومكين .

ميلاني : ذهبتُ إليهم فلم أجدُ حليباً . على كل حال : لا يوجد
أحدٌ في البيت .

ايفان : آه ! ليت الموتَ يَسْتَعْجِل ! هل دقَّ جرسُ العشاء ؟

ميلاني ، صارخة : لقد دقَّ . ها هو السيدُ يعود .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : لم أنتَ هنا ؟

ايفان : الذباب كثيرٌ واطقسُ حار .

نيكولا ايفانوفتش : وهل دقيقتُ أخيراً ؟

ايفان : إنني أشتعل الآن كأنني في نار .

نيكولا ايفانوفتش : وأين بطرس ؟ أهو هنا ؟

ايفان : وكيف يكون هنا ، في مثل هذا الوقت . ذهب إلى الحقول
مع طنبره ، ليُحْمَل حزم الشوفان .

نيكولا ايفانوفتش : وما هذا الذي قالوه لي من أنهم سيسوقونه إلى
السجن ؟

ايفان : لا شك ، ذهب الدركي ليحذره من الحقول .
(في هذه اللحظة تبرز فلاحه " حبلي " وهي تحمل حزمة من الشوفان
ومشطاً ، ولا تلبث أن تبدأ بهرب ميلاني على قذالها) .

الفلاحه : لماذا تركت الصغير يبكي ؟ أتسمعيه يبكي ؟ لا تفكرين
إلا في التسكع في الشارع .

ميلاني ، تزعق : خرجت للتو . طلب أبي ماء للشرب .

الفلاحه : سأرياك ! . . . (تشاهد المعلم) . طاب يومك ،
يا معاتمة ، نيكولا ايفانوفتش . ما هذا الشقاء معهم !
إني أتعذب ، وأنا وحدي في كل شيء . وها لأنهم
يسوقون إلى السجن العامل الوحيد ، في حين يظل هذا
الخامل نائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا تقولين ؟ هو مريض !

الفلاحه : هو مريض ، وأنا لست مريضة ! إذا لزم العمل مريض ،
لكنه يشفى من مرضه إذا فسق أو إذا جرت من شعري .
فليمت كالكلاب ، ماذا يعني من ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألا تحجلين ؟

الفلاحه : أعلم أن ذلك خطيئة ، لكنني لا أستطيع أن أسكت
قلبي . أنا حبلي ، وأنا اشتغل عن اثنين ! الآخرون أنهوا
الحصاد . وما يزال عندنا الكثير للحصاد . لا بد من
الانتهاء ، لكن هذا مستحيل . ويجب أن أهود إلى المنزل
لأرى ما الذي حل بالصغار .

نيكولا ايفانوفتش : سيُحصدُ الشوفانُ هناك ، وسأُدفعُ أجرةَ
الحصاد ، وسأطلبُ حزمه .

الفلاحة : الحزْمُ ليس شيئاً ، سأحزمُ أنا نفسي ، على شرط أن
يُحصدَ الشوفان . ما رأيك ، نيكولا ايفانوفتش ، هل
سيموت ؟ يبدو لي مشرفاً على الموت .

نيكولا ايفانوفتش : لا أدري . آه ! حقاً ؛ إنه يبدو مشرفاً على الموت !
أرى أن الأفضل نقله إلى المستشفى .

الفلاحة : اوه ! ياربي (تأخذ بالزعيق) . لا تنقله ؛ ليَمِتْ هذا
(لزوجها) . ماذا تريد ؟

ايفان : اودّ أن أذهب إلى المستشفى . أنا هنا أسوأ من الكلب .

الفلاحة : لم أعد أعرف ما أفعل . فقدتُ صوابي . ميلاني ، حضّري
المشاء .

نيكولا ايفانوفتش : وما عندكم للمشاء ؟

الفلاحة : ماذا تريدُ أن يكون عندنا ؟ بطاطا وخبز . لكننا لا نجد
ما نأكله .

(تدخل الكوخ ، تُسمع همهمةُ الخنزير وصراخ الأولاد) .

ايفان ، متأوهاً : اوه ! ياربي ، على شرط أن يحتفظني الموتُ بأسرع
وقت !

بوريس ، داخلاً : ألا أستطيع أن أنفَعكم بشيء ؟

نيكولا ايفانوفتش : هنا ، لا سبيلَ إلى نفع الآخرين . فالشر شديدُ
التأصل . ولا يمكن أن ننفع إلا أنفسنا ، عندما نرى على

ماذا بنينا سعادتنا . هاهـ أسرة فيها خمسة أطفال ، والأم
حبي والأب مريض . ولا طعام عندهم سوى البطاطا ،
وفي هذه اللحظة تتقرر مسألة إن كانوا سيجدون ما
يأكلونه في السنة القادمة أم لا ؟ . من المستحيل مساعدتهم .
سأستأجر لهم عاملاً . لكن من سيكون ذلك العامل ؟
بائساً شبيهاً بهذا ، يترك فلاحته بسبب إدمان الخمر أو
بسبب الشقاء .

بوريس : عفوك ، لكن ماذا تفعل حين تأتي إلى هنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : آتي لأعرف وضعي الخاص : لأعرف من
يُعنى لي بالحدائق ، من يبني بيتي ، من يصنع ثيابنا ،
من يطعمنا ، من يلبسنا .

(يدخل فلاحون بمناجلهم ، وفلاحات معهن أمشاط . الجميع
يحثون) .

نيكولا ايفانوفتش ، مخاطباً أحد الفلاحين : ما رأيك أفريم ، ألا
ترضى أن تعمل بالأجرة لتحصد لهم ؟
الفلاح ، هازأ رأسه : أودّ ذلك من كل قلبي ، لكنني لا أستطيع ؛
ولم يُسْقِل حمصادي . ونحن نُسرع في نقله . لكن هل
سيموت إيفان ؟

فلاح آخر : ربما قبيل العجوز سيأسيان بهذا العمل ؟ ايه ! يا
جديتي ! يريدون أن يستأجروا عاملاً للحصاد ؟

سياسيان : اشتغل أنت ، إذا شئت . النهار اليوم يُطعم طوال
السنة .

نيكولا ايفانوفتش : جميعهم لا يشبعون ، يأكلونه الخبز مع الماء ،
وهم مَرْضَى ، وطاعنون في السن ، على الأغلب . انظر
إلى ذلك المعجوز هناك ، إن به فتنة يؤله ؛ وهو يعمل من
الرابعة صباحاً إلى العاشرة مساءً ، ويتنفس بمشقة . ونحن !
أيمكننا ، وقد فهِمنا ذلك ، أن نعيش مطمئنين ، وأن
نعتبر أنفسنا مسيحيين ؟ لا ، لا مسيحيين ، بل أيمكننا
فقط أن نعتبر أنفسنا مختلفين عن الحيوان ؟

بوريس : لكن ما العمل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألا نشارك في هذا الشر ، ألا نملا الأرض .
ألا نعيش من عملهم . أمّا كيف ننظم ذلك ، فاستأدري .
هذه هي المسألة قبل كل شيء ... هكذا جرت الأمور
معي على الأقل : كنت أعيش ولا أفهم كيف كنت أعيش .
لم أكن أعلم أنني ابن الله ، وأنا جميعاً أبناء الله وإخوة .
لكنني عندما فهمت ذلك ، عندما فهمت أن للجميع
حقوقاً متساوية في الحياة ، انقابت حياتي كلها .
على كل حال ، لا أستطيع أن أشرح لك ذلك الآن .
أحب أن أقول لك فقط : إنني كنت أعشى من قبل
كما أن أسرتي عمياء ، والآن انفتحت عيني .
ويستحيل عليّ ألا أرى . لكنني إذ رأيت ، فلا أستطيع
أن أستمّر في حياتي هكذا . على كل حال ، يجب أن نفعل
الآن ما يمكننا فعله .

(يظهر الدركي وبطرس وزوجته وصبي) .

بطرس ، جاثياً أمام نيكولا ايفانوفتش : سامحني بجاه المسيح ، لقد هلكْتُ . كيف تستطيع امرأتي أن تتخلص من هذا المأزق؟ لو أمكن أن يكفلني أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش : سأذهب إلى المدينة . وسأكتب طلباً (للدركي) . ألا يمكن تَرْكُهُ الآن ؟

الدركي : معي أمرٌ بسوقه إلى المركز .

نيكولا ايفانوفتش : اذهب ، سأستأجر أحداً ، سأفعل ما يمكن فعله . هنا ، أنا المجرم حقاً . كيف نعيش هكذا !

المشهد - ٣ -

« في الملكية نفسها . المطر يهطل . غرفة الاستقبال. تانيا جالسة إلى البيانو . عزفت؛ لتوها سوناتة لشومان . قرب البيانو يقف ستيوبا . بوريس جالس . لوبا ، ليز ، ميروفان إيرمياتش ، الكاهن ، انفعلوا .

لوبا : اللحن المتباطيء رائع !

ستيوبا : لا ، بل اللحن السريع . على كل حال كل ما فيها ساحر .

ليز : هذا حسن جداً .

ستيوبا : ماكنتُ أتصور أنك فنّانةٌ إلى هذا الحد . هذا عزف معلم حقيقي . من الواضح أن الصعوبات غير موجودة بالنسبة إليك . أنتِ معنية بالتعبير فقط ، وأنتِ تعبّرين بطريقة رقيقة ، على نحو رائع .

لوبا : ونبيلة .

تانيا : لكنني أحسّ أن ليس هذا ما كنتُ أتمنّاه وأن كثيراً من الأشياء ناقصة .

لينز : ماذا تطلبين أكثر من ذلك ؟ هذا عجيب !

لوبا : شومان جميل . لكن شوبان يهزّ أكثر .

ستيوبا : هو أكثر غنائية .

تانيا : لا يمكن المقارنة بينهما .

لوبا : أنتذكرين مقدّمته الموسيقية .

تانيا : تلك التي تحمل اسم جورج ساند .

(تعزف بدايتها) .

لوبا : ليست هذه ، هذه رائعة لكنها كثيرة التكرار ؛ اعزفي الأخرى .

(تانيا تعزف ما أمكنها أن تعزفه ثم تتوقف) لا ، هذه « بالري » الصغرى .

تانيا : آه ! تلك شي رائع ، كأنها العناصرُ قبل خلق العالم .

ستيوبا ، ضاحكاً : نعم ، نعم . اعزفي أيضاً ، أرجوك ، لكن ، لا . لا بدّ أنكِ تعبتي . نعمنا بصبيحة ممتازة ، بفضلك .

تانيا ، ناهضة وناظرة من النافذة : ها هم الفلاحون مرةً أخرى .

(١) اسم جورج ساند : ألفها شوبان في دير قديم في جزيرة مينوركا ، حيث قضى عدة أشهر مع جورج ساند .

لوبا : هذا الذي به تغدو الموسيقى ثمينة ، إني أفهم شاول . والشيطان لا يعذبني . لكني أفهم . ليس من فن في الدنيا يُنسِيك كل شيء كالموسيقا .

تانيا : وتزوجين برجل لا يفهم شيئاً في الموسيقا .

لوبا : بلى ، بوريس يفهمها .

بوريس ، بادِي الشroud : الموسيقا ! بلى ، أحبُّ الموسيقا . لا أهمية لذلك ، وأنا أغتاض قليلاً من الأهمية التي قد تتخذها في حياة الآخرين .

(يُقدِّم على الطاولة ملبسٌ فيتناول منه الجميع) .

لوبا : ما أحسن هذا . الخطيبُ هنا والملبسُ يُظْهر على الفور .

بوريس : آه ! أنا لا يد لي في هذا ، أمي هي التي بعثت به .

تانيا : أحسنتُ فعلاً . (تدنو من النافذة) . مَنْ تريدون ؟ هؤلاء هم الفلاحون . جاؤوا يقاباون نيكولا ايفانوفتش .

لوبا : لقد خرج . انتظروه .

تانيا : والشعر ؟

لوبا : لا ، الموسيقا ثمينة بكونها تستولي علينا ، وتلفنا وتَحْمانا إلى خارج الواقع . انظري ، كان كل شيء مظلماً ، فلما عزفت استنار كل شيء . لقد استضاء كل شيء حقاً . فإلسات شوبان مهما كرَّرت ، إلا أنها . . .

تانيا : خذي ، هذه . . .

(تعرّف) .

« يدخل نيكولا ايفانوفتش . يتبادل التحيات مع تانيا وستيوبا وليز ولوبا » .

نيكولا ايفانوفتش : أين الماما ؟

لوبا : أظنّ أنها في غرفة الأطفال . بابا ، لو تعلم ما أروع عزف تانيا . وأنت ، أين كنت ؟

نيكولا ايفانوفتش : في القرية .

ستيوبا ، ينادي الخادم الذي يدخل : هات سموراً آخر .

نيكولا ايفانوفتش مصافحاً الخادم : طاب يومك .

(يخرج الخادم مرتبكاً . يخرج نيكولا ايفانوفتش أيضاً) .

ستيوبا : مسكين آئناس . لقد اضطرب اضطراباً عميقاً . لم يفهم شيئاً من ذلك . بدا له أننا قد أذنبنا بشيء ما .

نيكولا ايفانوفتش ، عائد إلى الصالة : كنتُ ذاهباً إلى غرفتي ونسيتُ

أن أقول لكم ما أفكر فيه . أظنّ أنني أخطأتُ . (لتانيا) .

سامحيني إن كان ما أقوله يجرّحك ، لأنك ضيفنا ، لكنني

لا أستطيع أن امتنع عن التصريح به . كنتُ تقولين ، يا

لوبا ، إن الأميرة تعزف عزفاً رائعاً ؛ ها أنتم هنا سبعة

رجال ونساء أو ثمانية أصحاء ؛ نيمتُم حتى الساعة

العاشرة ، وشربتم وأكلتم ، وما زلتم تأكلون ، وتعزفون

وتتحدثون عن الموسيقى ؛ في حين أن الناس هناك ، من

حيث عدتُ في هذه اللحظة مع بوريس الكسيفتش ،

نهضوا منذ الساعة الثالثة صباحاً ، بل إن بعضهم لم ينم
 الليل ؛ المسنون ، والمرضى ، والضعفاء والأولاد ،
 والنساء اللواتي يُرضعن ، والنساء الحوامل ، يعملون
 بأقصى قواهم لكي نعيش نحن هنا من ثمار كدّهم ،
 وأكثر من ذلك : إن أحدهم ، وهو آخر عامل في الأسرة ،
 العامل الوحيد فيها ، سيُسَجَنُ بعد قليل ، لأنه قَطَعَ
 في هذا الربيع ، من الغاية التي يُزَعَم أنها لي ، صنوبرة
 من مئات آلاف الأشجار التي تنبت فيها . نحن هنا قد
 اغتسلنا جيداً ، ولبسنا جيداً ، وتركنا في غرفنا أوساخنا
 وكلّفنا بها عبيدنا ، وها نحن نأكل ونشرب ونتناقش
 حول شومان وشوبان ، لكي نقرّر من الذي يؤثر فينا
 أكثر ، ويطرد متاعبنا قبل غيره . فكّرْتُ في ذلك وأنا
 أمرّ قربكم ، ولذلك قلته لكم . فكّروا إذن : أيّجوز
 أن نعيش هكذا ؟

(ينهض مضطرباً) .

ليز : هذا حق ، هذا . حقّ .

لوبا : إذا فكّرنا هكذا ، فلا يمكن أن نعيش بعدُ .

ستيوبا : ولم ذاك ؟ لا أعلم لماذا لا نتكلّم عن شومان إذا كان
 الشعبُ فقيراً . هذا لا يَمْنَعُ ذاك . إذا كان الناسُ ...

نيكولا ايفانوفتش ، بغضب : إذا كان الإنسان بلا قاب ، إذا
 كان من خشب . .

ستيوبا : دَعْنَا ، سَأُسَكِت .

ثانيا : المسألة رهيبة ، إنها مسألةُ عصرنا ؛ يجب ألا نخشاها ، بل يجب أن نواجهها مواجهةً ، لنجدَ لها حلاً .

نيكولا ايفانوفتش : لا يجب أن نتوقع حلها بتدابير عامة . كل واحد منا قد يموت اليوم أو غداً ؛ فكيف نحيا دون أن نتألم من هذا الشقاق الداخلي الحميم ؟

بوريس : طبعاً ، ليس هناك سوى سبيل واحدة ، هو ألا نشارك في ذلك أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : ساعوني إذا جرحتكم . لم يكن بوسعي ألا أقول ما أشعر به .

(يخرج) .

ستيوبا : وكيف لا نشارك في ذلك أبداً ؟ كل وجودنا مرتبط به .

بوريس : هذا بالضبط ما قاله ؛ يجب قبل كل شيء ألا نملك شيئاً ، وأن نغيّر كل حياتنا ، وأن تحيا لا بحيث يخدمك الآخرون ، بل بحيث تخدم الآخرين .

ثانيا : هيا ، أرى أنك تبنيت تماماً أفكار نيكولا ايفانوفتش .

بوريس : نعم ، فهمتُها قبل قليل لأول مرة . ثم إن ما رأيتُ في القرية ... ما علينا إلا أن نرفع هذه النظارات التي ننظر بها إلى حياة الشعب وندرك صلة آلامهم بأفراحنا ، هذا كل ما في الأمر .

ميروفان ايرميليتش : نعم ، لكن الوسيلة ليست في إلغاء وجودنا .

ستيوبا : هذا مدعش : نحن وميروفان ايرمولتش في قطبين متعارضين ،

وقد اتفقنا . فكلماته نفسُ كلماتي : لا يجب أن نُأْخِي
حياتنا .

بوريس : بالتأكيد . فكلاكما ترغبان في أن تعيشا عيشةً رغيدة ،
ولذلك تريدان أن تنظما حياتكما بشكل يضمن هذا الرغد .
(لستيويا) أنتَ تريد أن تحافظ على النظام الحالي ،
وميتروفان إيرمليتش يريد أن يُغيّره .

(لوبا تحدثت ثانيا بصوت خفيض . فتذهب ثانيا رأساً إلى البيانو
وتعزف ليليةً من ليليات شوبان . يصمت الجميع) .

ستيويا : هذه جميلةٌ حقاً . هذه تحلّ كل شيء .

بوريس : بل إنها ستنتشر الظلام في كل شيء وتُعيد كلَّ شيء
إلى ما كان عليه .

(أثناء العزف تدخل ماري ايفانوفنا والأميرة بهدوء وتجانسان
لستمعا . قبل انتهاء الليلية يُسمع صوت الجلاجل) .

لوبا : هذه خالتي .

(تمضي إلى لقاءها . تستمرّ الموسيقى . تدخل آلين ايفانوفنا والأب
جيراسيم حاملاً صليباً على صدره ، ومعهما الكاتب العدل . ينهض
الجميع .

الأب جيراسيم : تابعي ، أرجوك ؛ فهذه الموسيقى لطيفة .

(تقترب الأميرةُ منه لتطاب مباركته ، وكذلك الكاهن الشاب) .

آلين ايفانوفنا : فعلاً ما كنتُ أنوي فعلاه من قبل . ذهبت إلى الأب
جيراسيم وأقنعتُهُ بالمجيء . سيُسافر إلى كورسك ،

نجحتُ في مشروعِي . الكاتبُ العدلُ هنا والأوراقُ جاهزة ،
ولم يبقَ سوى التوقيع .

ماري ايفانوفنا: ألا تريدان أن تتغدي . (يضع الكاتبُ العدلُ الأوراقَ
على الطاولة ويبتعد) . أنا ممتنةٌ جداً للأب جيراسيم .

الأب جيراسيم : ماذا تريدان مني ؟ ليس هذا هو طريقي تماماً ،
لكنني ، بشعوري المسيحي ، اعتبرتُ من واجبي أن آتي .

(تقول آلين أيفانوفنا بضع كلمات بصوتٍ خافتٍ للشباب .
يتشاورُ جميعُ الشباب ويذهبون إلى المصطبة ، ما عدا بوريس ؛ بهم
الكاهن أيضاً بالانصراف) .

الأب جيراسيم : ابقَ ؛ يمكنك أن تكون نافعاً ، كراعٍ وكأبٍ
روحي ، ويمكنك أن يُربحك هذا أيضاً . ابقَ إذا كانت
ماري ايفانوفنا لا تعارض في ذلك .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لا ، أحبّ الأب فاسيلي كأحد أفراد عائلتي .
وقد استشرتُه أيضاً ، لكن سلطته ما تزال محدودةً جداً ،
بسبب سنّه .

الأب جيراسيم : بالتأكيد ، بالتأكيد .

آلين ايفانوفنا ، تقرب : يا أب جيراسيم ، أنت وحدك القادر على
مساعدتنا وعلى إقناعه . إنه رجل ذكي ، عالم ، لكنك
تَعلم أن العالم أقرب إلى الضرر ، في هذه الحالة . المسألة
عنده نوعٌ من الضلال . فهو يزعم أن الإنسان لا ينبغي أن
يملك شيئاً ، بحسب العقيدة المسيحية . هل هذا ممكن ؟

الأب جيراسيم : الإغواء ، وكبرياء الفكر ، والعصيان ، كل ذلك
شَرَحَهُ آباءُ الكنيسة شرحاً وافياً . لكن كيف وقع
ذلك كله ؟

ماري ايفانوفنا : إن كان لا بدّ من رواية كل شيء ... عندما تزوّجنا
كان غير مبال بالدين ، وعشنا هكذا ، عشنا عيشة
حسنة ، أفضل سني حياتنا ، العشرين سنة الأولى . ثم
أخذ يفكر . ولعل ذلك كان بتأثير أخته أو قراءاته ، لكنه
أخذ يفكر ويقرأ الإنجيل ، وحينئذ أصبح متديناً جداً ،
وأخذ يتردّد على الكنائس والأديرة . ثم هجر كل شيء
فجأةً ، وغير نمط حياته كلياً ؛ وأخذ يعمل بنفسه ،
وهو لا يسمح للخدم بخدمته ، وعلى الخصوص وزّع
ثروته . وهبّ أمس غابةً وأرضاً . أنا خائفةٌ . فعندي
ستة أولاد . كلمته . سأسأله إن كان يرغب في مقابلتك .
(تخرج) .

الأب جيراسيم : كثيرون في أيامنا يتعدون عن الكنيسة . هل الثروة
له أو لزوجه ؟

آلين ايفانوفنا : له ، وهذه هي المصيبة .

الأب جيراسيم : ما رقبته ؟

الأميرة : رقبته ليست ذات شأن . أظنه كان نقيباً .

الأب جيراسيم : كثيرون يتعدون هكذا . كان ، في اوديسا ، سيدة
شغفت باستحضار الأرواح ، وبدأت تُسمي كثيراً .
لكن الله ردّها إلى أحضان الكنيسة .

الأميرة : وافهم ، على الخصوص ، هذا الشيء ، سيتزوج ابني
بابنته . وقد وافقتُ على ذلك . لكن البنت تعودت الترف ،
ويجب أن تكون حياتُها مضمونة ، لا أن تكون عبئاً ثقيلاً
على ابني ، بالرغم من أنه شابٌ شغيلٌ ومرموقٌ من كل
الوجوه .

(تدخل ماري ايفانوفنا ، يتبعها نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : طاب يومك ، يا أميرة . (للكاهن) . اعذرني ،
ما اسمك ؟

الأب جيراسيم : ألا ترغب في أن أباركك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا أرغبُ في ذلك .

الأب جيراسيم : اسمي جيراسيم فيودوروفتش . أنا سعيدٌ جداً .
(يقدم خادمٌ وجبةً طعام خفيفة وخمراً) . الطقس
لطيف ومساعدٌ على الحصاد .

نيكولا ايفانوفتش : أظن أنك جئتَ بناءً على دعوة آلين ايفانوفنا
لكي أنصرف عن أخطائي وأعود إلى الطريق المستقيمة .
وإذا كان الأمرُ كذلك ، فمن غير المجدي سلوك سبل
ملتوية ، والأفضل الاتجاهُ رأساً إلى الهدف . لستُ أنكر
أنني على خلافٍ مع تعاليم الكنيسة ، كنتُ فيما مضى
مؤمناً بهذه التعاليم ، ثم أقفَعْتُ عن هذا الإيمان ؛ لكنني
أطالبُ من كل قلبي اتباع الحقيقة ، وسوف أقبلُ بها على
الفور ، إن أريتنِي إياها .

الأب جبراسيم : كيف يمكنك أن تقول : إنا لا نؤمن بتعاليم الكنيسة ؟
وبماذا يمكن أن نؤمن ، إن لم يكن بالكنيسة ؟

نيكولا ايفانوفتش : بالله وشرعته التي أعطينا إياها في الإنجيل .

الأب جبراسيم : الكنيسة تعالّم هذه الشريعة .

نيكولا ايفانوفتش : لو كانت تعالّمها لآمنت بها ، لكنها تعالّم الضدّ .

الأب جبراسيم : لا يمكن للكنيسة أن تُعالّم الضدّ . لأن الربّ ذاته
قد أقامها ؛ وقد جاء : « أعطيكُم سلطاناً ، وشياطين
الجحيم لا يقدرُون أن يغلبوكُم » .

نيكولا ايفانوفتش : قيل هذا بمناسبة شيء آخر تماماً . وإذا اعترفنا
حتى بأن المسيح أقام كنيسة ، فكيف أستطيع أن أعلم
أنها كنيستكم بالذات ؟ . .

الأب جبراسيم : لأنه قد جاء : « حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ... »
نيكولا ايفانوفتش : وهذا أيضاً قيل بمناسبة شيء آخر ولا يدلّ على
شيء .

الأب جبراسيم : كيف يمكن أن ننكر الكنيسة ؟ فهي وحدها تملك
النعمة .

نيكولا ايفانوفتش : لم اتنكر لها حتى اقتنعتُ بأنها تسند ما هو ضدّ
المسيحية .

الأب جبراسيم : لا يمكن أن نُخطئ لأن الحقيقة فيها وحدها .
الذين ابتعدوا عنها هم في الخطأ ، أما الكنيسة فمقدّسة .

نيكولا ايفانوفتش : قاتُ لك لأنني لا أعترف بذلك ، لأنه قد جاء

في الإنجيل « من أعمالهم تعرفونهم ، من ثمارهم تعرفونهم »
وقد علمتُ أن الكنيسة تبارك اليمين ، والقتل ، والإعدام .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعترف بالسلطات التي أقامها الله ، وتباركها ..
(أثناء هذا الحديث يدخل بالتتالي : ستيوبا ، لوبا ، ليز ، تانيا ،
يتخلّون أماكن لهم ويجاسون ليستمعوا) .

نيكولا ايفانوفتش : أعام أنه لم يجيء في الإنجيل فقط « لا تقتل » ،
بل قد جاء : « لا تغضب » . والكنيسة تبارك الجيوش .
جاء في الإنجيل : « لا تحلف » ، والكنيسة تطاب اليمين .
وجاء في الإنجيل . . .

الأب جيراسيم : عَقُوكَ . عندما يقول بيلاطس : « أحلفك بالاله
الحي » يعترف المسيح باليمين مجيباً : « أنتَ قاتَ ذلك ،
أنا هو » .

نيكولا ايفانوفتش : دَعَاكَ من هذا ، ماذا تقول ؟ هذا مُضحكٌ حقاً !
الأب جيراسيم : ولذلك فالكنيسةُ لا تسمحُ لكل واحد أن يفسّر
الإنجيل ، لكي لا يضلَّ ؛ إنها حريصةٌ على أبنائها كالأم ،
وتقدّم لهم التفسيرات الملائمة لوسائلهم . لا ، دَعْنِي
أنه كلامي . الكنيسة لا تُرهق أبنائها بأحمال فوق
طاقاتهم ، لكنها تطالب إتمام الوصايا ؛ أَحِبَّ ، لا تقتلْ ،
لا تسرقْ ، لا تزنِ .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تقتلني ، لا تسرقْ مني ما سرقته .
نحن جميعاً سرقنا الشعب ، سرقنا منه الأرض ، ثم

أَسَسْنَا القانونَ ، القانون الذي يمنع السرقة . والكنيسةُ
تبارك ذلك كله .

الأب جيراسيم : الإغواء والكبرياء والروح تتكلم فيك . أنت بحاجة
إلى أن تتباهى بروح الكبرياء .

نيكولا ايفانوفتش : كلا ؛ أنا أسألك كيف ينبغي لي أن أتصرف
بموجب الشريعة المسيحية ، عندما أعترف بأنني أثمتُ
حين نهبتُ الشعب واستوليتُ على الأرض . ماذا ينبغي
أن أفعل ؟ أأستمر في امتلاك الأرض ، فأستفيد من عمل
الحياء ، وأعدتهم لهذا الشيء (يشير الخادم الذي يقدم
الوجبة والخمر) . أو أعيدُ الأرض إلى الذين انتزعها
منهم أجدادي .

الأب جيراسيم : يجب أن تتصرف بحسب ما يابق بابن الكنيسة . لك
أسرةٌ وأولاد ، فعليك أن تنفق عليهم وتربيتهم بحسب
طبقتهم .

نيكولا ايفانوفتش : لماذا ؟

الأب جيراسيم : لأن الله قد وضعك في هذا الوضع . وإذا شئت أن
تفعل الخيرَ فافعله ، أعطِ جزءاً من ثروتك ، رُزْ
الفقراء

نيكولا ايفانوفتش : وما الذي قيل ، مع ذلك ، للشباب الغني : إن
الغني لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات (١) ؟

(١) ملكوت السموات : الا استشهاد غير دقيق متى ١٩ - ٢٣ .

الآب جبراسيم : لقد جاء : « إذا شئت أن تكون كاملاً » .

نيكولا ايفانوفتش : لا ريب أنني أريد أن أكون كاملاً . فقد جاء في الإنجيل : « فكونوا أنتم كاملين ، مثل أبيكم السماوي » .

الآب جبراسيم : يجب أن نفهم أيضاً بأية مناسبة قيل هذا .

نيكولا ايفانوفتش : أنا أسعى أيضاً إلى أن أفهم . وكل ما قيل في الموعدة على الجبل ، بسيطٌ ومفهوم .

الآب جبراسيم : هذه كبرياء الروح .

نيكولا ايفانوفتش : لكن أين الكبرياء إذا كان قد قيل : إن ما أخفي عن الحكماء قد أظهر للصغار ؟

الآب جبراسيم : أظهر للمتواضعين لا للمتكبرين .

نيكولا ايفانوفتش : لكن مَنْ المتكبر ؟ أهو أنا ، وأنا أعتبر نفسي إنساناً كسائر الناس ، إنساناً ينبغي أن يعيش بسبب ذلك كما يعيش الجميع ، من عمله ، في نفس الشقاء كاخوته ؛ أم الذين يعتبرون أنفسهم كائنات متميزة ، كهنة يعرفون الحقيقة كلها ، ولا يمكن أن يخطئوا ، ويفسّرون كلام المسيح على طريقتهم ؟

الآب جبراسيم ، وقد جرح : عفوك : لم أجد : لأنا قد ناقش معك مسألة : مَنْ المحق ؟ ولم أجد أيضاً لأستمع إلى إرشادات . لقد جئتُ إلى هنا ، بناءً على رجاء آلين ايفانوفنا ، لأحدثك . وأنت تعرف كل شيء خيراً مني ؛ ومن الأفضل أن نقفل باب حديثنا . وأنا أطلبُ منك للمرة الأخيرة . يباه الله ،

ثُبُّ إلى رشدك ، أنتَ مخطيء خطأً فادحاً ، وأنتَ
تُضيع نفسك .

ماري ايفانوفنا : ألا تريد أن تتناول شيئاً ؟

الأب جيراسيم : أشكرك .

(يخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ماري ايفانوفنا ، للكاهن الشاب : ما الذي سيحدثُ الآن ؟

الكاهن : برأيي أن نيكولا ايفا نوفتش قد تكلم كلاماً صحيحاً ،
ولم يستطع الأب جيراسيم أن يعثر على حجة مقنعة .

الأميرة : لم يدعهُ يتكلم ، ثم إنه استاء ، على وجه الخصوص ،
حين رأى أن قد نُظِّمَ نوعٌ من المباراة . كان الجميعُ
يصغون . واضطره تواضعه إلى الانسحاب .

بوريس : لم ينسحب بسبب التواضع ، بل إن كل ما قاله خطأ .
فمن البهديهي أنه لم يجد ما يقوله .

الأميرة : ألاحظ أن تقلبك المعتاد أخذ يدفعك إلى موافقة نيكولا
ايفانوفتش . إذا كنتَ تشاطره أفكاره فلا حاجةَ بك إلى
الزواج .

بوريس : أنا لا أقول إلا شيئاً واحداً ، أن ما هو حقٌ حقٌ ، ولا
يمكنني أن امتنع عن قوله .

الأميرة : أنت آخر من يحق له أن يقول هذا . .

بوريس : ولمَ ذاك ؟

الأميرة : لأنك فقير ولا شيء عندك تردّه - على كل حال : كل هذا لا يخصنا نحن .

(تخرج ، يتبعها الجميع ما عدا نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش ، يظل متفكراً ثم يتسم لأفكاره : ماري ، لم ذلك ؟ ما الفائدة من دعوة هذا الرجل الضال والجدير بالراء . هذه المرأة الصخابة وهذا الكاهن لم يشاركان في حياتنا الداخلية الحميمة ؟ ألا نستطيع أن نتدبر أمورنا وحدنا ؟

ماري ايفانوفنا : ماذا تريد مني أن أفعل وأنت تريد أن تسلب أولادك كل ما عندهم ؟ لا يمكنني أن أحتمل ذلك بهدوء . لأنك تعلم أن لا مصاحبة لي ، ولا أحتاج إلى شيء لنفسي .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم ذلك ، أعلم ذلك وأصدقك . لكن المصيبة أنك لا تؤمنين بالحقيقة . أعلم أنك ترينها لكنك لم تصمتي على الإيمان بها . لا تؤمنين بالحقيقة ولا بي . لكنك تؤمنين بكل الناس ، بالأميرة وغيرها .

ماري ايفانوفنا : أنا أومن بك ، وقد وثقت بك دائماً ، لكنك تريد أن تلجئ أولادك إلى التسول .

نيكولا ايفانوفتش : هذا الدليل على أنك لا تؤمنين . أنظنين أنني لم أخض صراعاً ولم ألق خوفاً ؟ وأنا ، الآن ، مقتنع أن ذلك ليس ممكناً فحسب ، بل هو ضروري ، هو الشيء الضروري الوحيد والصالح للأولاد . أنت تقولين :

لو لم يكن لنا أولاد لتبعيني ، أما أنا فأقول : لو لم يكن لنا أولاد لكان من الممكن أن نعيش كما نعيشين . إذ ذاك لن نملك سوى نفسينا ، أما الآن فنحن نهماكهم .

ماري ايفانوفنا : ما حيلتي إذا لم أفهم ؟

نيكولا ايفانوفنا : وأنا أيضاً ، ماذا علي أن أفعل ؟ لأنني أعلم لماذا جئت بهذا الرجل المسكين الذي يرتدي جبةً ، هذا الرجل الذي يحمل الصليب ؛ وأعلم أيضاً لماذا جاءت آلين بالكاتب العدل . تريدون أن أنقل إليك أملاكي . ليس بوسعي أن أفعل ذلك ! تعلمين أنني أحبك منذ خمسة وعشرين عاماً من حياتنا المشتركة ، أحبك وأريد لك الخير ، ولذلك لا أستطيع أن أوقع هذه الهبة . وإذا ما فعلت ذلك فامصاحبة الذين نهبوا ، لمصاحبة الفلاحين . لا يمكنني أن أتصرف كما ترغبين ؛ يجب أن أعيد إليهم الأرض . جاء الكاتب العدل في الوقت المناسب وسأفعل ذلك .

ماري ايفانوفنا : آه ! هذا فظيع ! لم أنت قاس إلى هذا الحد ؟ تعتبر ذلك خطيئةً . حسناً ! أعطني أنا !

(تبكي)

نيكولا ايفانوفتش : أنت لا تعلمين ما تقولين . إذا كنت سأهبك أنت فإن يمكنني أن أعيش معك . وعليّ أن أسافر . لا يمكنني الاستمرار في العيش ، ضمن هذه الشروط .

لا يمكنني أن أرى الناس يُظلمون ويوضعون في السجن ،
باسمك ، لأن اسمك سيحل محل اسمي . اختاري .

ماري ايفانوفنا : ما أقساك ! لا يمكنني أن أعيش كما تريد . لا
يمكنني أن أنتزع من أولادي لأعطي أيا كان ، لم
تريد أن تهجرني ؟ حسناً ! اذهب . أرى أنك لم تعد
تجبنني ، وأنا أعلم لماذا .

نيكولا ايفانوفتش : هيا ، أنا موافق ، سأوقع . يا ماري ، أنت
تطالبين مني المستحيل . (يذنو من الطاولة ويوقع) .
أنت أردت ذلك . أنا لا أستطيع أن أعيش هكذا .

(يقف ، ويهم بالرحيل ، وأخيراً يهرب ممسكاً برأسه بين يديه) .

ماري ايفانوفنا ، منادية : لوبا ! آلين (تهرعان) . لقد وقع ورحل !
ماذا يجب أن أفعل . قال إنه سيذهب وسيذهب . الحقاً به .

لوبا : لقد رحل .

ستار

الفصل الثالث

المشهد - ١ -

« تجري الأحداث في موسكو . غرفة كبيرة . منضدة للعمل
طاولة مغطاة بالأوراق ، مكتبة . المرآة واللوحات محجوبة بالألواح
الخشبية نيكولا ايڤا نوفتش يشغل على المنضدة . النجارُ المعلمُ ينجر » .

نيكولا ايڤانوفتش ، عارضاً لوحاً : أهذا حسن ؟

النجار ، مصلحاً منجره : ألم يؤلمك هذا ؟ شدّ عليه أكثر هكذا .

نيكولا ايڤانوفتش : نعم ، الأفضل أن نشدّ عليه أكثر . لكن ذلك
لم يتأتّ لي بعد .

النجار : وماذا تُفيد سيادتكم نجارةُ الأثاث ؟ نحن ، نجاري الأثاث ،
من الكثرة بحيث نجد مشقة في العيش .

نيكولا ايڤانوفتش ، مستأنفاً العمل : أستمحي أن أحيأ في البطالة .

النجار : هل يناسبُ هذا العمل مكانتك . ولقد أعطاك الله الثروة .

نيكولا ايڤانوفتش : أنني اعتبرُ أن الله لم يُعْطِ شيئاً ، وأن الناس
استولوا بأنفسهم على كل شيء ، ونهبوا اخوتهم .

النجار ، متردداً : نعم ، هذا صحيح ، لكن هذا العمل مع ذلك لا
جلوى منه لك .

نيكولا ايفانوفتش : أفهمُ أن يبدو لكَ غريباً أن تراني أُكسب رزقي ،
في هذا البيت الذي يفيض بالكُماليات .

النجار ضاحكاً : كلاً ، أعرف مقاصد السادة من أمثالك . إنهم يريدون
أن يعرفوا كل شيء . مرّر المنجر الآن .

نيكولا ايفانوفتش : أنت لا تصدق ، وستضحك ؛ لكني أقول لك :
لم أكن أخجل قديماً من أن أعيش هكذا ، أما الآن بعد أن
أمنت بشرية المسيح الذي يقول إننا إخوة فأنا أخجل أن
أعيش هكذا .

النجار : إن كنتَ تخجل فوزّعُ أملاكك .

نيكولا ايفانوفتش : أردتُ أن أفعل ذلك فلم أستطع ؛ وكان لا بدّ
من أن أهبط امرأتي .

لوبا ، وراء الباب : بابا ، أيمكن أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ادخلي ، ادخلي ، الدخول مسموح دائماً .

لوبا ، تدخل : طاب يومك ، جاك .

النجار : طاب يومك ، يا آنسة .

لوبا : عاد بوريس إلى الفوج . أخشى أن يقول أو يفعل ما
لا تُحمد عقباه . ما رأيك .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا يمكن أن يكون رأيي ؟ سيفعل ما يمليه
عليه ضميرُهُ .

لوبا : هذا هو الشيء الرهيب . بقي له وقتٌ قليل لينتهي وسيُهلك
نفسه .

نيكولا ايفانوفتش : أحسنَ صنعاً أنه لم يأتِ إليّ في طريقه ؛ فهو يعام أنني لن أجِدَ ما أقوله له إلا ما يعرفه بنفسه . قال لي هو نفسه : إن هذا هو ما أجبره على تقديم استقالته ، وأنه يدرك جيداً أنه لا يوجد نمط حياة أكثر بعداً عن الشرعية ، وأشدّ قسوةً ووحشيةً ، بل ليس هناك شيءٌ أكثر إزدلالاً من الخضوع المطاق لشخص نافه هو رئيسك في الرتبة ... إنه يعام ذلك كله .

لوبا : هذا هو بالضبط ما أخشاه ، أن يعام ذلك ، إنه ينوي التصرف بطريقة ما .

نيكولا ايفانوفتش : ضميره ، الرب الذي هو فيه ، هو الذي يقرّ ذلك . لو جاء واستشارني لأشرتُ عليه ألا يفعل شيئاً بطريق المحاكمة المنطقية ، بل عندما يتطأّب كيانه كله ذلك . فلا شيء أسوأ من ذاك . أنا مثلاً ، كنتُ أنوي أن أفعلَ ما يأمرني به المسيح : أن أترك أبي وزوجتي وأولادي (١) وأنسبعه ، وكنتُ مستعدّاً للذهاب . فكيف انتهى ذلك ؟ انتهى ذلك بأن عدتُ وبقيتُ معكم في المدينة ، محاطاً بالترف ، ذلك لأنني أردتُ أن أفعل ما يتجاوز طاقتي ، وأنا أجِدُ نفسي في وضع مُذلٍّ ، في وضع مُخزٍ . أحب أن أعيش ببساطة ، وأن أشتغل ، لكن ذلك يبدو كالمهزلة ، في هذا الجوّ من الخدم والحجّاب . خذي

(١) أترك أبي وزوجتي وأولادي : استشهاد غير دقيق بكلام المسيح .

مثلاً جاك نيكانوروفتش ، لقد رأيتُه يهزأ مني قبل قليل .

النجار : ولمَ تريدُ أن أهزأ منك ؟ أنت تدفع لي أجرتي وتسقيني الشاي . وأنا شديدُ الامتنان لك .

لوبا : فكُرتُ إن لم يكن من الأصح أن أذهب إليه .

نيكولا ايفانوفتش : يا عزيزتي ، يا حاوتي ، أعلم أن ذلك يشقّ عليك ، وأنتك خائفة . وإن كان ينبغي ألا تخافي . أنا رجل فهم الحياة . لن يقع شيءٌ من السوء . كل ما يبدو سوءاً لا يمكن إلا أن يُبهج القلب ، حاولي أن تفهمي .
أن الإنسان الذي سلكَ هذه الطريق مجبرٌ على الاختيار . نحن أمام حالات تتعادل فيها كَيْفَتَا المصالح الإلهية والمصالح الشيطانية ، وتذبذبان . وسيتمّ هنا عمل من أعظم الأعمال الإلهية . كلُّ تدخل فهو خطيرٌ وشاق . إن المرء يبذل جهداً عظيماً ليجر حِمَلاً ، وأقل ملامسة قد تَحْطُم ظهره .

لوبا : لكن لمَ نتألم ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا كقول الأم : لمَ الألم . الولادة لا تتمّ بلا ألم . وكذلك الأمر في الحياة المعنوية . أحب أن أقول لك شيئاً : بوريس مسيحيٌ حقيقي ، ولذلك فهو حر ، وإذا لم تستطعي أن تكوني مثله ، وإذا لم تستطعي أن تؤمني بالله مثله ، فيجب أن تؤمني من خلاله : أن تؤمني به وبالله .

ماري ايفانوفنا ، من خلف الباب ؛ أيمكنني أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : الدخول مسموح دائماً . أرى عندي اجتماعاً
حقيقياً اليوم .

ماري ايفانوفنا : وصل الساعة كاهننا ، صديقنا فاسيلي نيكانوروفتش
وهو ذاهب إلى رئيس الأساقفة ليقدم إليه استقالته .

نيكولا ايفانوفتش : أمكنّ هذا ؟ أهو هنا ؟ اذهبي ، لوبا ، وأحضريه .
(تخرج لوبا) .

ماري ايفانوفنا : جئتُ ، في الوقت نفسه ، لأكلمك عن فانيا . إن
سلوكه سيء جداً وعمله رديء جداً بحيث أنه لن يستطيع
أبداً النجاح من صف إلى صف . كاتمتُهُ عن ذلك فرد
علي ردأ غير لاق .

نيكولا ايفانوفتش : تعلمين ، يا ماري ، أنني لا أتعاطف مع نمط
الحياة الذي تعيشينه ولا مع الطريقة التي يُربّى بها الأولادُ .
المسألة رهيبة ، بالنسبة إليّ : ألي الحقُّ في أن أظل أنظر
بعيني إلى هلاك . . .

ماري ايفانوفنا : لا بد في هذه الحالة من شيء آخر ، شيء محدد .
ما البديلُ الذي باستطاعتك أن تقدمه .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أقوله لك . ولا أقول إلا شيئاً
واحداً . أولاً : يجب التخلّصُ من هذا الزرف المفسد
للأخلاق .

ماري ايفانوفنا : لكي يصبحوا فلاّحين . لا أستطيع أن أوافق على
ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : إذن لا تسأليني عن شيء . إن ما يحزنك كثيرًا
لا بد أن يكون . . .

(يدخل الكاهن ؛ يقبل نيكولا ايفانوفتش)

نيكولا ايفانوفتش : انتهيت من ذلك إذن ؟

الكاهن : ما عدتُ أطيق .

نيكولا ايفانوفتش : لم أكن أتوقع الأمر بهذه السرعة .

الكاهن : لم يكن ممكنًا غيرُ ذلك . ففي وضعنا لا يجوز أن نظلَّ غير

مُبالين . لا بد من سَماع الاعتراف ومن المناوأة ؛ لكن

عندما أدركت أن هذه الطريق ليست الطريق الحقيقية . . .

نيكولا ايفانوفتش : وماذا ستفعل الآن ، إذن ؟

الكاهن : سأذهب إلى رئيس الأساقفة الذي سيمتحنني . وأنا خائف

جدًّا من أن ينفييني إلى دير سولوفكي (١) . فكرتُ حينًا

بالهرب إلى الخارج ، وطالب مساعدتك . ثم غيَّرتُ رأيي .

الجبن ! وأخيرًا ، فإن امرأتي . . .

نيكولا ايفانوفتش : وأين هي ؟

الكاهن : هي عند أبيها . كانت أمها عندنا وقد أخذت الصغار .

هذا مؤلم جدًّا . وددتُ لو . . .

(يتوقف ويحبس دموعه) .

نيكولا ايفانوفتش : ليكن الله في عونك ! هل نزلت إلى بيتنا ؟

(١) دير سولوفكي : دير في جزر البحر الأبيض . وكان الكهنة العصاة ينفون إليه .

آلين ايفانوفنا ، تحمل رسالة : هذه لك ، نيكولا ايفانوفتش ،
حملها الساعة شخصٌ خصيصاً لك . - آه ! أبانا !

الكاهن : لم أعدُ كاهناً ، آلين ايفانوفنا .

آلين ايفانوفنا : أمممكن هذا ؟ أية غلطة فادحة ارتكبت ؟

الكاهن : لكنني وجدت ديننا تنقصه بعض الأشياء .

آلين ايفانوفنا : آه ! يا إلهي ، أية خطيئة ! هذا مع اذك رجلٌ طيّب
السريرة ! وها أنت تقع في الخطأ . نيكولا ايفانوفتش
إنما هو السبب دائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس نيكولا ايفانوفتش ، بل المسيح .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا حسن ، لكن لماذا الإنحراف عن الديانة
الارثوذكسية ؟ كل هذا حسن ، وأنا أعلم أنك تفعله
بنية حسنة . لكنك تهلك روحك .

نيكولا ايفانوفتش ، بينه وبين نفسه : كنتُ أتوقع ذلك . لكن ما
العمل ؟

آلين ايفانوفنا : ماذا تقول ؟

نيكولا ايفانوفتش ، يقرأ : هذه رسالة من الأميرة . وهذا ما كتبتُه :
» رَفَضَ بوريس أن يستأنف خدمته ، وقد وُضِعَ تحت
الحجز . لقد أضعته ، فينبغي أن تُنقذه . وهو في ثُكْنَةٍ
كروتيزي (١) » .

(١) ثكنة كروتيزي : في كروتيزي ، حي من موسكو .

نعم يجب أن أذهب لأراه ، إن أرادوا أن يسمحوا لي بذلك .

(يرفع مثزره ، ويرتدي سترته ويخرج) .

المشهد - ٢ -

« مكاتب . كاتب الدائرة ، حارس يتمشى جيئةً وذهاباً ، عند الباب المواجه . يدخل جنرال يتبعه مساعدُه . ينهض الكاتب بعجلة ، يقدم الجنديّ السلاحَ » .

الجنرال : أين العقيد ؟

الكاتب : دُعي من أجل أحد المجنّدين الأغرار ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : طيب ، أرجه أن يأتي .

الكاتب : بأمرك ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : ماذا تنسخ هنا ؟ أمهي شهادة ذلك المجنّد ؟

الكاتب : بالضبط ، يا صاحب السيادة .

(يسلمه الكاتب الأوراق ويخرج) .

الجنرال ، يسلم الأوراق إلى مساعده: اقرأ ، من فضك .

المساعد ، يقرأ: « جواباً عن الأسئلة التي طُرحت علي بصدد :

(١) لماذا لا أريد أداء القسم .

(٢) لماذا أرفض أوامر الحكومة .

(٣) ما حملتني على التفوّه بألفاظ جارحة لا للسلطة

العسكرية بل لكل الساطات ؟ أقول جواباً عن السؤال الأول : « لا أؤدي القسم لأنني أومن بعقيدة المسيح . لأن ذلك ممنوعٌ صراحةً في عقيدة المسيح ، في انجيل متى ٥ ، - ٢٣ - ٣٧ ، وفي رسالة القديس يعقوب ٥ ، ١٢ ، ٥ . »

الجنرال : يريدون أن يجادلوا ، هم يناقشون على طريقتهم .
المساعد ، يتابع قراءته : « جاء في انجيل متى ٥ ، ٣٧ بل ليكن كلامكم : نعم ، نعم ، لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير . »
وفي رسالة يعقوب : « ولكن قبل كل شيء ، يا إخوتي ، لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ، ولكن لتكون نعمكم نعم ، ولا كم لا لثلاث تقموا تحت دينونة . »
وأكثر من ذلك ؛ في الإنجيل إشارةٌ إلى أننا يجب ألا نحاف يميناً ؛ لكن حتى لو لم يكن ذلك موجوداً لما أقسمت اليمين بتنفيذ مشيئة البشر ، لأنني يجب أن أنفذ ، بحسب الشريعة المسيحية ، مشيئة الله التي قد لا تتفق مع مشيئة البشر . »

الجنرال : وهم يجادلون أيضاً . لو أصغوا إلي لما وقع ذلك .
المساعد ، يقرأ : « أرفض أن أنفذ مطالب البشر الذين يُسمّون الحكومة ، لأن ... »

الجنرال : يا للواقحة !
المساعد : « لأن هذه المطالب مجرمةٌ ووحشية . يُرادُ مني أن أدخل الجيش وأن أتعلم القتل وأستعد له ، بينما يمنعني من

ذلك العهد القديم والجديد ، وضميري على الخصوص .
وعن السؤال الثالث . . .

(يدخل العقيد ووراءه الكاتب . يشد الجنرال على يده) .

العقيد : أكنت تقرأ الشهادة ؟

الجنرال : نعم ، كلام مُهين بشكل لا يُغتفر . هيتا ، تابع .

المساعد : « وعن السؤال الثالث : ما الذي حَمَانِي أثناء الجاسة على التافظ بكامات مهينة ؟ أجيبُ : إن الذي حماني على ذلك هو رغبتني في خدمة الله ، والتنديد بالكذب الذي يتم باسمه . وآملُ أن أحتفظ بهذه الرغبة حتى موتني .
لأجل هذا . . .

الجنرال : دَعْنِي ، هذا كاف ، فلا حاجة بنا إلى سماع هذه الثرثرة . المهم خصوصاً أن نقتاع الشر وأن نعمل بحيث لا يُفسد البشر (للعقيد) هل كاتمته ؟

العقيد : كاتمته طوال الوقت . حاولتُ نُصَحِّه ، وإقناعه بأن الأمور ستزداد سوءاً بالنسبة إليه ، وانه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من هذه الناحية . حدثتُه عن أسرته . انفعَل انفعالاً شديداً ، لكنه كان يكرّر الشيء نفسه .

الجنرال : اخطأتَ لأنك تكاتمت كثيراً . نحن عسكريون لا نناقش بل نعمل . استدعوه .

(يخرج المساعد العسكري مع الكاتب) .

الجنرال ، يجلس في مقعد : لا ، عقيد ، ليس كذلك يجب أن تُعاملَ

هذه الكائنات . يجب اتخاذ تدابير حاسمة ، لكي نبتز
العضو المريض . النعجة الجرباء قد تُعدي قطعاً . لا داعي
للتصرف برفق ؛ أن يكون أميراً ، أن تكون له أم ، أن
تكون له خطيبة ، كل ذلك لا يَعْنِينَا . أمامنا جندي
ويجب تنفيذ المشيئة العليا .

العقيد : كنتُ أظنّ فقط أن من الأسهل نصحه .

الجنرال : أبداً لا . لا شيء إلا القرار ، القرار وحده . مرّ بي واحدٌ
من النوع نفسه . يجب أن يحسّ أنه تافه ، وأنه ليس
سوى ذرّة من الغبار تحت عربة ، وأنه لا يستطيع أن
يوقفها .

العقيد : يمكننا أن نحاول دائماً .

الجنرال ، وقد بدأ يتحدث : ليس ضرورياً على الإطلاق أن نحاول . لا
حاجة بي إلى المحاولة . إنني أخدم مليكي منذ أربعة وأربعين
عاماً ، بذلتُ حياتي وسأبذلها في هذه الخدمة ، وها إن
صبيّاً يريد أن يحلي علي سلوكي ! إنه يلقي علي نصوصاً
دينية ! عليه أن يناقش ذلك مع الكهنة ؛ أما معي ، فليس
سوى شيء واحد : أن يكون جندياً أو سجيناً . هذا كل
ما في الأمر .

(يدخل بوريس بين حارسين ؛ يتبعه المساعد العسكري) .

الجنرال ، مشيراً بأصبعه : أجلسه هنا .

بوريس : لستُ بحاجة إلى أن يجلسني . سأقف أو سأجلس حيثُ
أشاء ، لأنني لا أعترف بسلطتك . . .

الجنرال : اسكت ! لا تريد أن تعترف بسلطتي ؟ سأُكرهاك على أن تعترف بها !

بوريس ، جالسا على كرسي : كم تخطيء حين تصرخ .

الجنرال : أنهضه ، وأجاسه هنا .

(يجبره الجنديان على الوقوف) .

بوريس : تستطيعون أن تفعلوا ذلك . تستطيعون حتى أن تقتلوني ، أما أن تجبروني على طاعتكم . . .

الجنرال : اسكت ! واسمع ما سأقوله لك .

بوريس : لا أريد أن أسمع ما ستقوله أنت لي .

الجنرال : لكنه مجنون ! يجب إرساله إلى المستشفى ليُفحص .
لم يبقَ ما فعله غير ذلك .

العقيد : أعطيت الأمر لاستجوابه عند الدرك .

الجنرال : حسناً ! أرسلوه ، لكن يجب إلباسه .

العقيد : هو يأبى ذلك .

الجنرال : ليوثق . (لبوريس) . اسمع ما أريد أن أقوله لك .

أنا لا أبالي بما سيصيبك . لكنني أنصحك ، لمصلحتك ،

أن تفكر . ستعفن في المعتقل . وستغدو بلا نفع لأحد .

دعك من هذا . لقد ثرت أنت و ثرت أنا (يربت كتفه) .

هيا ، أقسم اليمين ودع ذلك كله . (للمساعد) . هل

الكاهن هنا ؟ حسناً ! ماذا ؟

(بوريس يلزم الصمت) .

الجنرال : لماذا لا تجيب ؟ هذا أفضل الآن . لن يحطم السوطُ المرأة . احتفظْ بأفكارك لنفسك . ستنتهي مدةُ خدمتك . ولن تُسيءَ معاملتك . ما رأيك إذن ؟

بوريس : لم يبقَ لديّ ما أقوله . قلتُ كلَّ ما عندي .

الجنرال : تقول إن الإنجيل يحوي هذه الآيةَ أو تلك . الكهنةُ هم الذي يعرفون ذلك . فحدثْ الكاهنَ في ذلك ، ثم فكّرْ قليلاً . هذا أفضل . الوداع ، أمل أن ألقاك ، عندما اهتلك على كونك في خدمة القيصر . أرسلْ الكاهن !

(يخرج . يتبعه العقيد والمساعد العسكري)

بوريس ، للأكاتب والجنديين : أسمعون كيف يتكلمون ؟ هم يعلمون جيداً أنهم يخدعونكم . لا تستسلموا لهم . اتركوا بنادقكم وامضوا . تعرضوا للجلد بالسياط في كتائب التأديب ، ولا تكونوا خدماً لهؤلاء الكذابين .

الكاتب : لا ينبغي لهذا أن يكون . لا نستطيع الاستغناء عن العسكريين . هذا مستحيل .

بوريس : وكيف لا ينبغي أن نجادل ؟ لا بد من ذلك لكي نعلم ما يريد الله منا . لكن الله يريد أن . . .

أحد الجنديين : وكيف يعلنون إذن : « المحاربون المحبون للمسيح (١) » .

(١) المحاربون المحبون للمسيح : منذ المصور الوسطى كانت تستخدم في الصلوات هذه العبارة المترجمة عن اليونانية : « فيلوكريستون ستراتوما » .

بوريس : لم يردّ هذا الكلام قط. الكذابون هم الذين اخترعوا هذا .

أحد الجنديين : يجب أن يكون رؤساء الأساقفة عالمين بذلك .

(يدخل ضابط درك يتبعه كاتب) .

ضابط الدرك ، للكاتب : هل المجنّد الأمير تشيريمشانوف هنا ؟

الكاتب : ها هو ذا ،

الضابط : تعال إلى هنا . أنت الأمير بوريس سيمينوفتش تشيريمشانوف

الذي رفض أن يؤدي اليمين ؟

بوريس : أنا نفدي .

الضابط ، يجلس ، ويدلّه على كرسي في مواجهته : أرجوك أن تجلس .

بوريس : أعتقد أن حديثنا لا طائل منه .

الضابط : لا أعتقد . على الأقل لك . اسمع . لقد نُقِلَ إليّ أنك

ترفض الخدمة العسكرية وأداء اليمين ؛ ولذلك يُشَاك

بأنك تنتمي إلى الحزب الثوري . وهذا ما أريد أن أفحصه .

إن كان ذلك صحيحاً فسنكون مجبرين على إبعادك عن

الخدمة العسكرية ، وعلى نفيك ، أو طردك ، بحسب

درجة انضوائك إلى الثورة . . وإلاّ ، تركّناك للإدارة

العسكرية . أترى ، أنا صريح معك ؛ وأنا أتكلّم على

المكشوف ، وآمل أن تبدي لنا الثقة نفسها .

بوريس : أولاً ، ليس بوسعي أن أثق بالذين يَرتدون هذا اللباس

(يشير إلى البزة العسكرية) . ثانياً ، إنك تقوم بمهمة لا

أقدّرهما ، بل أنا أشتتر منها أعظم اشتزاز . لكنني لن

أرفض الجواب عن أسئلتك . ما الذي تريد أن تعرفه ؟

الضابط : اسمح لي أولاً : اسماء ووضعك ودينك ؟

بوريس : تعرفون ذلك كله ، ولن أجيب . ليس هناك سوى سؤال

واحد شديد الأهمية عندي : لست بالذي يُسمّى

ارثوذكسياً .

الضابط : فما دينك ؟

بوريس : لا أستطيع تحديده .

الضابط : والحاصل ؟ ...

بوريس : لنقل إذه الدين المسيحي بحسب الموعدة على الجبل .

الضابط : اكتب (الكاتب يكتب) . (لبوريس) . أتعرف بأنك

تنتمي إلى دولة ما ، إلى وضع ما ؟

بوريس : لا ، لا أعترف بذلك . أعترف بأنني إنسان ، خادمٌ لله .

الضابط : ولم لا تعترف بأنك عضو في الدولة الروسية ؟

بوريس : لأنني لا أعترف بأية دولة .

الضابط : ما معنى كونك لا تعترف ؟ أترغب في هدم كل شيء ؟

بوريس : بلا شك ، أترغب في ذلك وأعمل من أجل ذلك .

الضابط ، للكاتب : اكتب . وبأية طريقة تعمل لذلك ؟

بوريس : طريقة التشهير بالرياء والكذب ؛ بنشر الحقيقة . قبل

قليل ، عندما دخلت ، كنت أقول لهذين الجنديين ؛ إن

عليهما ألا يؤمنا بالكذب الذي يبرونهما إليه .

الضابط : لكن هل تعترفُ بوسائل أخرى غير التشهير والإقناع ؟

بوريس : لا ، لستُ أنكر فقط أية وسيلة أخرى ، بل أنا أعتبر كلَّ
عنف أكبر الآثام . لا العنف وحده ، بل الخداع
والاحتيال أيضاً .

الضابط : طيب ، يا سيدي . والآن اسمعْ لي أن أعرف أسماء
أصدقائك . أتعرف ايفاشنكوف ؟

بوريس : لا .

الضابط : أتعرف لكين ؟

بوريس : سمعتُ عنه ، لكنني لم أره قط .

(يدخل كاهن) .

الضابط : أظنني انتهيت . وأعترف بأنك لست خطراً وأنتك خارجُ
عن اهتمام دائرتنا . أتمنى أن يُخلَى سبيلُك على الفور .
تحيتي لك .

(يصفحه) .

بوريس : أودّ أن أقول لك شيئاً . عفوك ، لكنني لا أستطيع أن
امتنعَ عن قوله : لمَ اخترتَ مثلَ هذه المهنة السيئة
والمُسِيئة ؟ لو سألتني لنصحتُك بالتخلي عنها . . .

الضابط ، مبتسماً : أشكرك للنصيحة . كانت لي بواعثي . تحيتي
أعطيك مكانتي ، أيها الأب .

(الكاهن المسنّ ، يحمل الصليب والإنجيل . يطلب الكاتب

مباركته) .

- الكاهن :** كيف تسبب المتاعب لرؤسائك برفضك القيام بواجبك كمسيحي ، وبرفضك خدمة القيصر والوطن ؟
- بوريس ، مبتسماً :** واجبي كمسيحي هو بالضبط ما أريد أن أفعله . ولذلك أرفض أن أكون جندياً .
- الكاهن :** ولم ترفض ذلك . فقد جاء : « من يعطي حياته للآخرين » ، هذا هو المسيحي الحقيقي .
- بوريس :** نعم ، يعطي حياته ، ولا يأخذ حياة الآخرين . هذا بالضبط ما أريده ، أن أعطي حياتي .
- الكاهن :** أنت ، أيها الشاب ، لا تحكم محاكمة سليمة . قال يسوع للمحاربين . . .
- بوريس :** مبتسماً : هذا يدل فقط على أن الجنود ، حتى في ذلك الزمان ، كانوا ينهاون ، وقد منّهم من ذلك .
- الكاهن :** لم إذن امتنعت عن أداء القسم ؟
- بوريس :** أنت تعلم أن ذلك ممنوع في الإنجيل .
- الكاهن :** كلا . فعندما يقول بيلاطس : « أحلفك بالله الحي ، أنت يسوع ؟ » أجاب الرب يسوع : « أنت قلت ذلك » . وإذن فاليمين ليست ممنوعة .
- بوريس :** ألا تهجل ، وأنت الشيخ !
- الكاهن :** لا تركب رأسك ، أضحك بذلك . لن نغير العالم . أدّ القسم وستكون مطمئناً . أما ما هو خطيئة وما ليس خطيئة فدع الكنيسة تبت في ذلك .

بوريس : تبت لك ! ألا تخاف من حمل هذه الخطايا على ظهرك ؟
الكاهن : أية خطايا ؟ بما أني تربيت في الإيمان الراسخ . وبما أنني
عشت ثلاثين سنة في الكهنوت ، فلا يمكن أن تكون لي
خطايا .

بوريس : من الذي يرتكب الخطيئة ، عندما تخدعون كل هؤلاء
الناس . ما الذي في دماغهم ؟

(يشير إلى الحارس) .

الكاهن : ليس لنا أن نحكم على هذا ، أيها الشاب ؛ ما يلزمنا هو
طاعة رؤسائنا .

بوريس : دعني . أنا أرثي لك ، ولا أستمع إليك إلا باشمئزاز .
ليتك كنت كالجندال الذي كان هنا قبل قليل ، لكنتك
تضع صليباً ، وتحمل بيدك انجيلاً ، وأنت تعظني باسم
المسيح لكي أتخلّى عن المسيح . امض . امض (مضطرباً) .
امض ودعني . هيا . خلّوني حتى لا أرى أحداً . أنا
متعب . أنا متعب للغاية .

الكاهن : وداعاً ، إذن .

(يدخل المساعد العسكري ، يجلس بوريس في الصدر) .

المساعد العسكري : وماذا جرى ؟

الكاهن : عناد شديد . خروج على الطاعة .

المساعد العسكري : إذن ، هو لا يريد أن يؤدي القسم ولا أن يقوم
بالخدمة العسكرية ؟

الكاهن : إطلاقاً .

المساعد العسكري : يجب إذن نقله الى المستشفى العسكري .

الكاهن : آه ! نعم . يجب أن يُعتبر مريضاً . هذا أكثر ملاءمةً .

لأن هذه القدوة مُعديةٌ أحياناً .

المساعد العسكري : سنضعه في قسم الأمراض العقلية ، لكي يُراقب . وقد صدر الأمر بذلك .

الكاهن : بدون شاء . تخيتي لك .

(يخرج) .

المساعد العسكري ، يدنو من بوريس : تعال ، من فضلك . فمعي أمر باقتيادك .

بوريس : إلى أين ؟

المساعد العسكري : إلى المستشفى العسكري ، لبعض الوقت ، حيث ترتاح وحيث يتسنى لك الوقت للتفكير .

بوريس : فكّرتُ منذ زمن طويل . هيّا . لنذهب .

(يخرجان) .

المشهد — ٣ —

« صالة مستشفى . طبيب عجوز وطبيب شاب . مرضى يجاذفهم ،

خدم الصالة بقمصانهم » .

ضابط مريض : قلتُ لك : إنك تريدني مريضاً . لقد شعرتُ عدة مرات بالتحسن .

الطبيب : لا تضطرب . أنا أقبل بالتوقيع على بطاقة خروجك .
لكنك تعلم جيداً أن الحرية خطرٌ عليك . ولو علمتُ أنك
ستجدُ من يعتني بك . . .

الضابط المريض : أنظنُ أنني سأعود إلى الشرب ؟ لا ، لقد تلقَّنتُ
درساً . لكنَّ كلَّ يومٍ أقضية هنا يُسهم في هلاكي . أنتَ
تفعلُ عكس ما يجب عليك أن تفعله (محتدّاً) . أنتَ
قاس . أنتَ تحسُّ بالراحة هنا .

الطبيب : اهدأ !

(يشير إلى المرضى الذين يقتربون من الخلف) .

الضابط المريض : النقاش حسنٌ ونحن أحرار ، أما بالنسبة إلينا ،
بين المجانين . . . (للمرضى) . لا تقتربوا ! ارجعوا !

الطبيب : أرجو أن تهدأ .

الضابط المريض : أنا ، أرجوك أن تدعني أخرج .

(يطلق صرخة وينقض عليه . يمسك به المرضى ويقتادونه) .

الطبيب الثاني : ها إن ذلك يعود إليه . كاد يُصيبك .

الطبيب : مدمنٌ و . . . لا حيلةَ لنا . مع أن هناك تحسُّناً طفيفاً .

المساعد العسكري ، داخلاً : طاب يومكما .

الطبيب : طاب يومك ،

المساعد العسكري : جئتكم بشخصٍ مثير للاهتمام . إنه أميرٌ يدعى
تشيديمشانوف ، عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية ، لكنه

رفض ذلك محتجاً بالإنجيل . أرسلته إلى الدرك ، فأعلن هؤلاء أن حالته لا تدخل في اختصاصهم وقالوا إنه لا ينطوي على أية صفة خطيرة . ووعظه الكاهن ، لكن بدون جدوى .

رئيس الأطباء ، ضاحكاً : كالعادة دائماً ، تأتون به إلينا كمرجع أخير . حسناً ! هاته .

(يخرج الطبيب الثاني) .

المساعد العسكري : يُقال إنه شاب متعلم جداً ، وخطيبته ثرية . هذا مدهش ، أجدحاً أن مكانه هو عندكم .

الطبيب : نعم ، مسّ الجنون . . .

(يدخل بوريس)

الطبيب : أهلاً وسهلاً . اجلس ، أرجوك . سنتحدث قليلاً . دعنا .

بوريس : أرجوكم ، أن تحبسوني إن أمكن ، بأسرع وقت ، إن كانت نيتكم حبسي في مكان ما ، وأن تدعوني أستريح .

الطبيب : عفوك ، لكن من الضروري مراعاة الأنظمة . بعض الأسئلة فقط . بم تحسّ ؟ وأين تتألم ؟

بوريس : لا أألم ، وصحتي جيدة .

الطبيب : نعم ، لكنك لا تتصرف كسائر الناس .

بوريس : أتصرف كما يأمرني ضميري .

الطبيب : أنت ترفض أن تؤدّي خدماتك العسكرية . ما الدافع ؟

بوريس : أنا مسيحي ولا يجوز لي أن أقتل .

الطبيب : لكن يجب الدفاع عن الوطن في وجه الأعداء ، ويجب أن نُصالح الذين يخلّون بالنظام العام .

بوريس : لا أحد يُهاجم الوطن ، والمُخلّون بالنظام بين رجال الحكومة أكثر عدداً من المخلين بالنظام بين الذين يعدّونهم .

الطبيب : ماذا تقصدُ بذلك ؟

بوريس : انظر مثلاً إلى الخمر ، وهو مصدرٌ كبير من مصادر الشر ؛ الحكومة هي التي تبيعه ؛ والحكومة تنشر ديناً خاطئاً ، كاذباً ؛ ثم هناك الخدمة العسكرية المطلوبة مني وهي الوسيلة الأولى للفساد ، والحكومة هي التي تطلبها .

الطبيب : لا لزوم إذن ، بحسب رأيك ، لا للحكومة ولا للدولة ؟

بوريس : لا أدري ، لكنني أعلمُ علم اليقين أنني بغنى عن المشاركة في الشر .

الطبيب : وماذا سيُصيب العالم حينئذ . لأننا أعطينا العقل لنتنبأ بالمستقبل .

بوريس : وأعطينا العقل أيضاً لئرى أن النظام الاجتماعي يجب أن يقوم على الخير لا على العنف ، وأن رفض أي شخص المشاركة في الشر لا يَنطوي على أي خطر .

الطبيب : اسمعْ لي أن أفحصك قليلاً الآن . (يجسّه) . ألا تخش بأي وجعٍ هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : ولا هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : تنفّس ! لا تنفّس ! أشكرك . اسمح لي الآن . (يقيس الأنف والجهة) أغلق عينيك ، من فضلك . امش :

بوريس : ألا تخجل من ذلك ؟

الطبيب : مم ؟

بوريس : من كل هذا الرياء . لأنك تعلم أنني سايّمُ الجسم ، وأنهم أرسلوني إلى هنا لأنني رفضتُ المشاركة في الشرّ الذي يقرّفونه ، وأنهم لا يملكون ما يردّون به على الحقيقة ، ولذلك تراهم يتظاهرون بأن يعتبروني غير طبيعي ، وأنت تؤازرهم في هذه الحالة . هذا عملٌ حقيرٌ ومُخز . دعك من هذا !

الطبيب : ألا تريد أن تمشي ؟

بوريس : لا ، لا أريد أن أمشي . تستطيع أن تعذبني كما تشاء ، لكنّ تصرّف بنفسك ، أما أنا فإن أساعدك . (بحرارة) . دعني !

الطبيب ، يضغط على زر . يدخل ممرضان : اهبط . أفهمُ أن تكون أعصابك مهتاجة . ألا تريد أن تذهب إلى غرفتك .

(يدخل الطبيب الثاني) .

للطبيب الثاني : جاء زوار يطالبون مقابلة تشيريمشانوف .

بوريس : مَنْ هُمْ ؟

الطبيب : السيد سارنتريف وابنته .

بوريس : أودّ لو أراهما .

رئيس الأطباء : حسناً ! استقبليهما . تستطيع أن تستقبليهما هنا .

(يدخل نيكولا ايفانوفتش ولوبا) .

الأميرة على الباب تقول : اذهبا ، سأذهب بعدكما .

لوبا ، تسير إليه رأساً وتقبّله على جبينه : يا بوريس المسكين !

بوريس : لا ، لا ترثي لي . أنا مرتاحٌ جداً ، سعيدٌ جد . وقلي

مبتهجٌ . طاب يومك .

(يقبل نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : جئت لأقول لك شيئاً مهماً جداً . أولاً ، في كل

شيء ، تجاوزُ الحدَّ أسوأ من التقصير : ثانياً ، في هذه

الحالات يجب أن نتصرّف كما جاء في الإنجيل : ألا تفكر

مسبقاً : سأفعل هذا وسأقول هذا ، « فمتى أسلموكم إلى

الحكام فلا تهتمّوا بما تتكلمون لأن الروح القدس

يعلمكم ما ينبغي أن تقولوه » . أي انك لا يجب أن تتصرّف

بعد أن تقول في نفسك : يجب أن أتصرّف هكذا ، لكن

عندما ينفذ إلى كيانيك الشعور بأنك لا تستطيع أن تفعل

شيئاً آخر .

بوريس : وهذا ما فعلته . لم أكن أفكرُ برفض الخدمة العسكرية .

لكنني عندما رأيتُ كلَّ ذلك الكذب ، والمرأة الرامزة

إلى العدالة ، وتلك الأوراق ، وهذه الشرطة ، لم أستطع
أن أمتنع عن قول ما قلته . كنت خائفاً فقط حتى اللحظة
التي بدأت بها ، ثم بدا لي ذلك بسيطاً جداً ، وملأني
بالفرح .

(تظل لوبا جالسةً وتبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : وعلى الخصوص ، لا تصنع شيئاً لتكسب المجد
في عيون الناس ، لتنال استحسان الذين تُكَبِّرُ رأيهم .
أما أنا فأقول لك بصراحة ، إذا أدبت القسم على الفور ،
وإذا أتممت خدمتك ، فلن ينقص حبِّي وتقديري لك .
بل ربما زاداً عما كانا عليه من قبل ، لأن المهم ما يجري
في القلب لا ما يجري أمام الناس .

بوريس : هذا مفهوم ، لأنه إن جرى شيءٌ في القاب فسوف يتغير
موقفنا بين الناس .

نيكولا ايفانوفتش : هذا ما عندي لأقوله لك . أمك هنا . وهي
مغتمّةٌ جداً . إذا كان بوسعك أن تفعل ما تطالبه منك
فافعله . هذا ما أردت أن أقوله لك .

(تُسمع صرخاتٌ رهيبة في الرواق . يقتحم القاعة مريضٌ
فيتبعه الممرضون ويقودونه بالقوة) .

لوبا : هذا فظيع . وستكون أنت هنا ؟

(تبكي) .

بوريس : هذا لا يخيفني . لا شيءٌ يخيفني في الوقت الحاضر . أنا

في حالة حسنة ! شيء واحد يُقلقني : وهو بأية طريقة
ستقابلين ذلك - ساعديني . أنا واثق من أنك ستسنديني .

لوبا : أيجوز لي أن أفرح ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ليس ضروريا أن تفرحي . وأنا أيضاً ، لن
أفرح ، أنا أتألم من أجه . كم كنت سأفرح لو كنت
مكانه ! لكنني أتألم وأعلم أن هذا حسن .

لوبا : طيب . ومتى سيخاون سييله ؟

بوريس : لا يعلم ذلك أحد . لست أفكر في المستقبل . الحاضر جميل
جداً ! وتستطيعين أن تبعايه أجمل .

الأميرة ، تدخل : لا أمتطيع أن أنتظر أكثر من ذلك . (لنيكولا
ايفانوفتش) هل أقنعتَه أخيراً ؟ هل قبل ؟ بوريس !
يا عزيزي افهم كم تألمت . ثلاثون عاماً لم أعشها إلا لك .
أربيتك وأجد الرجاء فيك . فلما تمت التربية وتحقق
الرجاء ، تخأيت عن كل شيء . السجن والعار ! لا ،
يا حبيبي بوريس . . .

بوريس : ماما ، أصغي إلي .

الأميرة : لماذا لا تكلمينه ؟ لقد فقدته ، أنت التي يجب أن
تقنعه . أنت مرتاحة ، أنت . لوبا ، هلا كالمته .

لوبا : وماذا أستطيع أن أفعل ؟

بوريس : ماما ! حاولي أن تفهمي أن هناك أشياء مستحياة . من
المستحيل علي أن أطير في الهواء . وكذلك من المستحيل
علي أن أؤدي الخدمة العسكرية .

الأميرة : ذلك لأنك تصوّر أنك لا تستطيع ذلك . هذه مزحة .
كلّ الناس أدّوا الخدمة وكلّ الناس يؤدّونها . أنت
ونيكولا ايفانوفتش ابتكرتما مسيحيةً جديدةً . ليست
هذه مسيحية ، وإنما هي تعاليم الشيطان التي ستجعلنا
نتألم جميعاً .

بوريس : ومع ذلك فهذا ما يقول به الإنجيل .

الأميرة : لم يقل هكذا ، وحتى لو جاء هذا في الإنجيل فهو حمق .
بوريس ، يا حبيبي ، ارحمني . (قرّني على عنقه وهي
تبكي) . كل حياتي لم تكن سوى عذاب . لم أكد ألح
بارقة سعادة حتى جعلت لي منها عذاباً . بوريس .
ارحمني !

بوريس : ماما ، هذا مؤلمٌ لي للغاية . اكني لا أستطيع أن أقول لك
شيئاً .

الأميرة : هيّا ، لا ترفض ، قلّ إنك ستبذل جهدك .
نيكولا ايفانوفتش : قلّ إنك ستفكّر ، وفكّر .

بوريس : طيّب ، طيّب . وأنت أيضاً ، ماما ، ارحمني . فهذا
يؤلمني جداً أيضاً .

(تُسمع مرةً أخرى صرخات في الرواق) .

بوريس : أنا في مستشفى للمجانين ؛ وقد يفقد المرءُ حقاً عقله فيه ...
رئيس الأطباء : سيدتي ، قد يكون لهذا نتائج سيئة جداً . ابنك هائج

الأعصاب جداً . أظن أن من الضروري إنهاء المقابلة .
يوم الزيارة هو يوم الخميس ، والزيارة حتى الظهر .

الأميرة : طيب ، طيب . سأذهب . إلى اللقاء ، بوريس ! فكرر ،
أرحموني ، واستعدّ لزيارتي نهار الخميس لتبشّرني بنبأ
سعيد .

نيكولا ايفانوفتش ، يمدّ إليه يده : أعانك الله في تفكيرك ، فكرر
وكأنك ستموت غداً . هكذا فقط يكون قرارك صحيحاً .
إلى اللقاء .

بوريس ، يدنو من لوبا : أنت لا تقولين شيئاً لي ؟
لوبا : لا أستطيع أن أكذب . لا أفهم ما جدوى أن تتعذّب
وتعذّب الآخرين . لا أفهم ولا أستطيع أن أقول شيئاً .
(تبكي ويخرجون) .

بوريس ، وحده : آه ! ما أقسى هذا ، ما أقسى هذا ! أعني ، ياربي !
(يصلي ، يحمل الممرضون لباس المستشفى) .

الممرض : يجب أن تغيّر ملابسك .
بوريس ، وقد بدأ يخاف ملابسها : نعم . . . لا ، لا أريد .
(يلبسونه ملابسها بالقوة) .

ستار

الفصل الرابع

المشهد - ١ -

« في موسكو . بعد سنة من الفصل الثالث . صالة في منزل آل سارنتريف الذي استعد لأمسية راقصة . يضع الخادم نباتات قرب البيانو .

شجرة عيد الميلاد . تدخل ماري ايفانوفنا مرتدية فستاناً من الحرير الأبيض تتبعها آلين ايفانوفنا .

ماري ايفانوفنا : حفلة راقصة ؟ ليست هذه حفلة راقصة ، هذه أمسية

صغيرة ، حفلة راقصة صغيرة ، كما كان يُقال في الماضي

حفلة راقصة صغيرة للفتيان . لأنني لا أستطيع أن أرسل

دائماً أولادي يرقصون . ويشاهدون التمثاليات المنزلية في

منزل آل ماكوفسكي ، ويرقصون في كل مكان . يجب

أن نردّ المثل بالمثل .

آلين ايفانوفنا : أخاف كثيراً أن يستنتج نيكولا ذلك .

ماري ايفانوفنا : ما العمل ؟ (للخادم) . ضَعْنِها هنا . الله أعلمُ كم

أنا زاهدةٌ في تسبب المتاعب له . لكنني أرى أنه أصبح

أقل تشدداً الآن .

آلين ايفانوفنا : اوه ! لا ، لكنه لا يُظهر ذلك . لقد ذهب إلى المنزل

بعد العشاء ، وقلّب كل شيء .

ماري ايفانوفنا: وما حيلتُنا في ذلك؟ ما حيلتُنا في ذلك؟ لا بد للجميع من أن يحيوا . هم ثمانية . فاذا لم نوفر لهم شيئاً من التسلية ، أقموا على ما لا يعلمه إلا الله . أنا الآن ، على الأمل ، سعيدة من أجل لوبا .

آلين ايفانوفنا : وهل تقدّم بالطاب ؟

ماري ايفانوفنا: تعرّف وكأنه طلبها . فاتحها ، فقالت : نعم .

آلين ايفانوفنا : ستكون صلعة رهيبة له أيضاً .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك . لا يمكن إلا أن يعلم ذلك .

آلين ايفانوفنا : وهو لا يحبّه .

ماري ايفانوفنا ، للخدم : ضعوا الفواكه على الصوان . من؟ الكسندر .

ميخيلوفتش ؟ طبعاً لا يحبّه ، لأنه تقى نظرياته كلها :

اجتماعي ، ساحر ، ظريف وطيب . آه ! هذا الكابوس

المربع . بوريس تشيرشانوف — ماذا أصابه ؟

آلين ايفانوفنا : ذهبت ليّ لثراه . وهو لا يزال في الموضع ذاته .

يُقال إنه غدا هزيراً ، وأن الأطباء يخافون على حياته

أو على عقله .

ماري ايفانوفنا: نعم ، إنه ضحية رهيبة لأفكاره . لقد هلك بسبب

ذلك . لم أكن أود أبداً . . . (يدخل عازف البيانو للعازف) .

جئت من أجل الرقصات .

العازف : نعم ، يا سيدي ، أفا العازف .

ماري ايفانوفنا: اجلس ، أرجوك . انتظر كي تتناول الشاي ؟

العاذف : لا ، يا سيدتي ، أشكرك .

(يسير نحو البيانو) .

ماري ايفانوفنا : لم أرغب في ذلك قط . . . أحب بوريس ، لكنه لم يكن الزوج الذي يصلح للوبا ، ولا سيّما بعد أن يكون قد تولّع بأفكار نيكولا ايفانوفتش .

آلين ايفانوفنا : مدهشة قوة للقناعة ، كم هي عظيمة . لأنه يتألم ، هم يقولون له إن لم يمتثل للأمر فاما أن يظل هناك وإما أن يوضع في المعتقل ، وهو يهيب دائماً الجواب نفسه . قالت لي ليزا إنه كان سعيداً بل ومرحاً .

ماري ايفانوفنا : هؤلاء متعصبون . آه ! ها هو الكسندر ميخايلوفتش !

(الكسندر ميخايلوفتش ستاركوفسكي المتألق ، يقدم نفسه باللباس الرسمي) .

ستاركوفسكي : بحت قبل الوقت بكثير .

(يلثم يده كل من السيدتين) .

ماري ايفانوفنا : هذا أحسن !

ستاركوفسكي : أين ليوبوف نيكولايفنا ؟ كان بنيتها أن ترقص كثيراً لمحوّض الزمن الضائع . تعهدت بمساعدتها .

ماري ايفانوفنا : هي مشغولة بمتممات التنورة .

ستاركوفسكي : سأذهب لمساعدتها . أسمحين ؟

ماري ايفانوفنا : موافقة .

(ستاركوفسكي يتّجه إلى المخرج . لوبا تظهر في مواجهته .
وهي تحمل مخدّة ونجوماً وأشرطة) .

لوبا ، في ثياب السهرة غير المكشوفة : آه ! هذا أنت ! حسنٌ جداً .
ساعدني . هناك في الصالون ، مخدّتان ، أحملهما إلي .
طاب يومك ، طاب يومك !
ستاركوفسكي : سأطير إليهما .

(يخرج) .

ماري ايغانوفنا ، اللوبا : اصغي إليّ ، لوبا ، سيأتي أصدقاؤنا ، في
هذا المساء ، وسيلمح بعضهم وسيسألون . يُمكننا أن
نُعَلن . . .

لوبا : كلاً ، ماما ، كلاً . ولمَ ذاك . ليساً أوا . هذا يشقّ
على بابا .

ماري ايغانوفنا : لكنه يعلم ذلك أو يحزّره ، وسنقول له عاجلاً
أم آجلاً . وأظنّ من الأفضل إعلان ذلك اليوم . لأنّ
هذا هو سر التمثيلية .

لوبا : لا ، لا ، ماما . أرجوك . سيفسد ذلك أمسيّتي . يجب ألاّ
تقول شيئاً .

ماري ايغانوفنا : كما تشائين .

لوبا : إذن انظري ، في آخر الأمسية ، قبل العشاء . . . هلا
حملها .

ماري ايغانوفنا : يجب أن أذهب لألقي نظرة خاطفة على ناتالي .

(تخرج مع آلين ابغانوفنا) .

ستاركوفسكي ، يحمل ثلاث مخدّات يشبّتها بذقنه ويدعُها تسقط
على الطريق : ليوبوف نيكولايفنا ، لا تلمسها ، سألمّها .
هل صنعت الكثير منها . يجب أن تعرّفي كيف ينظّم
ذلك كله . فانيا ، تعال .

فانيا ، يحمل مخدّات أخرى : هذه هي كلها . لوبا تراهنا ،
الكسندر ميخايلوفتش وأنا ، على أيّنا سيفوز بأوسمة
أكثر .

ستاركوفسكي : سيكون الأمر سهلاً عليك ، فأنت تعرف الجميع ،
وقد فُزّت عليهم مسبقاً من قبل ، أما أنا فيجب أن أعجب
السيدات أولاً وأن أتلقّى المكافآت بعد ذلك . وأنا أعطيك
أربعين نقطة زيادة عليّ منذ الآن .

لوبا : فانيا ، اذهب إلى غرفتي ، من فضلك ، واحمل إليّ
الصمغ والكبة اللذين على الرفّ . (يخرج فانيا .) يباه الله ،
لا تكسر ساعتي .

فانيا : سأكسر كل شيء .
(يخرج راكضاً) .

ستاركوفسكي ، مسكاً لوباً بيدها : لوبا ، أتسمّحين ؟ أنا سعيد جداً .
(يلثم يدها) . المازوركا لي ، لكنّ هذا لا يكفيني . ليس
لدينا وقتٌ للكلام أثناء المازوركا . وأنا بحاجة إلى أن
أكلّمك . أتأذنين لي بارسال برقية لعائلتي أعلن فيها أنني
مقبولٌ ، وأنتي سعيدة ؟

لوبا : أبجل ، هذا المساء بالذات .

ستاركوفسكي : كلمة واحدة أيضاً : كيف سينظر نيكولا إيفانوفتش
إلى هذا الشيء ؟ دل كلمته ؟ هل قلت له ؟ نعم ؟

لوبا : لم أحدثه في ذلك . لكنني سأحدثه . سيقبل بذلك كما
يقبل الآن بكل شيء . بخص العائلة . سيقول : افعلي كما
تشائين ؟ لكنه سيغتم في أعماقه .

ستاركوفسكي : لأنني لستُ تشيريمشانوف ؟ لأنني نبيل من نبلاء
المجلس ، مارشال النبلاء ؟

لوبا : نعم . وقد صارعتُ نفسي ، وكذبتُ على نفسي بسببه .
لا لأن حبي له أقل ، لأنني لا أفعل ما يريد ، بل لأنني
لا أعرف الكذب . إنه يقول ذلك بنفسه . أنا شديدة الشوق
إلى الحياة .

ستاركوفسكي : وهذه هي الحقيقة الوحيدة ، الحياة ! حسناً ! والآخر ،
تشيريمشانوف ؟

لوبا ، مضطربة : لا تُكلمني عنه . أود لو أستطيع اتهامه ، اتهامه
في حين أنه يتألم وذلك لأنني مذنبه بحقه . لم أعد أعرف إلا
هذا الشيء ، أن الحب موجود ، الحب الحقيقي ، على
ما أعتقد ؛ الحب الذي لم أضمره قط له .

ستاركوفسكي : أصبح هذا ، لوبا ؟

لوبا : أتريد أن أقول : إنك أنت الذي أحبه بهذا الحب الحقيقي ،
لكنني لن أقول ذلك . أحبائك ، نعم ، أحبك . . .

ستاركوفسكي : أنت ؟

لوبا : أحبك ، أنت ، حباً مختلفاً ، لكن ليس هذا ما أريده .
لا حبي الآن ولا حبي آنذاك هو ما أريده .

ستاركوفسكي : لا ، أنا مسرورٌ من حبي . (يلثم يدها) . لوبا !
لوبا ، تدفعه عنها : لا ، لنهتهم بالمتهمات . على كل حال ، وصل
الزوار .

(تدخل الكونتيسة ومعها تانيا وبنت صغيرة) .

لوبا : ما، ستأتي في الحال .
الكونتيسة : نحن أول القادمين .

ستاركوفسكي : لا بد أن يكون للقادمين أول . وقد اقترحت أن
تصنع سيدةً من الكاوتشوك تكون أول القادمين .

(يدخل ستيوبا وفانيا الذي حمل لأخته الصمغ والكبّة) .

ستيوبا : كنت آمل أن ألقاك أمس في فندق الإيطاليين .
تانيا : ذهبنا إلى منزل خائتي . كانت تخطط للفقراء .

(يدخل طلابٌ ، وسيدات ، وماري ايفانوفنا) .
الكونتيسة : أألن نرى نيكولا ايفانوفتش ؟

ماري ايفانوفنا : لا ، إنه لا يظهر أبداً .

ستيوبا : وكيف انتهت قضية الشاب تشيريشانوف ؟
ماري ايفانوفنا : ما يزال المسكين في مستشفى المجانين ؟

الكونتيسة : انظروا إلى هذا العناد الشديد !

مدني : يا للضلال الغريب ! من تراه يُفقد ؟

طالب : من فضلك ، رقصة مربّعة !

(يصفق بيده ، يصطفون ويرقصون) .

آلين ايفانوفنا ، تقرب من ماري ايفانوفنا : هو في اضطراب بالغ .
كان عند بوريس ، ولما عاد رأى الحفلة الراقصة ، فنوى
أن يذهب . دنوت من الباب وسمعت حديثه مع الكسندر
بيتروفتش .

ماري ايفانوفنا : وماذا سمعت ؟

راقص : حلقة السيدات ! المراقصون في المقدمة .

آلين ايفانوفنا : قرّر أن من المستحيل العيش هكذا ، وهو ينوي
الرحيل .

ماري ايفانوفنا : كم يحبّ هذا الرجل أن يعذبكم .

(تخرج) .

المشهد - ٢ -

« غرفة نيكولا ايفانوفتش . تُسمعُ الموسيقى من بعيد . هو بالسترة ،
يضع رسالةً على الطاولة . الكسندر بيتروفتش ، في ثياب رثة ، معه)
الكسندر بيتروفتش : اطمئن ، نستطيع أن نذهب إلى القوقاز بدون
أي فلس . هناك ستتدبّر أمرك .

نيكولا ايفانوفتش : سنركب القطار حتى تولا ، ومن هناك سنذهب
مشياً على الأقدام . هيا . كل شيء جاهز .

(يضع الرسالة على الطاولة ويخرج . يصادف ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : لم جئت ؟

ماري ايفانوفنا : لأرى ما تفعله .

نيكولا ايفانوفتش : عذابي فظيع .

ماري ايفانوفنا : كيف ؟ لماذا ؟ جئت لأمنعك من ارتكاب عمل وحشي . لم تفعل هذا ؟ لم ؟

نيكولا ايفانوفتش : لم ؟ لأنني لا أستطيع أن أستمّر في العيش على هذا النحو . لا أستطيع أن أحتمل هذه الحياة البشعة الفاسدة .

ماري ايفانوفنا : هذا فظيع ! حياتي التي كرستها كلياً لك ولأولادك ، حياتي أصبحت حياةً فاسدةً . (تشاهد الكسندر بيروفتش) .
أصرف هذا الرجل على الأقل ، لا أحب أن يكون شاهداً على هذا الحديث .

الكسندر بيروفتش : فهمتُ . سأذهب .

نيكولا ايفانوفتش : انتظري هناك ، الكسندر بيروفتش . سأتي على الفور .

(يخرج الكسندر بيروفتش) .

ماري ايفانوفنا : ما الشيء المشترك الذي يمكن أن يكون بينك وبين مثل هذا الرجل ؟ ولا يمكن أن نفهم لماذا كان أغلى عليك من أمراتك . ولم أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : تركتُ لك رسالة . لم أكن أريدُ أن أكلّمك .
فذلك شاقٌ جداً علي . لكنك إن رغبت فساأندل جهدي
لأقول لك رأيي بهدوء .

ماري ايفانوفنا : لا ، لا أستطيع أن أفهم ماستقول . لم تذكره وتعاقب
المرأة التي ضحت بكل شيء من أجلك ؟ قل لي لم ؟
ألأني ترددتُ على الحفلات الراقصة ، وكنت أحب
الزينة ، وكنت مغناجاً . حياتي كلها كانت مكرسة
للأسرة . وقد أرضعتهم بنفسي ، وربيتهم . وفي السنة
الأخيرة كلها ، وقع علي كل عبء تربيتهم وعبء
أعمالنا .

نيكولا ايفانوفتش ، يقاطعها : هذا العبء وقع عليك لأنك لم تَرْضِي
أن تعيشي كما اقترحتُ عليك .

ماري ايفانوفنا : لكن ذلك كان مستحيلاً . اسأل مَنْ شئت . من
المستحيل أن نترك الأولاد أميين ، كما كنت تريد ، وأن
أقوم أنا بالغسل والطبخ .

نيكولا ايفانوفتش : لم أردُ ذلك قط .

ماري ايفانوفنا : لا بهم ، كان شيئاً من هذا النوع . لا ، أنت ،
مسيحي . تريد أن تفعل الخير ، وتقول : إنك تحب
الناس . فلماذا تعاقب المرأة التي كرت لك حياتها ؟ .

نيكولا ايفانوفتش : كيف أعاقبك ؟ إني أحبّك كثيراً ، لكن ...

ماري ايفانوفنا : كيف لا تعاقبني وأنت تهجرني ؟ وأنت ترحل ؟

وماذا سيقول الناس ؟ إحدى اثنتين : إما أنني امرأة

سينة ، وإما أنك أنت مجنون .

نيكولا ايفانوفتش : لنفرض أنني مجنون ، لكن ليس بوسعي أن

أحيا هذه الحياة .

ماري ايفانوفنا : ما القطيع في دعوتي لأمسية مرة في الشتاء كله ،

وكانت أخشى بالضبط ألا يزعمجك هذا . ثم أسأل مانيا

وفارفار فاسيلييفنا كيف أن الجميع قالوا لي : إنه لا يمكن

الاستغناء عن تلك الأمسية ، وأنها ضرورية . أهي جريمة

إذن ، جريمة من أجلها أُسْرِبَلُ بالعار ! ولا أُسْرِبَلُ

بالعار فقط ! الأهم هو أنك لم تعد تحبني ، وأنتك تحب

الإنسانية على العموم ، وهذا السكيتّر الكسندر بيتروفتش ،

وأنا ما أزال أحبك ، ولا يمكنني أن أعيش بدونك .

لماذا ؟ لماذا ؟

(تبكي)

نيكولا ايفانوفتش : لكنك لا تريد أن تفهمي حياتي ، حياتي

الروحية .

ماري ايفانوفنا : أود أن أفهم لكنني لا أفهم . أرى أن مسيحيتك حماقات

على كره أسرتك وكرهي . أما من أجل أي هدف ، فلذلك

مالا أفهمه .

نيكولا ايفانوفتش : الآخرون يفهمون ذلك جيداً .

ماري ايفانوفنا : مَنْ ؟ الكسندر بيتروفتش الذي يبتز مالك .

نيكولا ايفانوفتش : هو وآخرون أيضاً، وتانيا ووفاسيلي نيكانوروفتش (١)
لكن ما أهمية ذلك . لو لم يفهم ذلك أحد ، لا تغيير
شيء .

ماري ايفانوفنا: فاسيلي نيكانوروفتش عاد إلى الطاعة ، واستأنف خدمته
الكنسية ، أما تانيا فهي ترقص الآن وتغازل ستيوبا .

نيكولا ايفانوفتش : هذا مؤسف ! لكن هذا لا يمكن أن يجعل الأبيض
أسود ؛ لا يمكنه أن يغير حياتي . ماري ! لم يبق في
فائدة لك . دعيني أرحل . حاولت أن أشارك في حياتك ،
أن أدخل فيها قوام الحياة كماها عندي . لكن ذلك كان
مستحيلاً . وينتج عن ذلك أنني أعذبك وأتعذب . وأنا
لا أتعذب فقط لكني أهدم عملي . لكل واحد ، حتى
الكسندر بيتروفتش نفسه ، الحق في أن يقول ، وهو
يقول ، إنني لست سوى كذاب ، وأنني أقول ولا أفعل ؛
وإنني أنادي بالفقر الإنجيلي ، لكنني أعيش أنا نفسي في
الترف بحجة أنني ساءت كل شيء لا مرأتي .

ماري ايفانوفنا: وهذا يضايقك بسبب الناس . ألا تستطيع أن ترتفع
فوق ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا لا يضايقني ، لكنني أشعر بالخجل إذ
أهدم العمل الإلهي .

ماري ايفانوفنا: أنت نفسك تقول : إن هذا العمل يتم بالرغم من

(١) فاسيلي نيكانوروفتش : هو الكاهن الشاب في الفصل الأول .

مقاومتنا . لكن ليس هذا هو الموضوع . قل لي ما الذي
يجب أن أفعله ؟

نيكولا ايفانوفتش : قالت لك ذلك من قبل .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم ، يا نيكولا ، أن ذلك مستحيل . فكّر
إذن . ها هي لوبا مقبلة على الزواج . وفانيا أصبح طالباً .
وميشاوكاتيا يدرسان . كيف أحطّم ذلك كله .

نيكولا ايفانوفتش : وأنا ماذا ينبغي أن أفعل ؟

ماري ايفانوفنا: افعل ما تُنادي به : أن تتحمّل وتحب . ما الصعب
في هذا ؟ ما عليك إلا أن تتحمّلنا ولا نحرمننا من وجودك .
مهلاً ، ما الذي يعذبك ؟

فانيا ، يدخل راكضاً : ماما ، الجميع يطالبونك .

ماري ايفانوفنا: قل لهم إنني لا أستطيع المجيء . امض ، امض !

فانيا : لكن تعالي !

نيكولا ايفانوفتش : لا تستطيعين أن تَري ، ولا تريدن أن تفهميني .

ماري ايفانوفنا: ليست المسألة أنني لا أريد ، بل إنني لا أقدر .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تريدن أن تفهمي ، ونحن نتباعد أكثر
فأكثر . حاولي أن تركّزي فكري في اللحظة من الزمن ،
أن تنتقلي بالفكر وستفهمين . وقبل كل شيء ، إن الحياة
التي نحياها هنا حياة فاسدة . أنت تغضبين عندما ألفظ
هذه الكلمة ، ولكنني لا أستطيع أن أدعو باسم آخر هذه
الحياة التي تقومُ كالها على النهب ، لأن المال الذي

تعيشين به هو ثمنُ الأرض التي تنتزعينها من الشعب .
ثم لاني أرى أن هذه الحياة تُفسد الأولاد : « ويلٌ لمن
يُغوي أحد هؤلاء الصغار » ، وأنا أراهم ، بعيني ،
يَضيعون وَيُفسدون . لا أستطيع أن أرى سوى رجالٍ
يَرْتدون ثيابهم الرسمية ليخدمونا كالعبيد . كل عشاء
فهو مصدرٌ لآلامي .

ماري ايفانوفنا: لكن ذلك كله موجودٌ دائماً . هذه هي الحالُ عند
الناس جميعاً ، وفي الخارج ، وفي كل مكان .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، منذ أن أدركتُ أننا جميعاً إخوةٌ ،
لا أستطيع أن أرى ذلك دون أن أتألم .

ماري ايفانوفنا: على خاطرك . يمكننا أن نخترع ماشئنا من الأشياء .

نيكولا ايفانوفتش ، بحرارة: هذا بالذات ، هذا النقصُ في الفهم هو
المُرعب ! في هذا اليوم ، مثلاً ، قضيتُ الصبيحةَ في
دار رجانونف (١) بين البائسين . رأيتُ في تلك الدار ولداً
يموت من الجوع حقيقةً ؛ رأيتُ ولداً صغيراً أصبح مدمناً ؛
رأيتُ غسالةً مسالمةً تغسل البياضَ في النهر ؛ وأعود إلى
منزلي فيفتح لي البابَ خادمٌ بربطته البيضاء ؛ ويأمرُ ابني ،
وهو فتى ، هذا الخادمَ بأن يحمل إليه كأس ماء ، وأرى
هذا الجيش من الخدم الذين يخدموننا . وأذهب بعد ذلك

(١) دار رجانونف : دار كبيرة في حي فقير في موسكو يسكنه جمهور الكادحين ، وقد
زازه تولستوي في سنة ١٨٨٢ أثناء إحصاء السكان ووصفه وصفاً أخاذاً في مقاله : ماذا
ينبغي لنا أن نفعل .

إلى بوريس الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن الحقيقة ،
فأرى ، أنهم يسوقونه عن عالم إلى الجنون والموت ، لكي
يتخاطبوا منه ، وهو الشديد النقاء والقوة والثبات . أعلمُ
علمَ اليقين أنهم يعامون بمرض قلبه فيهيجونه ويمجرونه
إلى قسم المجانين الثائرين . آه ! لا ، هذا هو الفظيع ،
الفظيع ! وعندما أعود إلى البيت هنا ، أعلم أن إحدى
بناتنا التي كانت تفهم الحقيقة ، ولا تفهمني أنا فقط ،
قد تنكّرت لخطيئها الذي عاهدته على الحب وتنكّرت
للحقيقة في آن واحد ، وأنها تنوي أن تتزوج حقيراً ،
كذباً . . .

ماري ايفانوفنا: أهذا تصرفك المسيحي !
نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هذا شرٌ ، وأنا مذنبٌ ؛ لكني أريد فقط
أن تضعي نفسك مكاني . قاتُ فقط : إنها تخالفت عن
الحقيقة . . .

ماري ايفانوفنا: أنت ، تقول : عن الحقيقة . الآخرون ، الأكثريّة ،
يقولون : عن الخطأ . هذا الكاهن فاسيلي نيكاروفتش
الذي كان يظن نفسه مخطئاً ، ها هو يعود مع ذلك إلى
أحضان الكنيسة .

نيكولا ايفانوفتش : أمممكن هذا ؟
ماري ايفانوفنا: كتبَ لليز . تستطيع أن تُرياك الرسالة . كل ذلك
هشٌ . نستطيع أن نقول الشيء نفسه عن تانيا . ولم أذكر
الكسندر بيتروفتش لأن هذا لم يفعل ما فعله إلا من أجل
المنفعة المادية .

نيكولا ايفانوفتش ، مغتاضاً : ليكن . لكنني أرجوك أن تفهمي .
لأنني اعتبر الحقيقة حقيقة ، مع ذلك . يؤلمني جداً أن
أذهب . لقد عدتُ إلى البيت ، فرأيتُ شجرة عيد الميلاد ،
وحفلة راقصة ، ومئات الروبيلات مُنفقة ، في حين
يموت الناسُ من الجوع . لا أستطيع أن أحيأ هكذا .
ارحميني ! لم أعدُ أقدرُ على الألم . دعيني أرحلُ .
وداعاً .

ماري ايفانوفنا: إن ذهبتَ ذهبتُ معك . وإذا لم أستطعُ أن أذهبَ
معك رميتُ بنفسِي تحت القطار الذي يُقالُك . ولئيهلكُ
الأولادُ ، وميشا ، وكاتيا . إلهي ! إلهي ! ما هذا العذاب !
ماذا فعلتُ ؟ ماذا فعلتُ ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش ، عبّرَ الباب : الكسندر بيروفتش ، عدُ
إلى بيتك . لن أذهب . سأبقى ، كفى !
(يخلع سترته) .

ماري ايفانوفنا ، تقبله : لم يبقَ في العمر مهلةٌ . يجب ألا نفسد
حياتنا بعد ستة وعشرين عاماً من الحياة المشتركة . لن أقيمَ
بعد الآن سهرات . لكن لا تُعاقبني .

فانيا وكاتيا ، يصلان وهما يركضان : ماما ، استعجلي وتعالِي .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية ، أنا آتية . لقد غفر إذن كلانا للآخر .

(تخرج) .

نيكولا ايفانوفتش : هي طفلة ، طفلةٌ حتماً ، أو هي امرأةٌ ماكرةٌ .
نعم ، طفلةٌ ماكرة . آه ! أرى أنك لا تريدُ أن أكون
عاملاً في عمالك . تريد أن اتضعَ لكي يستطيع الجميع
أن يشيروا إليّ بأصابعهم : إنه يقول مالا يفعل . ليكن .
هو أدرى بما يلزمه . الضعة والانتضاع . نعم ، لكن لا بد
من أن أتمكن من الارتفاع إليه . . .

ليز ، تلخل : عفواً ، إني أحمل إليك رسالةً من الكاهن فاسيلي
نيكانوروفتش . كتبَ إليّ ورجاني أن أوصل هذه
الرسالة إليك .

نيكولا ايفانوفتش : أمن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً ؟

ليز : نعم ، اقرأ .

نيكولا ايفانوفتش : اقربي انتِ ، أرجوكِ .

ليز ، تقرأ : « أكتبُ إليكِ راجياً أن توصلي ذلك إلى نيكولا ايفانوفتش .
إني نادم على الخطأ الذي دفعني إلى ترك الكنيسة الارثوذكسية
وأنا أفرح بالعودة إليها . أتمنى لكِ و لنيكولا ايفانوفتش
الشيء نفسه . أرجوكم أن تغفرا لي » .

نيكولا ايفانوفتش : شدّ ما عذبوا هذا الفتى المسكين . لكن هذا
فظيعٌ مع ذلك .

ليز : جئتُ أيضاً لأقول لك : إن الأميرة وصلت الساعة . هي
فوق ، في غرفتي ، وهي في أشد حالات الهياج ، وهي
تأبى إلا أن تراك . لقد رأت ابنها قبل حين . وأظن من

الأفضل ألا تستقبلها . ما الشيء الحسن الذي يمكن أن
ينتج من لقاءكما ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ادعيها ؛ ربما كان هذا اليوم يوم امتحان
رهيب .

لينز ، خاروجة : سأستدعيها .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، يجب أن ينصب تفكيرنا على أن الحياة
ليست سوى خدمتك . يجب أن أعتقد أنك لا ترسل إليّ
هذا الامتحان ! لا لأنك تظنني قادراً على احتماله ،
وأناك ترسله على قدر قواي . وإلا لما كان امتحاناً .
يا أبي ! أعني على تنفيذ مشيتك لا مشيتي .

الأميرة ، داخلة : لقد قبّلت باستقبالي . وأنت تشرفني حين تستقباني .
نحيتي لك . ولا أمدّ يدي إليك لأنني أكرهك واحتقرك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الذي حدث ؟

الأميرة : حدث مايلي وهو أنه أرسل إلى الفوج التأديبي . وأنت
الذي فعل هذا !

نيكولا ايفانوفتش : يا أميرة ، إن كنت بحاجة إلى شيء فقولي لي ؛
لكنك إن كنت قد جئت لتُهينيني فقط ، فأنت تُعين
نفسك لا غير . أما أنا فليس من إهانة تجرحني ، لأنني
معك بقلبي ، وأنا أرثي لك .

الأميرة : يا لهذه الرحمة ! وذلك السمو المسيحي ! لا ، يا سيد
سارنتريف ، لن تخدعني . عرفتُك الآن . أضعت

ابني ، ولست تُبالي بذلك ؛ فأنت تُقيم الحفلات الراقصة ،
وخطيبة ابني ، ابنتك ، تتزوج ، تعقد زواجاً بهجاً
يُعجبك . وتظاهر بأنك تحيا حياة البساطة ، وتمارس
النجارة ! كم تبدو لي مُقرِّفاً بنفاقك !

نيكولا ايفانوفتش : اهلهي ، يا أميرة ، قولي ما عندك . لانك لم تأتي
فقط لتُهينيني .

الأميرة : ولهذا أيضاً . فأنا بحاجة إلى صبّ جام غضبي بعد أن
تأملتُ كثيراً . لكنّ هذا ما يازمني : إنه يُنقل إلى فوج
تأديبي ولستُ أحتمل ذلك . أنت فعلت ذلك ، أنت ،
أنت ، أنت !

نيكولا ايفانوفتش : الله فعل ذلك ، لا أنا . الله يرى كم أرثي لك .
لا تُقاومي . مشيئة الله . هو يريد أن يمتحنك . تحملي ذلك
بالتسليم .

الأميرة : لا أستطيع أن أتحمل ذلك بالتسليم . كانت حياتي كلها
مركّزة في ابني ، ولقد اختطفته مني وأضعته . ليس
بوسعي أن أظل هادئة . وقد جئتُ إليك ، وهي آخر
محاولة لي ، لأقول لك إنّ أضعته فعليك أيضاً أن تُنقذه .
اذهب وابذل وسعك لكي يطلقوا سراحه . اذهب وقابل
السايطات . اذهب إلى القيصر ، اذهب إلى مَنْ شئت .
فاذا لم تفعلْ عامتُ ماذا سأفعلُ ، أنا . تعهّد لي بذلك .

نيكولا ايفانوفتش : عالميني ما الذي يجب أن أفعله . أنا مستعدّ لكل
شيء .

الأميرة : أكرّر ما قلّته مرةً أخرى . يجب أن تنقذه . وإذا لم
تنقذه فتذكّر ذلك . ودائماً .

(يتمدّد نيكولا ايفانوفتش على الأريكة . يفتح البابُ يسمع
صوتُ الموسيقى على نحوٍ أعظم) .

ستيوبا : بابا ليس هنا ، تعالوا !

(يدخل الأزواجُ صغاراً وكباراً) .

لوبا ، تشاهد أباهما : آه ! أنتَ هنا ، سامحنا .

نيكولا ايفانوفتش ، ناهضاً : لا أهمية لذلك . (يمرّ الأزواج ويظلّ

وحده) . رجعَ فاسيلي نيكانوروفتش . فقدتُ بوريس .

لوبا تتزوج . أنا في الخطأ ؟ في الخطأ لأنني أومنُ بك .

لا . يا أبي . أعني .

ستار

الفصل الخامس (١)

المشهد - ١ -

« فوج تأديبي . المهجع . السجناء قعود أو نيام . بوريس يقرأ الإنجيل ويفسره . يُساق سجينٌ مُعاقَب » .

الضابط للمعاقب : آه ! لم يبقَ لك إذن من بوغاتشيف !

(تدخل الأميرة . تُطردُ . مشادةٌ مع ضابط . يُساق بوريس إلى الزنازة ، ليُجلد) .

المشهد - ٢ -

« مكتب المايك . سيجارات ، مزح ، ملاطفات . يُعان عن الأميرة . يُطأَبُ أن تنتظر . يدخل أصحابُ الطالبات . يتحلقون . تدخل الأميرة . رفضٌ . يخرجون » .

المشهد - ٣ -

ماري ايفانوفنا ، تكلم الطبيب عن مرض زوجها : لقد تغير ، هو وديع ، لكنه واهن العزم .

(١) الفصل الخامس : لم تكد ترسم خطوطه الأولى ؛ وهو مجموعة من الملاحظات ، هو مخطط الفصل .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : عدم جدوى العلاج . الروحُ اُثمن . لكنني
أقبلُ من أجل زوجتي .

(تدخل تانيا وستيوبا ، لوبا وستاركوفسكي . يجري الحديث عن
الأرض . يحاول ألا يجرح أحداً . يخرج الجميع . يبقى وحده مع ليز) .
نيكولا ايفانوفتش : إني مترددٌ أبداً . أحسنتُ صنعا . ألا يجب
أن أفعل شيئاً . فقدتُ بوريس . رجعتُ فاسيلي نيكانوروفتش .
أنا قدوةٌ للضعف . أرى أن الله يأبى أن أكون خادمه .
إن له الكثير من الخدم غيري . وهو بغنى تام عني .
إذا ما فهمنا ذلك بوضوح أكبر هددتُ نفوسنا .

(تخرج . يصلي . تدخل الأميرةُ بغتةً عليه ، وتجرحه جرحاً
مميئاً . يُهرع الجميع . يقول : إنه جرح نفسه غاطاً . يكتب التماساً
للقيصر . يأتي فاسيلي نيكانوروفتش مع اللوبوكريين . يموت . يفرح
لأن كذب الكنيسة قد شُهرَ به ، ولأن الحياة كان لها
معنى في نظره) .

ستار

كل الفضائل تأتي منها"
مستخرج من فصول
١٩١٠

(١) كل الفضائل تأتي منها : مثل روسي ساخر عن الخمرة : « ماء الحياة » .

الشخصيات

العجوز آكولينا : ٧٠ سنة ، ما تزال متينة البنية ، رصينة ، على نمط الزمن القديم .

ميشيل : ابنها ، ٣٥ سنة ، مشبوب العاطفة ، ممتلئ بالأنانية والغرور ، قوي جداً ، متين البنية .

مرثا : كنتها ، ٣٢ سنة ، متدمرة ، تتكلم كثيراً وبسرعة .

باراشا : ١٠ سنوات ، بنت مرثا وميشيل .

العجوز تاراس : ٥٠ سنة ، رصين ، يتكلم بهدوء ، ويعطي نفسه أهمية .

عابر سبيل : ٤٠ سنة ، نحيل ، يتكلم كثيراً ، وهو ثرثار ، وبخاصة عندما يشرب .

اينياس : ٤٠ سنة ، حكيم ، مرح ، غبي .

جار : ٤٠ سنة .

تجري الأحداث في الخريف ، داخل كوخ خشبي .

الفصل الأول

المشهد - ١ -

« الأم آكولينا تغزل ؛ الزوجة مرثا تعجن ؛ الطفلة باراشا تهزّ الرضيع » .

مرثا : اوه ! قلبي لا يتوجّس خيراً . ما الذي منّعه من العودة ؟ هذا ، كالمرة الماضية عندما سافر مع الأخشاب وشرب بنصف المال تقريباً ، ثم إن كل شيء بعد ذلك سيرتدّ علي .

آكولينا : ما جدوى هذه الأفكار السوداء . لم يَفُتْ الوقتُ بعد . فالمكان بعيدٌ جداً . من شيء إلى شيء آخر . . .

مرثا : آكيم عاد منذ زمن . مع أنه سافر بعد رجائنا ؛ ورجائنا لم يعد بعد . ما عندنا غيرُ الهمّ ، هذه سعادتي كلها . . .

آكولينا : آكيم ذهب بطالب ، أما رجائنا فذهب إلى السوق .

مرثا : ما كنتُ سأَقْلُقُ لو كان وحده ، لكنه سافر مع اينياس . وعندما يكون مع هذا الخنزير فلا بدّ له من أن يَسْكُرَ . عبثاً أكدح طوال النهار ، كل العبء يقع عليّ . لا بدّ لي على الأقل من بعض السرور . لكن سروري كله هو في الحركة من الصباح إلى المساء .

« يفتح الباب ويدخل تاراس ، يصحبه عابر سبيل رث الثياب »

تاراس : طابَ يومكم جميعاً . جئكم بعابر سبيل .

عابر السبيل ، مسأماً : تحياي لأصحاب البيت .

مرثا : أنتَ تُكشِّر علينا من هؤلاء العابرين . آوينا واحداً نهار

الأربعاء . الدورُ دورُنَا دائماً . كان يجب أن تأخذه إلى

بيت ستيابند . فليس عنده أولاد . أما أنا فعندي من العمل

ما يكفيني مع أهل بيتي . وأنت تأتي بهم دائماً إلينا .

تاراس : كل واحد بدوره .

مرثا : مهما تقلُ فان عندي أولاداً . ثم إن صاحب البيت ليس

هنا .

تاراس : لا يحتاج إلا إلى النوم ، ولن يحْمِل مكانه معه .

آكولينا ، للعابر : ادخلْ ، تعال واجاسْ ، أهلاً بك .

عابر السبيل : أشكرك كثيراً . هل تتفضّلون باطعامي ، إن أمكن ؟

مرثا : لم تكْدُ ترانا ، وتطالب على الفور طعاماً . ألم تجلُ في

القرية ؟

عابر السبيل ، متنهّداً : ليس هذا من عادتي ، في مثل وضعي . وليس

معي زادٌ .

(تنهض آكولينا ، وتتناول رغيفاً ، وتقطع منه قطعة وتقدّمها

له) .

عابر السبيل ، يأخذ الخبز : شكراً .

(يمضي ويجلس على متكأ النافذة ويأكل بشرافية) .

تاراس : وأين ميشيل ؟

مرثا : حَمَل العائِفَ إلى المدينة . حان وقتُ عودته لكنه لم يصل .
بعد . يَخْطُر ببالنا دائماً أنْ قد حَدَثَ له حادث .

تاراس : ماذا يمكن أن يحدث له ؟

مرثا : لن يحدث له خيرٌ يُذَكِّر ، أما الشر فيمكن أن نتوقعه
دائماً .

آكولينا ، تعود إلى الغزل وتخطب تاراس مشيرة إلى مرثا : إنها لا
تتوقف عن الكلام أبداً . وما فائدة الكلام ؟ أعلمُ ،
بالطبع ، أننا ، نحن النساء ، مهمومات دائماً ، في حين
أنه لا يكاد يخرج من البيت حتى يرمي همومه عن ظهره .
وفي هذه الحالة ، نتوقع في كل لحظة أن نراه يعود إلى
البيت سكران .

مرثا : كنا سنكون أقلَ قلقاً عاينه لو كان وحده ؛ لكنه اصطحب
اينياس .

تاراس ، مبتسماً : واينياس ايفانوفتش هو حقاً هاو كبير للشراب .

آكولينا : كفى كلاماً ، إنه لم ير اينياس كثيراً . وسينذهب في
طريقه كما أن اينياس سينذهب في طريق أخرى .

مرثا : قولي ما شئتِ ، يا أمي . أما أنا فقد وصاتُ الأمورُ إلى
هنا . (تشير إلى حنجرتها) . مادام بلا شراب فأنا لا أذمه ،

لكنه إن شرب فأنت تعلمين كيف يصبح . لا يجوز لي
أن أفتح فمي . مهما أفل فكل شيء يضايقه .

تاراس : آه ! من النساء المسنات ! لنفرض أنه شرب . طيب !
دعيه يشرب قليلاً ، ذلك النجاج . فإذا ما غفا غفوة
عاد كل شيء إلى طبيعته . لكنكن ، أنتن ، تحبين
المشاكسة .

مرثا : افعلي ما تشاء فعندما يسكر لا يرضيه شيء .

تاراس : لكن حاولي أن تفهمي . في بعض الأحيان ، لا يسعنا إلا
أن نشرب . أنتن النساء المسنات تبقيين في البيت ، أما نحن
فلا نستطيع ذلك ؛ إن لنا أعمالاً ، أو قد نكون بين الناس .
وحيث نشرب جرعة ، وليس ذلك شراً عظيماً .

مرثا : مهما تقل فنحن جديرات بالثناء . اوه ! ما أشقّ حياتنا !
لو أُجبرت على أن تعمل عمالتنا لمدة ثمانية أيام فقط لقلت
الكثير ! يجب أن نَعجن ونخبز ونطبخ ونغزل ونسج ،
ونهتم بالماشية وبالبيت ، ثم يجب أن نغسل الصغار وأن
نلبسهم ونطعمهم . كل شيء على ظهرنا ، وأقل الأشياء
يُضايقه ، هو نفسه يُقرّ بذلك ، ولا سيما عندما يشرب .
اوه ! ما أشقى النساء !

عابر السبيل ، وهو يمضغ : هذه هي الحقيقة جميع كوارث الحياة
تأتي من الكحول : إنها مَصْنَع كل شر .

تاراس : عجباً ، وأنت أيضاً تشكو من الكحول .

عابر السبيل : ليس الأمر كذلك تماماً ، لكنني كابدت آلاماً منها ،
وكان يمكن أن يكون مجرى حياتي مختلفاً أشدّ اختلاف .

تاراس : برأيي ، أننا إذا شربنا شرباً معقولاً ، فإن يضرنا ذلك .

عابر السبيل : وأنا أقول : إن في الكحول قوةً عظيمةً كبيرةً قادرة
على أن تفسد الإنسان كآبياً .

مرثا : هذا بالذات ما قائمه : كدّي ، واجتهدي ، فلن تنالي إلا
مكافأةً واحدة : أن تُشمتي وتُضربِي كالكتاب .

عابر السبيل : وأكثر من ذلك ، أن من بين هؤلاء الأشخاص من
يَفْقِدُ عقله تماماً ومن يَفْعَلُ أشياء لا يجوز أن تُفْعَلَ .
فهو ما لم يشرب لا يمس شيئاً ، مهما أعطيته ؛ لكنه ما
ان يشرب حتى يحمل كل ما يقع تحت يده . كم ضُربتُ ،
بل إنني سُجنت . ما دمنا لم نشرب نفعل كل شيء بشرف
وبشكل ملائم — وما إن يشرب ذلك الشخص الذي
أحدثت عنه حتى يلتقط كل ما يقع تحت يده .

آكولينا : أعتقدُ أن ذلك يتوقف على الشخص .

عابر السبيل : يتوقف على الشخص ما دام في صحة جيدة ، أما هذا
فهو مَرَضٌ .

تاراس : عجباً ، مرضٌ ! ما يازمه إنما هو ركةٌ قوية ، فمثل هذه
الركاة تزيل المرض بسرعة . في هذه الأثناء أتمنى لكم
مساءً سعيداً .

(يخرج . تُنشَفُ مرثا يديها وتستعد للخروج) .

آكولينا ، تنظر إلى عابر السبيل وترى أنه أكل خبزته : مرثا ، يا
مرثا ، أعطيه خبزاً أيضاً .

مرثا : ما أكانه كافٍ . سأذهب لأرى السماور قليلاً .

(نخرج ، تنهض آكولينا ، وتدنو من الطاولة ، وتأخذ الرغيف
وتقطع منه قطعةً تقدّمها لعابر السبيل) .

عابر السبيل : شكراً ، كان بي جوعٌ شديد .

آكولينا : أنت عامل ؟

عابر السبيل : أنا ؟ كنت ميكانيكياً .

آكولينا : أكان مُربحاً عملك ؟

عابر السبيل : كنتُ أحصل على خمسين روبلاً ، وحتى ستين
روبلاً

آكولينا : يا لها من مشكلة ! وكيف تصرفت حتى وصلت إلى
هذه الحالة ؟

عابر السبيل : لست وحدي الذي وصل إلى هذه الحالة . وإنما وصلتُ
إلى هذه الحالة لأن الأزمنة تغيرت بحيث أن الرجل الشريف
لا يستطيع أن يعيش اليوم .

مرثا ، حاملةً السماور : يا ربي ! لم يأت بعد . لن أفلتَ ، سيأتي
سكران . قلبي يُحسّ بذلك .

آكولينا : حقاً ، لعاه كان منهمكاً في المجون ؟

مرثا : بلا شك ! العبء كاه علي . يجب أن أعجن ، يجب أن

أخبز ، يجب أن أطبخ ، وأغزل وأنسج ، وأهتم بالماشية ،
كل العبء يقع علي . وهؤلاء الصغار (يبكي الرضيع
في مهده) . باراشا ، هزّي الصبي ! اوه ! يا لهذه الحياة
الشفقة ! عندما يشرب لا شيء يرضيه ! . . . والويل
لمن يقول كلمةً منحرفة . . .

آكولينا ، تنقع الشاي : عجباً ، هذا آخر ما بقي من الشاي ! هل
قلت له أن يتحمّل معه شايّاً ؟

مرثا : بلا شك . كان ينوي أن يأتي بالشاي . فهل يأتي به ؟ هل
يخطر البيتُ بباله ؟

(توضع السماور على الطاولة ، يبتعد عنها عابر السبيل) .

آكولينا : لم ابتعدت عن الطاولة ؟ ستتناول الشاي .

عابر السبيل : أشكرك على حُسن ضيافتك .

(يرمي بسيجارته ويدنو من الطاولة) .

مرثا : وما وضعك ؟ أنت فلاحٌ أم شيء آخر ؟

عابر السبيل : الواقع أنني لستُ فلاحاً ولست نبيلاً ، أنا بينهما .

مرثا : وكيف ذلك ؟

(تقدّم له فنجاناً) .

عابر السبيل : شكراً . ذلك أن أبي كان « كونتاً » بولونياً ، ثم كان

لي آباء كثيرون ، ثم كان لي أمّان .

آكولينا : ياربّي ! كيف ذاك ؟

عابر السبيل : هكذا : كانت أُمي تعيش في الدعارة ، أي في تعدّد الزوجات . وكان لي آباء كثيرون . وكان لي أُمّان ، لأنّ الأم التي ولدتني تركتني وأنا في طفولتي الأولى . لكن البوابة عطفّت علي وآوتني . سيرةُ حياتي ، على الإجمال ، مربكة جداً .

مرثا : اشربْ شاياك . طيب ! ثم درّبوك على الصنعة ؟

عابر السبيل : لم يكن تدريبي باهراً . لم تكن أُمي الحقيقية ، بل أُمي المتبنّية هي التي وضعتني عند حداد . أي ان الحداد كان أوّل من ربّاني . وكانت تربيتُهُ تقوم على أنّه كان يَضْرِب على رأسي أكثر مما كان يَضْرِب على سندانهِ وعبثاً كان يضرب ، فانه لم يستطع أن يُزيل مني مواهبي ، مع ذلك . ثم اشتغلتُ عند صانع أقفال ، وهناك كُرمْتُ وباعْتُ هديني . وصرتُ عاملاً أوّل ، وتعرّفتُ بأشخاص متعلّمين ، وأصبحتُ عضواً في الحزب . واستطعتُ أن أتآلف مع الموهبة الخطابية . وكان يمكن أن تكون حياتي راقيةً لأنني كنت أملك موهبةً عظيمةً .

آكولينا : لا شك .

عابر السبيل : وهنا جرّفتني الإعصار ، أي النير المستبد بحياة الشعب ، وسُجنتُ ، وبالتالي حرُمْتُ من حريتي .

مرثا : ولمَ ذاك ؟

عابر السبيل : من أجل الحقوق ؟

مرثا : أية حقوق ؟

عابر السبيل : أية حقوق ؟ الحقوق التي تَقْضِي ألاّ يظل البرجوازي بلا عمل ، وأن ينال الكادحُ الذي يعمل أَجْرَ عمله .

آكولينا : وأيضاً بصدد الأرض ؟

عابر السبيل : بدون شك ! بصدد المسألة الزراعية أيضاً .

آكولينا : عسى أن يُنْعِمَ للربُّ علينا بهذه النعمة ، والعذراء ! فنحنُ في ضيقٍ شديد .

عابر السبيل : وحينئذٍ جفرتُ قاربي ، من جرّاء ذلك ، أمواجُ بحر الوجود .

آكولينا : والآن .

عابر السبيل : والآن ؟ الآن سأذهب إلى موسكو . سأعرض نفسي على أحد المستغلّين . ماذا تريد مني ، سأرضخ ، سأقول له : أعطني أيّ عمل شئت ، وخُذْني » .

آكولينا : هيّا ، اشربْ بعدُ .

عابر السبيل : أَلْفَ منّةٍ لكِ ، أي شكراً .

(تُسْمَعُ ضجّة وكلامٌ عند المدخل) .

آكولينا : آه ! هذا ميشيل يأتي في موعد الشاي بالضبط .

مرثا ، تنهض : آه ! يا ويلى ! ها هو مع اينياس . معنى ذلك أنه سكران .

(ميشيل واينياس يَدْخُلان من الباب . كلاهما سكران) .

اينياس : مساء الخير يا جماعة . (يصلي صلاةً قصيرة وهو يرسم

علامة الصايب أمام الأيقونات) . ها نحن قد وصلنا
أخيراً . . . في موعد الشاي بالضبط . ذهبنا إلى الصلاة ،
فكانت مُرتاةً ؛ ذهبنا إلى الغداء ، فكان مأكولاً ؛
ذهبنا إلى الحانة فكان الموعدُ مضبوطاً . ها ! ها ! ها !
أعطونا شيئاً نقدمُ لكم خمرآ . هل هذا مُرضٍ ؟

(ينفجر ضاحكاً) .

ميشيل : من أين جاءَ هذا الرجلُ ؟ (يُخرج من قفطانه زجاجةً
ويضعها على الطاولة) . هاتي الكؤوس .

آكولينا : ماذا ، هل وفُتّت ؟

اينياس : وكيف لا ، شربنا ، ولهُونا ، وجئنا بشيء من الغالة
إلى البيت .

ميشيل ، يصبُ في الكؤوس ، ويقدمُ كأساً لأمه ، وكأساً لعابر
السيبل : خذْ ، اشربْ أنت أيضاً .

عابر السيبيل ، يتناول الكأس : أشكرك بصدق ، على صحّتك .
(يشرب) .

اينياس : انظر ، يا رجل ، كيف يعبُ الخمرَ . على الريق ، تسري
هذه الخمر في عروقك .

(يملأُ له كأسه مرة أخرى) .

عابر السيبيل ، يشرب : عسى أن تُوفّقوا في كل مشاريعكم .

آكولينا : حسناً ! وهل وفُتّم في بيعكم ؟

اينياس : وُفّقْنَا أم لم نوفّق ، لقد شربنا بكل شيء . أليس كذلك ،
يا ميشيل ؟

ميشيل : أجل ! لا داعي للانزعاج . يحق لنا أن نأهو مرةً .

مرثا : لا داعي لأن تتباهى . لا خيرَ في ذلك . نحن نموت من
الجوع في البيت ، وأنت تتركب الحماقات .

ميشيل ، مهدّداً : مرثا !

مرثا : ماذا ، مرثا ! أنا أعلم جيداً أنني مرثا . آه ! كنتُ أودّ
فقط ألا أراك ، أيها السكير الوقح .

ميشيل : انتبهي ، مرثا !

مرثا : لا أريد أن انتبهَ ولا أريد أن أراك .

ميشيل : قدّمي الخمر ، قدّمي للمدعوين .

مرثا : أفٍ منك ، أيها الكلبُ الوقحُ ! لا أريد أن أكلمك .

ميشيل : لا تريدن ! يا جيفة ! ماذا قالت ؟

مرثا ، تهزّ الرضيع ، فيدنو منها الولد ، مرعوباً : ماذا قالت ؟ قلتُ :
إني لا أريد أن أكلمك ، هذا كل ما في الأمر .

ميشيل : أنسيتِ ؟ (ينهض عن الطاولة ، ويضربها على رأسها ،
وينترع مندليها) . هذه واحدة !

مرثا : اوه ! اوه ! اوه !

(تجري باكيةً إلى الباب) .

ميشيل : لن تذهبي ، يا حقيرة !

(يَتَنَفَّضُ عَلَيْهَا) .

عابر السبيل ، ينهض على عجل عن الطاولة ويمسك بميشيل من يده :
لا حقَّ لك في ذلك .

ميشيل ، يتف و ينظر إلى عابر السبيل بذهول : أتشتبهى أن ينالك
الضرب ؟

عابر السبيل : لا حقَّ لك في أن تُعرِّضَ النساءَ للإهانة .

ميشيل : آه ! يا بن الكلبة ! أترى هذه ؟

(يَرِيه قبضته) .

عابر السبيل : لن أسمح بالشروع في استغلال النساء .

ميشيل : سأركلك ركلةً عجيبة .

عابر السبيل : اضربني ! هيتا ! اضربني !

(يدبر له خدّه)

ميشيل ، يهزّ كتفيه ويباعد بين يديه : طيب ! وإذا بدأتُ ...

عابر السبيل : لن يزيد ذلك في الأمر شيئاً ! اضرب !

ميشيل : أرى أنك رجل غريب الأطوار .

(يخفض ذراعيه وهو يهز رأسه) .

اينياس لعابر السبيل : يتّضح على الفور أنك مشغوفٌ بالنساء .

عابر السبيل : أنا مشغوفٌ بالحق .

ميشيل لمرثا ، يدنو من الطاولة وهو يتنفس بصعوبة : طيب ! مرثا ،

أضيتي شمعةً لهذا . فاولاه لهشمتك .

مرثا : ماذا يمكن أن أتوقع منك ، يجب أن أتعذب طوال العمر ،
فأعجنُ وأخبز ، ثم ...

ميشيل : دعي ذلك ، كفى ، حسبك . (يملأ كأس عابر السبيل
مرة أخرى) . اشرب . (لزوجته) . لم تتباكين ؟ ألا
يمكن أن نمزح قليلا ؟ هذا هو المال ، صريه : ورقتان
من ذوات الروبلات الثلاثة ، وقطعتان من ذوات العشرين
كوبيكاً .

آكولينا : والشاي ، والسكر ، الذي طابت أن تأتي بهما ؟

ميشيل ، يُخرج من جيبه سफطاً ويعطيه زوجته . تأخذ مرثا النقود
والمشتريات وتذهب إلى غرفة المهملات ، وهي تُصاح
مندياها بصمت : ما أسخف النساء ! (يصب لعابر
السبيل مرة أخرى) . نخذ ، اشرب .

عابر السبيل ، لا يشرب : اشرب ، أنتَ نفساك .

ميشيل : هيا ، لا تتدلل .

عابر السبيل : على صحتك .

ايناس ، لعابر السبيل : لا شك أنك رأيتَ الكثير في حياتك . او !
ما أجمل سترتك ، نظامية حقاً ! أين استطعت أن تجد
مثل هذه السترة ؟ (يشير إلى سترته الرثة) . أنت في
غنى عن إصلاحها ، فهي ثلاثمك جيداً ، بدون ذلك .
آه ! لو كان لي مثاها ، لأحببني النساء !
(لمرثا) . أليس صحيحاً !

آكولينا : لا داعي ، يا اينياس ، للهزءِ برجلٍ لم يصنعَ بك شيئاً .

عابر السبيل : إنما قال ذلك بدافع الجهل .

اينياس : قاتلته بدافع الصداقة . اشرب .

(يملأ كأسه ، عابر السبيل يشرب) .

آكولينا ، بيد أنك قلت : إن ماءَ الحياة مصدرُ جميع الشرور وأذاك سُجنتَ بسبب ذلك .

ميشيل : بسبب ماذا سُجنتَ ؟

عابر السبيل ، وقد سكر بشدة : تأملتُ بسبب عمايات السطو (١) .

ميشيل : وكيف ذاك ؟

عابر السبيل : حسناً ! أتينا بيته ، بيت ذي الكرّش الضخم . قلنا له : « هات المال أو دوناك المسدس » . تمّصّ ؛ وكان لا بدّ له من أن يدفع ألفين وثلاث مئة روبل .

آكولينا : يا ربي !

عابر السبيل : أردنا أن نأخذ المبلغ . كان زمبريكوف يقودنا . وفجأة وصل هؤلاء الغربان . فأوقفونا ووضعونا في السجن .

(١) السطو : السطو ذو الأهداف الثورية كان كثير الوقوع في سنة ١٩٠٥ وفيما بعد . وأشهر عملياته عملية جوزيف ستالين الذي استولى بالسلاح على البريد في « تغليس » ، وعلمية جوزيف ييلسودسكي الذي أوقف قطاراً للبريد قرب فيلنا . وكان بعض قطاع الطرق يفعلون ذلك لمصلحتهم الخاصة .

آكولينا : واستردوا المال منكم ؟

عابر السبيل : بلا شك . لكن كان من المستحيل عابهم أن يتهموني .
في الجاسة ، قال لي النائب العام : « أنت سرقت المال ؟ »
لكنني أحببته : « اللصوص هم الذين يسرقون . أما نحن
فنقوم بالسطو من أجل الحزب » . فلم يجد ما يردّ به
على ذلك . عبداً حاول أن يجيب ، لم يجد ما يردّ به .
فقال : « خذوه إلى السجن » ، أي ضعوا حداً لحياته
الحرّة .

اينياس ، لميشيل : ما أمهره ، ابن الكلبة هذا . هو شجاع . (يصب
له) . اشرب ، أيها الحيوانُ الوسخُ . . .

آكولينا : أف ! ما أبدأ كلامك !

اينياس : يا جدّة ، ليس هذا كلاماً بذيثاً ، هذه طريقتي في
التعبير ، . . . على صحتك ، يا جدّة .

(تدنو مرثا من الطاولة وتقدّم الشاي) .

ميشيل : هذا شيء حسن . لا داعي للغضب . ها أنا أقول لمرثا :
شكراً . أنا أقدرها كثيراً ، (لعابر السبيل) ما رأيك ؟
(يقبل زوجته) . إني أقدرها كثيراً ، امرأتي ، أقدرها
تقديرًا عظيمًا . بكامة واحدة ، امرأتي من الصنف الأول .
لا أقبل أن أبدلها أي شيء في الدنيا .

اينياس : هذا حسن . جدّه آكولينا ، اشربي . أنا صاحب الوليمة .

غابر السبيل : هذه هي قوّة العطاية . قبل قايل كان كلُّ واحد يُخاد
إلى الكتابة ، أما الآن فلا يوجد سوى البهجة ، سوى
الاستعدادات الودّية . يا جدّة ، أنا أحبّك ، وأحبّ
جميع البشر ، إخوتي الأعزاء .

(يُنشد نشيداً ثورياً) .

ميشيل : كم فعات هذه برأسه ، بعد صيامه .

ستار

الفصل الثاني

« الكوخ نفسه . في الصباح » .

« مرثا و آكولينا . الزوج ينام » .

مرثا ، تتناول فأساً : سأقطع حطباً .

آكولينا ، تمسك بسطل : كان سيَضْرِبُك البارحة لولا ذلك الرجل .
لكننا لم نره بعدها . أَيْكونُ قد سافر ؟ لا بدّ أنه سافر .

(تخرجان الواحدة بعد الأخرى) .

ميشيل ، ينزل عن الموقد : عجباً ، ارتفع النهارُ . (يرتدي ملبسه
ويحتذي حذاءه) . لا شك أنها ذهبتْ مع العجوز لتأتي
بالماء . رأسي يؤلمني ، يؤلمني كثيراً . لا أريدُ بعد الآن ...
إلى الشيطان (يصلي ويغسل وجهه) . حان وقتُ رَبْطِ
الجواد .

(تدخل مرثا حاملة حطباً) .

مرثا : هل سافر متسوّل البارحة ؟

ميشيل : لا بدّ أنه ذهب ، لقد اختفى .

مرثا : أَيْمكنُ . لا شك أنه رجلٌ ذكي . قال إنه كان يكسب
خمسَين روبلاً في الشهر . لا شك أنه رجل طيّب .

ميشيل : يبدو لك طيباً ، لأنه دافعَ عنك .

مرثا : وما أهمية ذلك عندي ؟

(ميشيل يرتدي ثيابه) .

مرثا : هل خبأت السكر والشاي ؟

ميشيل : ظننتُ أذاك أخذتهما .

(تدخل آكولينا ، حمامةً مطلاً) .

مرثا ، للعجوز : هل أخذت الأسفاط ، يا أمي ؟

آكولينا : لا عام لي بها .

مرثا : وضعتها البارحة على متكا النافذة .

آكولينا : رأيتُ ذلك .

مرثا : وأين هي ؟

(يفتشون) .

آكولينا : إنها لمصيبة !

(يدخل جارٌ) .

الجار : قل لي ، يا ميشيل ، هل ستذهب لإحضار الخشب ؟

ميشيل : بدون شك . سأربط الجواد في الحال . لكن انظر ، لقد

أضعنا شيئاً .

الجار : عجباً ! وما هو ؟

مرثا : اشترى ميشيل أمس شايا وسكرآ من المدينة ، ووضعها

على متكا النافذة . لم يخطر ببالي أن أخبئها . ولم نجد ذلك

اليوم .

- ميشيل : نحن نشاك في عابر سبيل نام هنا .
- الجار : ما هيئة عابر السبيل هذا ؟
- مرثا : شخص "نحيل" وبلا لحية .
- ميشيل : وهو يرتدي سترة رثة .
- الجار : وهو جعد الشعر ، محدب الأنف ؟
- ميشيل : أجل .
- الجار : صادفته الساعة . ودهشت حين رأيته يمشي بسرعة .
- مرثا : لا بد أنه هو . أكان ذلك بعيداً ؟
- الجار : أظن أنه لم يعبر الجسر بعد .
- ميشيل ، يأخذ قبّعته ويخرج مسرعاً مع الجار : يجب أن نالحق به .
هذا لص . هو الذي . . .
- مرثا : آه ! أية خطيئة ، أية خطيئة ! هو بعينه ، من غير شك ...
- آكولينا : وإن لم يكن هو ؟ منذ نحو عشرين عاماً ، شاع أن رجلاً
أخذ حصاناً . وتجمّع الناس . قال أحدهم : « أنا رأيته
عندما فكّ رسنه » . وقال الآخر : « رأيته وهو يقوده .
لأن الحصان ، يا عم ، كان خصياً وتُمكن ملاحظته
بسهولة » . تجمّع الناس ، وبحنوا ، ووجدوا ذلك الرجل
في الغابة . قالوا له : « هذا أنت » ، فأقسم بالأيّمان
المغلظة أنه ليس هو . « لا داعي للانتباه إلى ما يقول ...
النساء مُحَقِّقات في أنه هو » . وقال شيئاً فظّاً . فالتفت
إليه ايغور لابوشكين الذي مات ، والذي كان هائجاً ،

ولطمه لطمه في وجهه دون أن يسأله لماذا وكيف ، وقال له : « هذا أنت » . ضربه ضربة ، وحينذاك أخذ الجميع يضربونه بأيديهم ، ويركضونه بأرجلهم ، ضربوه حتى مات . وفي اليوم التالي ، وجدوا اللص الحقيقي ، ولم يكن ذاك الذي ضرب لصاً . كان قد ذهب إلى الغابة ليقطع شجرة . . .

مرثا : بدون شك ، يجب ألا تنتهمه زوراً . ومع أنه في وضع بائس إلا أنه رجل طيب .

آكولينا : سقط إلى الحضيض . لا يرجي خيراً من هذا الرجل .

مرثا : أسمع ضوضاءهم ، لا بد أنهم يقتادونه .

(يدخل ميشيل والجار ، وشيخ وشاب . وهم يدفعون أمامهم عابر السبيل) .

ميشيل ، ممسكا بالسفط الذي يحتوي على السكر والشاي : وجدناه في جيب بنطاله ! أي سارق ، ابن الكابة هذا !

آكولينا ، لمرثا : إنه هو ، الحقير ! إنه يخفض رأسه . .

مرثا : إنما تكأتم عن نفسه البارحة عندما قال : ما إن يشرب الإنسان حتى يسرق كل ما يقع تحت يده .

عابر السبيل : لست سارقاً . أنا ساط على الماكية . يجب أن أعمل وأن أعيش . ليس بوسعكم فهمي . افعلوا ما تشاؤون

الجار لعمة القرية : يجب أن نقوده إلى كبير القرية ، أو إلى مفوض الشرطة رأساً .

عابر السبيل : قاتُ لكم : افعالوا ما تشاؤون . لستُ أخشى شيئاً ،
ويمُمكنني أن أتاُم من أجل آرائني . لو كنتم متعالمين
لفهمتوني .

مرثا ، لزوجه : ليكن . لقد عثرنا على السفط . يمكننا أن نتركه ،
ولا ضيرَ من ذلك .

ميشيل ، مردداً كلمات زوجته : « ولا ضيرَ من ذلك » . أنا بغنيَّ عن
وعظيائك . لولاك لحرنا كيف نفعل !

مرثا : قاتُ فقط : يستطيع أن ينصرف .

ميشيل : يستطيع أن ينصرف ! بدونك نحر كيف نفعل ، أليس
كذلك ؟ صحيح ، يا غبية ، يستطيع أن ينصرف .
فأينصرف ، لكن يجب أن أقول له شيئاً ، لكي يحسّ بما
فعل . (لعابر السبيل) . اصغِ ، يا سيدي ، إلى ما سأقوله .
مع أذاك في وضع بائس إلا أذاك تصرفت تصرفاً سيئاً ،
سيئاً جداً . غيري كان سيحطّم أضلاعك من أجل هذا ،
وكان سيقودك فوق ذلك إلى مفوض الشرطة ؛ أما أنا
فأقول لك الشيء التالي : لقد أسأت التصرف وما بعد ذلك
سوء ، لكنك في وضع بائس جداً ، ولا أحبّ أن أضرك .
انصرف بحاج الله ، ولا تعدّ إلى ذلك في المستقبل . (ياتفت
إلى زوجته) . وأنتِ أردتِ أن تعطيني !

العجار : لا داعيَ لذلك ، يا ميشيل . أوه ! أنتِ مخطئة إذ تشجعهم .

ميشيل : هذا شأنني إن كان هناك داع أم لا . (لزوجه) . أنتِ
تريدين أن تعطيني . (يتوقّف ، ينظر إلى السفط ، ويعطيه

عابر السبيل بحركة حاسمة ، وهو ياتفت لينظر إلى زوجته) .
هيا ، خذْ هذا ، تستطيعُ أن تشرب شاياً في طريقك .
(لزوجته) . تريدان أن تعطيني ؟ هيا ، هيا ، لا داعي
لل كلام .

عابر السبيل ، يأخذ السفط بصمت : أظنّ أنني لا أفهم ؟ (يتهدج
صوته) . أنا أفهم تماماً . لو ضربتني كما يُضربُ
الكلبُ ، لكان ذلك أقلّ إيلاًماً لي . ألا أدرك مَنْ أنا ؟
أذا شقيّ أي منحط .
سامحني بجاه الله .

(ينتحب ، يرمي بحدة سفط الشاي والسكر على الطاولة ويهرب) .
مرثا : الحمد لله أنه لم يأخذ الشاي ، ولا لما استطعت أن أعمل
شاياً .

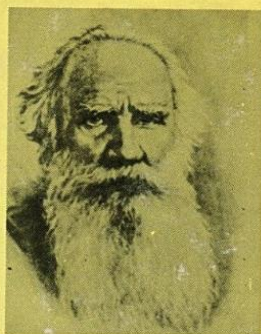
ميشيل : أنتِ ، أردتِ أن تعالمني كيف أعيش .
الجار : آه ! البائس ، ما أشدّ بكاءه !
آكولينا : ذلك لأنه كان إنساناً ، فيما مضى من الزمن .

ستار

الفهرس

- ٥ ثمار الحضارة ، ماهة في أربعة فصول . . .
- ١٧٥ بطرس العشّار ، دراما في خمسة فصول . . .
- ١٩٧ الجثة الحية ، دراما في ستة فصول . . .
- ٢٩٩ النور يسطع في الظلام ، دراما في خمسة فصول . . .
- ٤٢١ كل الفضائل تأتي منها ، مسرحية في فصاين . . .

۱۹۸۹/۲/ ۱۵ ۲۰۰۰



ليون تولستوي الأعمال الأدبية الكاملة

هنا هو المجلد الرابع عشر من
مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ،
والجزء الأول من الأعمال المسرحية
الكاملة ، نقلها عن طبعة Rencontres
في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح
الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين
الدقة العلمية ومنانة العبارة العربية .

في الاقطار العربية ما يصادل

٣٠٠ ل.س

سنة النسخة داخل الغمط

١١٠ ل.س

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٨٩